



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - 02 - أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



الوظائف السامية في عهد الدولة الزيانية (خلال القرنين 8 - 9 هـ / 14 - 15 م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نبيلة عبد الشكور

إعداد الطالب:

نور الدين تومي

السنة الجامعية: 1443-1444 هـ / 2022-2023 م



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر - 02 - أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



الوظائف السامية في عهد الدولة الزيانية (خلال القرنين 8 - 9 هـ / 14 - 15 م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نبيلة عبد الشكور

إعداد الطالب:

نور الدين تومي

لجنة المناقشة:

أ. د. نور الدين غرداوي	جامعة الجزائر 2	رئيساً
أ. د. نبيلة عبد الشكور	جامعة الجزائر 2	مشرفاً ومقرراً
أ. د. عبد القادر ربوح	جامعة الجلفة	عضواً مناقشاً
أ. د. عبد القادر شريف	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
د. موسى هـواري	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
د. رضا رافع	جامعة البويرة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1443-1444 هـ / 2022-2023 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

الحمد لله الذي وفقني وأمدني بالقوة لإنجاز هذا البحث ؛ أحمدته حمدا كثيرا مباركا فيه ، فأول

الشكر له ﷻ فهو الموفق والهادي إلى كل خير .

ثم أتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذة الدكتورة الفاضلة المشرفة على هذا العمل :

" نبيلة عبد الشكور " على علمها وحلمها فلها كل عبارات الشكر والامتنان ؛

وإلى كل أساتذتي الكرام ، إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد .



إهداء

أهدي زمرة هذا البحث العلمي إلى :

كل من علمني حرفاً، و أنار لي درباً.

إلى " أمي الغالية "

وإلى النبي علمني العطاء بدون انتظار " أبي الغالي "

" إلى كل أساتذتي الكرام "

إلى طلاب العلم الذين أرجو من الله ﷻ أن ينفعهم بهذا العمل.



الرموز والمصطلحات

الرمز	المعنى
ج	جزء
د. ت	دون تاريخ
د. م	دون مكان
د. ن	دون دار نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
/	إشارة بين التاريخ الهجري والميلادي
تح	تحقيق
واسطة السلوك	واسطة السلوك في سياسة الملوك

مقدمة:

ما من مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وتجد له ما يميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، فله خصوصياته التي تميزه وينفرد بها عن غيره؛ ومن ثمة فالمجتمعات تتمايز بالنظم التي تسيروها وتنظمها، وتفترق هذه النظم صورة وشكلاً بطبيعة النظام الذي ارتضته منها لحياتها.

ولكل المجتمعات طبقات هي الأخرى تتمايز عن بعضها البعض؛ فطبقة الحكام وطبقة المحكومين، وطبقة الفلاحين والزراعيين والحرفيين والصناعيين وطبقة العلماء والمتعلمين؛ وغيرها من الطبقات التي تشكل النسيج العام للدول والأمم، وقد شغلت أنظمة الحكم وما يتصل بها في الدرس التاريخي في الغرب الإسلامي عموماً، وبلاد المغرب الأوسط خصوصاً حيزاً لا بأس به من دراسات الباحثين والمؤرخين على وجه الخصوص، ذلك أن نظام الحكم في أي دولة من الدول المتعاقبة على هذه المنطقة؛ له أثر بارز للعيان في تنظيم المجتمع وتشريع الشرائع لمخلف شرائح المجتمع، على اختلاف مراتبهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، مما جعل كل دولة تستقل عن غيرها في التصور والتطبيق لهذه التشريعات؛ ولا نزعم أننا حين نقرر هذه الحقيقة لدى مجتمعات بلاد المغرب الإسلامي؛ أننا قد أفشيناً سرّاً بقدر ما هو تحديد لعلاقة أفراد المجتمع فيما بينهم وبين السلطة الحاكمة.

وطبقة الحكام هي الأخرى تنقسم إلى طبقات من حيث المناصب الموكلة هرمياً، وإن كانت الحدود بينها لا تبدو إلا لمن كان له خبرة وخططة بأهل ذلك الزمان، فالسلطة الزمنية تتمايز بالمناصب التي وجدت فيها ولعل وصف المناصب بالسامية أو السلطانية وغيرها من الألقاب العلية له ما يبرره، إذ القرب من دائرة السلطة الفعلية والبعد عنها هو بالأساس الدافع لأن تكون وظائف سامية أو عالية أو مرموقة، وغيرها من الأوصاف التي تدخل في ذات السياق والهدف.

والدولة الزيانية لم تشذ عن ما سبق تقريره؛ فكان لا بُدَّ من وجود أصحاب مناصب سامية أو مرموقة، على غرار السلطان والوزير والمحتسب والقاضي وقائد الجند وغيرها من المناصب السياسية والإدارية، التي كان لها الفضل في تنظيم المجتمع الزياني وتسييره على اختلاف فترات حكم السلاطين، والمساهمة في تسيير دواليب الحكم.

2- التعريف بالموضوع:

تعتبر الوظائف السامية في أي دولة هي أركان الحكم عامة إذ تقوم السلطة بتحديد طبيعة المنصب إذا ما كان سامياً أو غير ذلك؛ وهي التي تحدد طبيعة الاعتماد على هذا الشخص في ذلك المنصب باعتبار الكفاءة والقدرة على تسيير ما حُوِّلَ له من صلاحيات يقوم من خلالها بسن القوانين والوقوف على تنفيذها، والدولة الزيانية هي الأخرى كان لدى سلطانها تنظيمات سياسية وإدارية محكمة، تمثلت في السلطان وحاشيته من الوزراء والكتاب وغير ذلك من المناصب السامية. وهذه المناصب شغلها ثلة من الوجهاء والعلماء وأصحاب الخبرة والحنكة، ومن وجهاء

القوم أو ممن يؤتمن جانبهم، أو ممن شرفت منازلهم، فكان لهم دور هام في تسيير شؤون البلاد والعباد.

ونظرا لأهمية هذه المناصب وخطورتها في آن، فقد كانت لا تسند في الغالب إلا لمن عرف عنه الولاء التام والطاعة لأصحاب القرار (السلطان)، وقد كان لهذه الشريحة من المجتمع الزياني سطوة السلطان وقوتهم مستمدة من قوة السلطان ونفوذه ما دام كذلك، ولا يستتب الأمر لأصحاب هاته المناصب إلا إذا كان لهم قوة الحجة والإقناع والصرامة في تنفيذ الأحكام وإذا لم يكن صاحب المنصب السامي غير قادر على ما أوكل إليه من مهام فيعزله السلطان ويخلعه من منصبه وهذا شائع في عهد الدولة الزيانية ولا غرابة أن تسند هذه المناصب لأركان الدولة الموصوفين بالثقة والطاعة والولاء والعلم والحكمة.

ولما لم نجد دراسة تاريخية- على حد علمنا واطلاعنا- حددت هذه المناصب وتحدثت عنها بصورة دقيقة، وفصلت في مهام أصحاب هذه المناصب وبينت قدرات هؤلاء في ميادينهم وتنظيم المجتمع الزياني، وشروط توليتهم ومهامهم وأدوارهم المنوطة، وتأثيرهم وتأثرهم، رأينا أن تقتحم الموضوع دراسة وتحليلا، إضافة لعوامل أخرى عديدة فكان موسوما بـ:

“ الوظائف السامية في عهد الدولة الزيانية ”

خلال القرنين (8/9 هـ - 14/15 م)

3- دوافع اختيار الموضوع:

هناك جملة من الأسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع ذاتية وموضوعية نجملها في ما يلي:

- توجه الباحثين والدارسين إلى اسكناه مصادر واستخراج ما حوته من معلومات وحقائق تاريخية عن حياة المجتمع في الغرب الإسلامي وبيان سيورته الفكرية من خلال نظام الحكم وطريقة اختيار أصحاب المناصب السامية في الدولة الزيانية.

- إبراز دور أصحاب المناصب السامية في تنظيم المجتمع الزياني في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتنظيمها ومن ثمة التأريخ للوقائع والأحداث التي مرت بهذا المجتمع (فترة الدراسة).

- الضرورات الحياتية اليومية كان السبب الرئيس لوجود مثل هذه المناصب التي نرى أنها سبب وجيه لتنظيم المجتمع في مختلف مناحي الحياة.

- إعطاء صورة مهمة لواجهة الدولة الزيانية من خلال أصحاب هذه المناصب وإجلاء هيبة السلطان ورهبة الدولة ورمزية الحكم، وفيه البهاء والعز والأبهة والتفرد وإظهار قوة ولاية الأمر.

4- إشكالية البحث:

بناءً على ما سبقت الإشارة إليه يمكن أن نصوغ إشكالية بحثنا الرئيسة على النحو التالي:

- ما هي المناصب السامية التي عرفها المجتمع الزياني ؟
- هذه الإشكالية الرئيسية تجرنا للعديد من التساؤلات الفرعية والتي من أهمها:
- هل كان لأصحاب هذه المناصب المكانة دور فعال في المجتمع الزياني ؟

- ما هو الأساس الذي يُختار في ضوءه رجال الدولة عامة ومن يشغل مناصبا ساميا سواء إداريا أو عسكريا أو سياسيا على وجه الخصوص؟؛ وحول هذه الإشكالية الرئيسية تتطوي تساؤلات أهمها:
- ما هو أثر أصحاب هذه المناصب في مختلف مناحي الحياة، وكيف يمكن الاستفادة منها في استخراج الحقائق التاريخية ؟
- هل كان لأصحاب المناصب السامية في الدولة الزيانية تأثير في سياستها وتوجيه قراراتها المصيرية من خلال المصادر التاريخية ؟
- كيف يمكن تقييم عمل أصحاب المناصب السامية والوقوف عند مآثرهم بالنسبة للدولة الزيانية ؟

5- منهج البحث:

تستوجب الدراسات الأكاديمية استخدام منهج علمي للبحث حتى نتبين حقيقة الموضوع المبحوث فيه، وعليه سوف نعتمد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي المعروف في الدراسات التاريخية، بوصفه لظواهر تاريخية محددة زمانا ومكانا، مع التركيز على التحليل والاستنتاج والمقارنة مع المصادر المعاصرة، وأحيانا اللجوء للإحصاء إذا اقتضى الأمر، وذلك بتتبع جملة من هاته المصادر واستخراج الحقائق التاريخية.

6- أهمية البحث:

لما كان للمناصب السامية تلك القيمة المعنوية والمادية في ضبط دواليب الحياة في المجتمعات جعلنا نبحت جاهدين عن ما كتب ووثق في حياة المجتمع

الزياني، وبيان حقيقة هذه المناصب التي كان بيدها الحل والعقد في أمور كثيرة تخص الدولة، وكان لها شأن عظيم لدى العامة والخاصة.

ونظراً لهذه القيمة التي اكتسبتها هاته المناصب عبر العصور وتأثيرها المباشر على المرء حيثما كان؛ تتجلى أهميتها الكبرى ومن ثمة دعوة الباحثين لولوج هذا البحث؛ والجدير بالذكر أن هذا الموضوع هو نقطة اشتراك بين مجموعة من التخصصات كالتاريخ وعلم الاجتماع؛ والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) والشرعية والقانون وعلم السياسة... وغيرها. فالباحث في التاريخ مثلاً له أن يتقرّر هذه المناصب ليرى كيف كانت تسير مختلف أوجه الحياة في أحقاب تلك الفترة.

ولا شكّ أنّ الباحث في القانون الدستوري له أن يتحسس ما كُتب من قبل في ميدان قرارات الحكام وتعييناتهم لأصحاب المناصب السامية وسن القوانين في هذا العصر.

وعالم الاجتماع والأنثروبولوجي هو الآخر له مجاله في البحث عن طبيعة علم الاجتماع السياسي، فهي بحق مكمّن الدرس الاجتماعي، وهذه الوظيفة هي مجال بحث عالم الاجتماع الذي يؤسس لدرس أنثروبولوجي يسعى من خلاله إلى فهم حقائق اجتماعية خاصة بالمجتمع الزياني وطبيعته، والمؤرخ يقف على كل هذا من خلال إعادة رسم الحدث التاريخي بكل أبعاده.

* الدراسات السابقة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ هناك عدّة دراسات تناولت المجتمع الزياني سواء في الدراسات الجامعية أو في الإصدارات المكتبية غير أنه لم تغرد المناصب السامية ببحث يبين حقيقة هذه المناصب حسب علمنا، ودورها وتأثيرها في المجتمع الزياني،

إلا أننا عثرنا على شذرات نبه إليها جمع الباحثين والمؤرخين للعصر الزياني، سواء من المتقدمين أو المتأخرين.

ومجمل هذه الدراسات كانت عبارة عن تأريخ للدولة الزيانية يمكن الاستفادة منها، والاستعانة بها على فهم المجتمع في الغرب الإسلامي عموماً، والزياني خصوصاً.

بالنسبة للدراسات الحديثة والتي تمس صلب الموضوع، لا بدّ من الإشارة مسبقاً أن الدراسات شحيحة بل ونادرة ولم نعثر فيما نعلم على بحث يمس موضوع بحثنا مباشرة، وقد تناولت بعض الدراسات الشق المتعلق بالآداب السلطانية على غرار دراسة عز الدين العلام الموسومة بـ: "الآداب السلطانية دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي" (الكويت، 2006) ؛ وكمال عبد اللطيف الموسومة بـ: "قراءة في نظام الآداب السلطانية" (بيروت، 1999) .

أما ما يمس بحثي مباشرة فهي دراسات قليلة بل ونادرة مثل:

- دراسة الباحث: حسين تواتي الموسومة بـ: "الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية" (النشر الجامعي الجديد، 2017) ؛ وهي في الأصل مذكرة ماجستير في التاريخ جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2014/2013.

بالنسبة للمقالات المتخصصة فلم تشذ عن القاعدة، نجد:

- مقال الباحثين بلال ولد العريبو قدور وهراني موسوم بـ: "مراتب وتقاليد الحكم السياسي والديني في العهد الزياني، مجلة الحوار المتوسطي" (مج 1 مارس 2020).

- مقالان للباحث هشام المتوكل، أولهما الموسوم بـ: "الألقاب السلطانية دلالاتها ووظائفها بالأندلس خلال العصر الوسيط، مجلة التراث" (العدد 1، مج 10،

أفريل 2020) . والثاني الموسوم بـ: " الألقاب السلطانية دلالاتها ووظائفها بالمغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، مجلة العبر للدراسات التاريخية (العدد 1، مج 2، يناير 2019)".

- مقال عبد الحميد حاجيات الموسوم بـ: " دور وظيفة المحتسب بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان من خلال كتاب تحفة الناظر لأبي عبد الله محمد العقباني، مجلة القرطاس (ع2. جانفي 2015)".

8- نقد المصادر:

اعتمدت هذه الدراسة على مزيج من مصادر متنوعة، اقتضتها طبيعة الموضوع ومنهجه، ومن أهم هذه المصادر حسب نوعها نجد:

أ- كتب النظم الإسلامية:

يمكن اعتبار كتب النظم الإسلامية أهم مصادر الموضوع، كونها حوت الوظائف السلطانية مباشرة، بالتعريف والتأصيل والتفصيل، وللأسف لم نقف على عدد كاف منها، ومما أفادنا منها نجد:

- كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك " للسلطان أبي حمو موسى الثاني الزياني (ت: 791هـ/1389م)، وهو مصدر مهم في السياسة والتاريخ والنظم والأدب؛ وهو عبارة عن مجموعة من القواعد والشروط والطريقة المثلى في تسيير شؤون الدولة الزيانية أرادها السلطان أبو حمو لابنه وولي عهده أبي تاشفين.

- كتاب الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)، المتوفي سنة 505هـ/1111م المسمى: " التبر المسبوك في نصيحة الملوك " المعروف بـ " نصيحة الملوك "، وهو

مصدر هام في التعريف بشروط السلطنة وشروط التولي، كما يفيدنا في صفات الوزراء والكتاب وأعيان الدولة.

- كتاب الهروي (علي بن أبي أحمد) المتوفى سنة (611 هـ) والمسمى: " كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية "، وقد أفادنا في بعض التعريفات بخصوص العيون والجواسيس والأمور الحربية، ويمكن الاستئناس به في كثير من المواضع.

- كتاب القلقشندي (أبي العباس أحمد) المتوفى سنة (821 هـ)، المعروف بكتاب: " صبح الأعشى في صناعة الإنشا "، ويعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية أدبية جغرافية اجتماعية دينية ثقافية، أفادنا في كثير من المواضع خاصة ما تعلق بالوظائف الإدارية وما تعلق بها. وتزيد أهمية الكتاب في معاصرتة لفترة الدراسة مما يجعل معلومات أكثر مصداقية وواقعية.

ب- كتب الوثائق والعقود:

وتكمن أهمية هذه الكتب أنها تمنحنا وثائق أصيلة عن أوضاع العوام وقد تولى هذه الخطة السامية عليّة القوم ومن أشهر هذه الكتب نذكر:

" المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الموثق "

لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت: 914 هـ)، وفيه شروط وافية عن علم التوثيق وشروط الموثق وأحكام الوثائق وطرق ضبطها، وهو كتاب فريد بين مؤلفات المذهب المالكي، وتكمن أهميته أنه يعطينا صورة واضحة عن فترة الدراسة لقربه التاريخي.

ج- كتب التراجم والسير:

وقد تم الاعتماد على عدد لا بأس به، ونذكر على سبيل المثال:

- " كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام " لصاحبه

لسان الدين بن الخطيب (ت: 676هـ) والكتاب مقسم لثلاثة أجزاء .

- " نيل الابتهاج بتطريز الديباج " للتمبكتي (أحمد بابا) (ت: 1036هـ /

1627م) وهو تذييل على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب

لابن فرحون المالكي (ت: 799هـ)، وقد أفادنا في ذكر كثير من تراجم فقهاء

وعلماء المغرب الأوسط عموما وتلمسان خصوصا .

د - كتب القضاء والحسبة:

تعتبر كتب الحسبة مصادر في بالغ الأهمية لما تحويه عن صورة للأوضاع

السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد كتب في العهد الزياني مصدر مهم ونقصد

به كتاب " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر "، لأبي عبد

الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني المتوفي سنة 871هـ، والذي

في الحقيقة ينتمي لأسرة من أكابر الأسر التي ولدت كبار العلماء، وإضافة لن ذلك

عُيِّن في منصب سامي كقاضي القضاة، مثل جده قاسم بن سعيد، وأجداده من قبل،

وتكمن أهمية الكتاب في إعطائنا صورة نادرة لخطة الحسبة، وميادين عمل شغل

المحتسب، نظرا لنقص المادة الخبرية المتعلقة بميدان الحسبة، فيمكن اعتباره من

المصادر الأساسية.

هـ - كتب التاريخ العام:

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- "بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد " لأبي زكريا يحيى بن خلدون (ت: 780هـ/1378م) والذي ألفه بأمر من السلطان أبي حمو موسى الثاني، واشتمل هذا الكتاب النفيس معلومات قيمة عن التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي وغيره وتكمن أهمية الكتاب أن صاحبه قد تولى منصبا مرموقا، ألا وهو كاتب سرّ أبي حمو موسى ممّا مكنه من الاطلاع على كثير من الوثائق الرسمية الخاصة بالدولة الزيانية.

- كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "، لعبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ)، ويقع الكتاب في أربعة عشر جزءا، وقد أفادنا القسم الأول والثاني من الجزء الثالث من خلال حديثه عن تلمسان منذ تأسيسها على يد يغمراسن بن زيان سنة (333هـ/ 633م)، وصولا إلى مقتل الملك الزياني الخامس ترتيبا أبي تاشفين الأول سنة (737هـ) وصولا إلى القسم الثاني الذي ينتهي بنا إلى عهد الملك أبي زيان الثاني ابن أبي حمو موسى الثاني سنة (796هـ)، وتكمن أهمية هذا المصنف أنّ صاحبه استنبط أخباره من خدمته في بلاط الحفصيين في تونس، والزيانيين في تلمسان، والمريبيين في فاس وبني الأحمر في غرناطة.

- كتاب " الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان "، لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني المولود حوالي (830هـ)، وقد ألف التنسي كتابه في عهد الملك الزياني أبي ثابت محمد المتوكل على الله ما بين سنتي (866هـ / 873هـ)، ويعد الكتاب تكملة لكتاب بغية الرواد ليحيى بن خلدون.

و- كتب الجغرافيا والرحلات:

وإن لم تكن من المصادر الأساسية إلا أنها أعطتنا فكرة واضحة حول جغرافية المدن، كما أفادتنا في وصف جوانب مهمة في يوميات أصحاب الوظائف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن هذه الكتب نذكر:

-كتاب " وصف إفريقيا "، للحسن بن محمد الوزان المشهور بليون الإفريقي، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، ومعظم مادة هذا الكتاب مبنية على مشاهدات المؤلف، وقد خصص فصلاً لمملكة تلمسان كما أعطانا وصفاً معتبراً للبلاط الزياني معرجاً على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية آنذاك وما يهمننا في ذلك تفصيلاته للنظم الإدارية الزيانية.

9- خطة البحث:

وللإحاطة بجوانب الموضوع ومعالجة الإشكالية الرئيسية وتساؤلاتها الفرعية فقد قسمت بحثي إلى: مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق

مقدمة: حوت تعريفاً بالموضوع، وأهدافه ومنهجه، وأهم مصادره ومراجعته.

الفصل الأول: وعنوانه بـ (نبذة تاريخية عن الدولة الزيانية) وعالج فيه مجموعة من النقاط المفاهيمية بداية من التعريف بالإطار الجغرافي والتاريخي للدولة الزيانية، كونهما ضروريين للتعريف بالمكان والزمان المرتبطين بالموضوع، فالموقع الجغرافي لتلمسان وحدودها وتعريفها، ثم الانتقال للإطار التاريخي مجسداً في تبين الظروف التاريخية لقيام الدولة الزيانية، معرجاً على أهم الأوضاع السائدة في هذا العصر، من سياسية وثقافية واجتماعية وفكرية.

أما الفصل الثاني فكان موسوماً بـ (الوظائف السامية إشكالية المصطلح وشروط التولية)؛ فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث رئيسية، تناولت في الأول منها

المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوظائف السامية، أو بالأحرى الوظائف السلطانية بتعبير العصر الوسيط، لأننتقل في المبحث الثاني إلى أهم شروط تولية هذه الوظائف من خلال ما وصلنا من كتب النظم الإسلامية، لأنهي هذا الفصل بمبحث ثالث وأخير أردته لموقع الوظائف السامية في الفكر السياسي بالمغرب الإسلامي قبيل العهد الزياني بنظرة تاريخية فقهية وصفية.

لأننتقل في الفصل الثالث الذي عنوانته ب: (الوظائف السياسية المساعدة للسلطان). وفيه خمسة مباحث، كان الأول منها لوظيفة السلطان بحكم أنها أعلى الوظائف السامية، معرجا على الألقاب المتداولة في هذا العهد من أمير المسلمين، والخليفة والملك...، لأنهي هذا الملك بشارات الملك عند بني زيان.

المبحث الثاني كان للوزراء وفيه تعريف للوظيفة في اللغة والاصطلاح، وشروط تعيينهم ومهامهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي استوزرت أيام الدولة الزيانية. المبحث الثالث خصصته للفقهاء وفيه تعريف للوظيفة لغة واصطلاحا، لأفصل في نوعيهما، وأقصد الفقهاء المتملقين والمستقلين، مع ذكر لأهم الأسماء التي اشتهرت في هذا العهد.

ثم يأتي المبحث الرابع الذي خصصته للحجاب وفيه تعريف للوظيفة في اللغة والاصطلاح، وشروط تعيينهم ومهامهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب.

لأنهي هذا الفصل بمبحث خامس خصصته للأشراف ومكانتهم في البلاط الزياني.

لأعرج بعدها على الفصل الرابع الموسوم بـ(الوظائف السامية الإدارية)، وفيه أربعة مباحث؛ الأول منها خصصته للكتاب ومهامهم في عهد الدولة الزيانية من توقيع وتحريير، وإصدار أوامر وتسجيل أسماء، مع ذكر أشهر الكتاب الذين احتقت بهم الدولة.

والمبحث الثاني كان لصاحب الأشغال وفيه تعريف للوظيفة في الاصطلاح، وشروط تعيينهم ومهامهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب. أما المبحث الثالث فخصصته للموثقين (العدول)، وفيه تعريف للوظيفة في الاصطلاح، وشروط تعيينهم ومهامهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب.

والمبحث الرابع والأخير كان للسفراء والقناصل، وفيه تعريف للوظيفة في الاصطلاح، وشروط تعيينهم ومهامهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب من الجنسين مع إبراز لمكانة أهل الذمة في هذه الوظيفة.

الفصل الخامس عنوانته بـ(الوظائف السامية القضائية العسكرية ووظائف أخرى)، وقسمته إلى خمسة مباحث، المبحث الأول كان للقضاء وفيه تعريف للوظيفة اصطلاحاً، وشروط التولية وأهم أصناف القضاة في هذا العهد، أعرج على أشهر قضاة الدولة الزيانية، وفيه أيضاً ذكر لخطة المظالم وموقعها في العهد الزياني وذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب.

المبحث الثاني كان موسوماً بـرجال الحسبة والشرطة، وفيه تعريف للوظيفة في اللغة والاصطلاح، وشروط تعيينهم، مع ذكر لأهم الأسماء التي تولت هذا المنصب، وتناولت فيه أيضاً وظيفة الشرطة وأهميتها في هذا العهد.

المبحث الثالث وخصصته لقادة الجند والعيون، وفيه موقع الحياة العسكرية في الدولة الزيانية، معرجا على الاستعراضات العسكرية، لانتقل بعدها إلى موضوع العيون والجواسيس.

والمبحث الرابع كان موضوعه الناظرون على الأحباس والأوقاف، وفيه موقع هؤلاء في العهد الزياني.

والمبحث الخامس والأخير فوسمته بـ(آثار الوظائف السلطانية على الحياة الزيانية). وفيه ثلاثة عناصر، الأول على المستويين السياسي والعسكري، والثاني على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، والثالث على المستويين الثقافي والديني لأنهي دراستي بخاتمة ضمنيتها ذكر أهم النتائج المتوصل إليها مشفوعة بتوصيات. وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد؛ والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول

نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزيانية

أولاً - بنو عبد الواد: الأصل والتسمية

ثانياً - نشأة الدولة الزيانية

ثالثاً - أهم ملوك الدولة الزيانية

رابعاً - التعريف بتلمسان عاصمة الدولة الزيانية

خامساً - الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة
الزيانية

أولاً- بنو عبد الواد: الأصل والتسمية.

تعددت أسماؤهم من زيانيين وبني زيان وبنو عبد الوادي⁽¹⁾ ويعود نسبهم إلى قبيلة عبد الواد الذين هم أحد فروع قبيلة زناتة البربرية التي تعتمد في عيشها على حياة البداوة والترحال. ويعود أصل تسميتهم إلى جدهم عبد الوادي وهو من ولد شجيح بن واسين بنت بصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيج⁽²⁾. وتمتد مواطنهم من تاهرت شرقا إلى نهر ملوية غربا⁽³⁾ وقد قسم أبو زكريا يحيى ابن خلدون (ت: 780هـ/1378م) بني عبد الواد إلى ستة بطون هم «بنو يانكين- وبنو الو- وبنو ورهطف- وبنو تومرت- وبنو قاسم»⁽⁴⁾.

وكان استقرار بنو عبد الواد في الجهة الغربية للمغرب الأوسط زمنا طويلا إذ عاشوا حياة البدو والفقيرة، ودخلوا في طاعة الموحدين⁽⁵⁾، وساندوا عبد المؤمن بن علي ضد بني مرين، ومقابل هذا الإخلاص في خدمتهم نالوا مقابل ذلك اقتطاعات شملت بني يلومي وبني ماندوا. وبعدها قوي اتحادهم ومن ذلك بدا بني عبد الواد في

(1) الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، وهران، الجزائر، 1990م، ج1، ص13.

(2) ابن خلدون، أبو زكريا يحيى: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ببير فونطانا الشرقية، الجزائر 1903م، ج1، ص95.

(3) الأغا بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص13.

(4) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص95.

(5) ابن الأحمر الأنصاري: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص10.

تطلع لسيطرة على كامل المغرب الأوسط خاصة بعدما لمسوا ضعف وتقلص نفوذ الدولة الموحدية فسارعوا للإعلان عن استقلالهم بقيادة جابر بن يوسف⁽¹⁾.

بعدما قام جابر بن يوسف وإخوته بالدخول إلى تلمسان، وإعادة الدّعوة للمأمون الموحدي، فعقد لهم الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون على ولاية تلمسانفولها جابر ابن يوسف، ولمّا أراد إخضاع مدينة ندرومة أبوا فحاصرهم، وأصابه يوسف العقاري التلمساني بسهم فقتله وكان ذلك أواخر سنة 1231م⁽²⁾.

خلفه بعد ذلك على تلمسان ولده الحسن، لكنّه تخلّى عنها بعد ستة أشهر لعمّه عثمان بن يوسف، فعزل هذا عند عام ونصف لاستبداده وسوء تدبيره، بعدها خلفه أبو عزّة زكران بن زيان وكان قويا شجاعا أطاعه قومه وامتنع عن مبايعته بنو مطهر وبنو راشد وحاربهم، وقُتِل في إحدى المعارك سنة 633هـ/1235م، وخلفه يغمراسن بن زيان⁽³⁾.

والحقيقة التي تظهر للدارس أنّ السلطان الموحدي الرشيد هو الذي ولى هذا الأخير على تلمسان، وحدث تعينه على رأس الولاية لسبب رئيس وهو إرضاء بني

(1) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص204.

(2) الدراجي بوزياني: نظم الحكم في دولة بن عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص24.

(3) يغمراسن بن زيان: هو بن ثابت بن محمد يعتبر أول ملوك الدولة الزيانية فترة حكمه(633هـ إلى 681هـ) التنسي، محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه: محمود بوعباد، (سلسلة النصوص والدراسات التاريخية 6)، إصدارات المكتبة الوطنية، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ / 1985م، ص115.

عبد الواد، ويعتبر أول شخص من بني عبد الواد الذي اتخذ آلة الملك وعين الوزراء والولاية⁽¹⁾.

ثانيا - نشأة الدولة الزيانية:

- الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط:

يشمل البحث إطاراً جغرافياً هو المغرب الأوسط، حيث اتسمت تقسيمات هذه البلاد إلى معايير سياسية محضة وبالتالي فإن حدوده ليست قارة مثل حدود البلدان الأخرى فهي مطاطة قابلة للتوسع والتقلص⁽²⁾.

وأول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط هو الجغرافي البكري الأندلسي (ت: 487هـ / 1094م)، حيث وضع حدود المغرب بقوله: «إفريقية وقاعدته القيروان والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان والمغرب الأقصى الذي يمتد من غرب تلمسان إلى البحر المحيط»⁽³⁾.

والأمر نفسه بالنسبة للإدريسي (ت: 560هـ / 1164م) الذي اعتمد في تقسيمه على المعيار السياسي لتوضيح حدود الأقاليم، ومنها المغرب الأوسط الذي كان خاضعاً للحكم الحمادي الذي امتد حكمه من عنابة شرقاً إلى سيق (معسكر) غرباً

(1) محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، تقديم: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 84-85.

(2) محمد بن عميرة، تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، مجلة دراسات تراثية، العدد 1، 2007م، جامعة الجزائر، ص 14.

(3) البكري الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تقديم وتح: رحماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص 156-164.

ومن ساحل البحر إلى مدينة ورجلان جنوباً يقول الإدريسي في هذا الصدد: «... مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد ...»⁽¹⁾.

كما يقسم الجغرافي الزهري (ت: ق6هـ/ ق13م) المغرب إلى ثلاثة أقسام: «هي: إفريقية والمغرب الأقصى والسوس الأقصى ويذكر أن إفريقية تسكنها قبائل من البربر مثل صنهاجة وزناتة وغيرها من مدنها الساحلية، تونس، طرابلس، وجزائر بني مزغنة ومدن التل كقسنطينة والقلعة.

أما القسم الثاني: فيذكر أن مدنه تنس وتليها وهران وهنين، ومليلية ومن أهم مدنه الداخلية تهرت وتلمسان»⁽²⁾.

أما ابن سعيد المغربي (ت: 685هـ/ 1286م)، فيقسم المغرب إلى عدة أجزاء ويذكر أن تلمسان، تقع في الجزء الأول مع مراكش وفاس والأندلس، أما المغرب الأوسط حسب، فقاعدته بجاية ويمتد شرقاً حتى قسنطينة. أما مدينة بونة (عنابة) فهي حد إفريقية الحفصية⁽³⁾.

فالمعيار واضح كما يبدو، وهو سلطة القوى السياسية التي حكمت المغرب الإسلامي وسيطرت على حدوده وعملت على التوسع في أراضيه، ففي العهد

(1) الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد (ت: 548هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص16.

(2) الزهري، أبو عبد الله (ت: منتصف القرن 6هـ): كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ص107.

(3) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ): كتاب الجغرافيا، تح وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، صص140-142.

الحفصي مثلاً؛ يذكر الغبريني في " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " عندما ترجم لأبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري بقوله: « لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله »⁽¹⁾.

وهو دليل واضح على استمرارية الشهود الحضاري للمغرب الأوسط، ككيان بشري جغرافي، وكمصطلح له دلالاته لدى المنتسبين إليه، ولدى المهتمين بأخباره والمؤرخين لأحداثه، كما أن الفترة المثبتة تفيدنا بشيء لا ينتبه له الكثير من الباحثين⁽²⁾.

وقد ظهرت ثلاث دول مغربية عريقة ساهمت في رسم الخريطة السياسية للبلاد وهي: الدولة الحفصية ودولة بني زيان، ودولة بني مرين، وجميعها ورثت الرصيد الحضاري والفكري للدولة الموحدية، على أن هذه الدول ساهمت في تطور الحياة الفكرية والعلمية والنقلية والعقلية... مساهمة فعالة أدت إلى انتشارها وإعطائها طابعاً مغربياً لا تزال آثاره قائمة إلى اليوم.

(1) الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت: 704 هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص88.

(2) سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008 - 2009، ص31.

بعد سقوط دولة الموحدين وانقسام المغرب الإسلامي إلى ثلاثة دويلات حفصية بالمغرب الأدنى والمرينية بالمغرب الأقصى والدولة الزيانية⁽¹⁾ بالمغرب الأوسط. ونشأت هذه الأخيرة على يد يغمراسن بن زيان (633هـ / 1236م) إلى غاية (737هـ / 1336م)، وتعدّ هذه الفترة مرحلة النشأة وتوطيد الملك. كما تميزت هذه المرحلة بنهاية عهد ومقتل أبي تاشفين الأول وبروز الشخصية القوية يغمراسن بن زيان الذي استطاع أن يؤسس دولة قوية رغم الصعوبات، فكان أول هجوم على الدولة من طرف السلطان الحفصي أبي زكريا الأول⁽²⁾ الذي استولى على تلمسان⁽³⁾ وأخضع بطون زناتة.

وكان الهجوم الثاني بقيادة الخليفة أبي الحسن السعيد وكانت المواجهة سنة (645هـ)، أين هُزم الخليفة الموحي، وبعد هذا الانتصار بدأت السيادة العسكرية لبني زيان تأخذ مسارها الجغرافي ممتدا غربا إلى وادي ملوية، وشرقا إلى الوادي

(1) الدولة الزيانية: تمتد مملكة الجزائر الزيانية غربا إلى مدينة ثاوريرث التي هي اليوم داخل التراب المراكشي، على بعد 136 كيلو مترا غربي وجدة ". عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ج2، ص212.

(2) أبو زكريا الأول: هو أبو زكريا يحيى بن المولى أبو محمد عبد الواحد بن شيخ أبو حفص، ولد بمراكش سنة (599هـ / 1203م) وهو المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية. الشماع الهنتاتي، محمد بن أحمد: الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية، تعليق: عثمان الكعاك، تونس، لجنة الطلبة للنشر والتعريب، مطبعة العرب 1355هـ / 1936م، ص54.

(3) التنسي، مصدر سابق، ج1، ص117.

الكبير وأطراف من بجاية⁽¹⁾، ومن الصحراء إلى البحر المتوسط شمالاً⁽²⁾. كما أثر الانتصار على السياسة الخارجية ليغمراسن من الجهة الغربية، فطمح إلى توسيع نفوذ الدولة دفاعاً عن الموحدين وكانت المواجهة مع الجيش المريني والذي ردّ إلى تلمسان سنة 1249⁽³⁾.

وبعدها بدأ يغمراسن بمراجعة حساباته السياسية والعسكرية، ولقد تعددت الموجهات مع بني مرين عدة مرات وكانت الغلبة فيها لهم فقد قضوا نهائياً على الدولة الموحدية سنة 1269⁽⁴⁾.

بعد وفاة يغمراسن خلفه أبو سعيد عثمان، لكن المرينيين عملوا على كسر شوكة بني عبد الواد، فقاموا بخمسة حملات على تلمسان في فترة لم تتجاوز تسعة سنوات بعد الحصار الأخير توفي السلطان عثمان بن يغمراسن، فتولى أمر الدولة

(1) بجاية: مدينة عتيقة تحيط بها أسوار عالية. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت: 957 هـ): وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ج1، ص50.
(2) لخضر عبدلي: تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان. دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2011م، ص161.

(3) الطمار، مرجع سابق، ص86.

(4) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت: 808 هـ / 1406 م): تاريخ ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، د ط، 2000م، ج7، ص190.

ولي العهد أبو زيان بن عثمان سنة (703هـ)، والحصار الى مقتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب⁽¹⁾.

بعد وفاة أبي زيان بن عثمان خلفه أبو حمو موسى الأول تمكن هذا الأخير إن يصل إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية وتخطى حدود الدولة الحفصية. وقد وصفه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/1406م) بقوله: « كان صارما يقظا حازما داهية قوي الشكمية »⁽²⁾، وكانت نهاية هذا السلطان العظيم مؤلمة، وذلك بعد أن أقام السلطان أبو تاشفين الأول نهاية له، لكي يستولي على الحكم. واصل أبو تاشفين في بناء الدولة، وبناء القصور حتى قتل مدافعا على قصره بعدما هاجمه أبو الحسن المريني واحتل تلمسان سنة (737هـ)⁽³⁾.

ثم تأتي مرحلة النهضة التي تمتد من (759هـ/1350م) إلى (791هـ/1389م) التي تميزت بإعادة إحياء الدولة على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني (760هـ- 791هـ/1359م-1389م) بمساعدة الدولة الحفصية، والقبائل البربرية، والعربية في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط⁽⁴⁾.

(1) يوسف بن يعقوب المريني: هو أبو يعقوب بن يوسف بن يوسف بن عبد الحق المريني. توفي محاصرا لتلمسان. المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ): نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج5، ص265.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص98.

(3) التنسي، مصدر سابق، ص141-146.

(4) انظر: عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص82-83.

بعد وفاة أبو حمو موسى الثاني انتهى عصر هام من عصور هذه الدولة لتدخل في فوضى في الناحية الشرقية وبدأت الدولة تسير نحو الانحطاط والتدهور.

ثالثاً - أهم ملوك الدولة الزيانية:

1- **يغمراسن بن زيان**: هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد؛ ويعتبر أول ملوك الدولة الزيانية، امتدت فترة حكمه من سنة (633هـ / 1236م) إلى سنة (681هـ / 1283م) ⁽¹⁾.

2- **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن**: خلف والده بعد وفاته وكانت فترة حكمه بداية من سنة (681هـ / 1283م) إلى غاية (707هـ / 1303م) ⁽²⁾.

3- **أبو حمو موسى الأول**: (707هـ / 1303م) إلى غاية (718هـ / 1318م) تميز عهد هذا السلطان بإصلاح ما تهدم من الحصار المريني واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة ⁽³⁾.

4- **عبد الرحمن بن تاشفين**: حكم من سنة (718هـ / 1318م) إلى غاية (737هـ / 1337م)، ويعدُّ من أقوى الأمراء الزيانيين ⁽⁴⁾.

5- **أبو سعيد وأبو ثابت** (749هـ / 1348م) إلى غاية (755هـ / 1354م)، وقد عمل هذان الأميران على إحياء مجد الدولة الزيانية من جديد، وقسَّما المهام بينهما،

(1) التتسي، مصدر سابق، ص115.

(2) نفسه، ص129.

(3) نفسه، ص132.

(4) نفسه، ص139.

وهذا لم يدم طويلا في ظل إقدام الدولة المرينية على الاستيلاء مجددا على الدولة الزيانية⁽¹⁾.

6- أبو حمو موسى الثاني: تولى الحكم من سنة (760هـ/1359م) إلى سنة (791هـ/1389م)⁽²⁾.

7- أبو عبد الله محمد المتوكل تولى الحكم من سنة (866هـ/873هـ) إلى سنة (1442م/1468م)⁽³⁾.

رابعا- الموقع الجغرافي لتلمسان:

حدّد الجغرافيون موقع مدينة تلمسان في الإقليم الثالث عند درجة طول أربع عشرة درجة وأربعين دقيقة، ودرجة عرض ثلاث وثلاثين درجة واثنين دقيقة. أما الجغرافيون المحدثون حددوا موقعها عند طول درجة واحدة وثلاثين دقيقة غرب غرينتش وخط أربع وثلاثين وخمسين دقيقة شمال خط الاستواء⁽⁴⁾.

لقد تعددت المصادر في وصف إقليم تلمسان، وصفها لسان الدين بن الخطيب قائلا: «... تلمسان وما أدراك ما تلمسان، قاعدة الملك، وواسطة السلك وقلادة

(1) مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، د. ط، 2007م، ج1، ص263.

(2) عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ج1، ص53.

(3) التنسي، مصدر سابق، ص255.

(4) باسم كامل: تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير جامعة النجاء، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص26.

النحر، وحاضرة البر والبحر، وأصبحت للغرب بابا لركاب الحج، وإسهام الآمال هدفا ولدور العلماء والصالحين هدفا»⁽¹⁾.

أمّا يحيى بن خلدون فقال عنها: «مدينة عريقة في التّمدن طيبة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت اقتعدت بسفح جبل ورنيد عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الحسن تطل على فحص للفلاح»⁽²⁾.

وشهدت هذه المدينة صراعا قويا للسيطرة عليها بعد انهيار دولة الأدارسة بين الأمويين في الأندلس والمغرب الأقصى والفاطميين وولائهم في المغرب الأدنى وشجع كل طرف منها إحدى القبائل للسيطرة عليها حتى استقلت بني عبد الواد البربرية ضعف الدولة الموحدية فسيطرت على تلمسان، وبذلك بدأت مرحلة جديدة ونقلة توعية في تاريخ المدينة حتى أصبحت عاصمة لدولة إسلامية وقد برزت نواحي المدينة وخصوصيتها في النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية⁽³⁾.

(1) ابن الخطيب، لسان الدين (ت: 776هـ): كناسة الدكان (حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري)، تح: محمد كمال شبانة، ومراجعة: حسين محمود، وزارة الثقافة، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ط، د. ت، ص 167.

(2) يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ج 1، ص 75.

(3) باسم كامل: تلمسان في العهد الزياني، ص 11-12.

خامساً/ الأوضاع العامة للدولة الزيانية:

أ/ الأوضاع السياسية:

يعتبر يغمراسن المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية، حيث أخضع إلى سلطته كلّ الذين خرجوا عن طوع أخيه (زيدان)، وألغى سيطرة الموحيدين الفعلية، ولم يبق لهم إلا الدعاء للخليفة السعيد على المنابر أيام الجُمع والأعياد⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه نجد بني حفص قد ظهوروا في تونس، وبني مرين بالمغرب الأقصى، وكلّهم يرى جدارته بإرث الدولة الموحدية دون غيره.

ولقد عمرت دولة بني عبد الواد زهاء ثلاثة قرون، تولى السلطة فيها خمس وعشرون ملكاً، وصلت في أيام قوتها إلى احتلال مدينة فاس عاصمة المرينيين، ولم تسلم من الخطر الحفصي في الشرق، والخطر المريني من الغرب، وعموماً فقد شهدت الدولة الزيانية مرحلتين متباينتين:

-**المرحلة الأولى:** عصر القوة أو ما يعرف بالعصر الذهبي، الممتد من تأسيس الدولة إلى نهاية حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني.

-**المرحلة الثانية:** عصر الانحطاط والسقوط، الممتد من فترة نهاية القرن الثامن للهجرة حتى سقوط الدولة.

عمل يغمراسن بن زيان الذي حكم فترة طويلة امتدت من (633هـ-1235م/ 681هـ- 1282م)، على توسيع حدود الدولة وتوطيد قواعد الحكم، وضم القبائل

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص37.

إلى السلطة الزيانية، فتمكن من التوسع غرباً، حتى صار الحدّ الفاصل بينه وبين " بني مرين " و " وادي ملوية "، كما امتد نفوذه إلى مدينة "وجدة " و " تاوريرت "، كما توسع في المناطق الداخلية فأخضع " مازونة "، و " تنس " و " الونشريس"، و"المدية"، ومواطن " مغراوة"، و " توجين"، وسهل " متيجة " حتى أطراف مدينة " بجاية"، وجنوباً وصل إلى تخوم الصحراء⁽¹⁾. كما عمل على تشجيع الحركة الثقافية حيث قرب العلماء والأدباء، وقد شهدت " تلمسان " في عصره ازدهاراً اقتصادياً منقطع النظير، وحارب عناصر الفساد والفوضى وأرغم خصومه على الطاعة والخضوع له.

ولم تختلف سياسة من جاء بعد " يغمراسن " في جانب التوسع، فقد دخلت الدولة الزيانية في صراع مرير مع قبائل المغرب الأوسط وبني مرين، حتى تحقق للدولة في عهد أبي تاشفين (718هـ / 1318م) الاتساع المرجو، واستولوا على تونس، إلا أنه كان امتداداً مؤقتاً ما لبث أن انكمش، كما اتسعت في عهد أبي مالك عبد الواحد (814هـ / 1411م) واستطاع أن يوسع مجال الدولة، واستولى على نفوذ بني حفص بالمغرب الأوسط، واستولى بالمغرب الأقصى على عدة مناطق، منها فاس عاصمة بني مرين⁽²⁾.

(1) ينظر: عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ص222.

(2) عبد الفتا مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، مج5، ص110.

وبمرور الوقت أثر الصراع الداخلي على أفراد الأسرة الزيانية، فصارت في صراع متواصل، بين أبي زيان وأبي حمو، مما أدى إلى تدخل القبائل العربية التي ناصرت أبا زيان، وهذا ما دفع بأبي حمو إلى تخريب مضاربهم، الأمر الذي جعل القبائل تخلع طاعتها لأبي زيان⁽¹⁾.

ب/الأوضاع الاقتصادية:

يلعب الرخاء الاقتصادي دوراً فعالاً ومباشراً في تطور الحياة العلمية والفكرية، فبوفرة الأقوات تستكين الرعية وتستقر، وتعتمد إلى التحصيل العلمي، وتستمد الحياة الاقتصادية وجودها من الإمكانيات المتاحة من خلال أوجه النشاط الاقتصادي لمختلف السكان⁽²⁾. فبالنسبة للفلاحة والزراعة فقد عُنِيَ سكان الأرياف في المغرب الأوسط عموماً وتلمسان خصوصاً بالزراعة ورعي الأغنام، حيث كانت تربية المواشي تقوم جنباً إلى جنب مع الزراعة، فالمزارع يعتمد في قوته على المحصول الزراعي المقرون بالإنتاج الحيواني⁽³⁾.

وقد وصف العبدري (المتوفى أواخر القرن 7 هـ) قائلا: «تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر... ولها جامع عجيب مليح متسع. وبها أسواق قائمة.

(1) الغنيمي، مرجع سابق، مج5، ص132.

(2) وفاء بريق، التبادل الثقافي بين تلمسان وغرناطة، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

قسم التاريخ، جامعة عنابة، 2012م، ص23.

(3) حساني، مرجع سابق، ج2، ص28.

وأهلها ذوو ليانة... والدائر بالبلد كله معروس بالكرم وأنواع الثمار»⁽¹⁾. وقد ذكر يحيى بن خلدون (ت: 780هـ / 1138م) أن الأراضي التي توسطتها تلمسان منجبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الإصابة ربما انتهت في الزوج⁽²⁾ الواحدة منها أربعمئة مَدَّ كبير من البُرِّ سوى الشعير والباقلاء⁽³⁾، وقد وصف الحسن الوزان (ت: 957هـ / 1550م) حقول تلمسان وما جاورها بقوله: «تنتج أعنابا من كل الأنواع ذات نكهة رائعة وكرز من كل نوع وتين شديد الحلاوة أسود اللون»⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى هذه الأنواع من المزروعات تتوفر كذلك على زراعة الخضر كالجزر واللوبية والكرنب والخيار واللفت والبادنجال والقرع وقصب السكر... وكذلك توفرت على زراعة القطن التي تعتبر من المحاصيل الزراعية الهامة التي أدخلها العرب إلى بلاد المغرب وانتقلت زراعته لأغلب مناطق الدولة الزيانية لما له من أهمية في صناعة النسيج⁽⁵⁾.

أمّا الصناعة فنجد صناعات تلمسان عرفوا بحيوية نشاطهم ومهاراتهم واتقان منتجاتهم وكانت أهم الصناعات في تلمسان وضواحيها إضافة إلى صناعة النسيج

(1) العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد البلنسي (ت أواخر القرن 7هـ): الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د. ت، ص 9-10.

(2) الزوج أو الزوجية في عرف الفلاحين هي المسافة التي يحرقها محراث واحد في فصل الحرث. انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص 19.

(3) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص 19.

(4) الوزان، مصدر سابق، ج 1، ص 397.

(5) حساني، مرجع سابق، ج 2، ص 31.

صناعة الجلود التي لقيت رواجاً من قبل السكان الزيانيين، وكان أبرز المصنوعات الجلدية صناعة الأحذية والسروج واللجوم وصناعة الخبز والفخار ومواد البناء والحديد والخشب، وقد أورد يحيى بن خلدون (ت: 780هـ / 1138م) أبرز الصناعات العاملين بدار الصناعة حين قال: «... وكانت دار الصناعة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم فمن دراق وربما ذراع ولجام ووشاء وسراج وخباز ونجار وحداد ...»⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن الصناعة لم تكن من اختصاص الرجال وحدهم، فالنساء كن يشاركن فيها، فكانت لهن يد ماهرة في صنع الأثوبة الصوفية والتطريز والحياسة والدباغة في بيوتهن.

أما فيما يخص التجارة فقد شهدت انتعاشاً كبيراً، لأن أراضي الدولة الزيانية تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً الشيء الذي ساعدها في علاقاتها التجارية مع الصحراء والسودان والأندلس والمشرق وحتى مع أوروبا، فكان ميناؤها " هنين " يستقطب مبادلاتها مع المدن الأندلسية والإيطالية، ولم تكن مركزاً تجارياً وسوقاً فحسب بل أصبحت تصدر منتوجات صناعية مطلوبة في المشرق والمغرب⁽²⁾.

بالإضافة إلى ما كان ينتجه صنّاع وفلاحي القطر، وما كانوا يقتنوه من بضائع في رحلاتهم إلى بلاد السودان كان الذهب في المقدمة، وكان هذا المعدن العامل

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص 161.

(2) المعسكري الجزائري، محمد بن أحمد بن عبد القادر أبو راس الراشدي الجليلي (ت: 1238هـ): عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمد عالم، منشورات GASC، الجزائر، 2008م، ج 2، ص 28.

الأول في اغتناء تجار تلمسان بل والمدينة كلها، كما كان لبعض العائلات التلمسانية دوراً في ازدهار العلاقات التجارية، حيث يصف لنا المقري النظام الذي كان يسير عليه أجداده بتلمسان حيث أنشأوا مؤسسة تجارية لا تختلف كثيراً في تنظيمها وأساليب معاملتها عن المؤسسات التجارية التي نعرفها اليوم إذ قال: « واتخذوا طبلاً للرحيل وراية تقدم عن المسير »⁽¹⁾، فكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، وذلك يرسل إليه بالجلد والعاج والجوز والتبر، وهذا التواصل بين التجار من أقاليم وبلدان مختلفة نتج عنه تواصل وتفاعل، فإذا عاد التجار إلى مواطنهم حملوا معهم عادات وأفكار وأساليب جديدة، فالسلع هي دليل على حضارة المجتمع الذي انتجت فيه فإذا ابتغاهما مجتمع آخر تأثروا بمحمولتها الحضارية⁽²⁾.

ج/ الأوضاع الثقافية والفكرية:

لقد استفادت الحركة الفكرية بحاضرة تلمسان وتخومها من توجيه سلاطين بني زيان، وتشجيعهم المستمر لها، ورعايتهم للفنون والآداب وتدعيم النشاط الثقافي، فقد ازدهر في عهدهم فن نسخ المصاحف، وأمّهات الكتب الدينية المشرقية والمغربية، ناهيك عن المصنفات التلمسانية المحلية، وشتى الكتب العلمية والأدبية وانتشر فيها فن الرسائل الديوانية، في البلاط الزياني، هذه المؤلفات التي كانت تحفل بها القصور والخزائن العامة والخاصة، وتنافس العوام في اقتنائها أو نسخها، مما مهد لنشاط فن

(1) المقري، مصدر سابق، ج1، ص205.

(2) الطمار، مرجع سابق، ص209.

الخط والتجليد والتزيين والتلوين بعض حروفها، وتجميل أشكالها، وإخراجها في حلة تليق بها، وقد تنافس الفقهاء والخطاطون والطلبة في نسخ المصاحف، وتحبيسها على المساجد والزوايا، ومن الفنون التي برع فيها الزيانيون فن الزخرفة والعمارة الدينية التي اتسمت بالفخامة كمسجد سيدي بلحسن الذي يعتبر من أفخم المساجد في إفريقا ومسجد أولاد الإمام الذي أنشأه السلطان أبو حمو الزياني حوالي سنة 710هـ / 1310م⁽¹⁾، وجامع أبي الحسن الذي أسسه السلطان أبو سعيد عثمان حوالي سنة 696هـ / 1296م الذي تميز بالجدران المنحوتة من الرخام والصوامع الأنيقة والأبواب الخشبية المزخرفة التي تذكرنا بالزخرفة الأندلسية⁽²⁾.

كما شهدت البلاد تشييد أضرحة العلماء والفقهاء والأولياء الصالحين تخليداً لذكراهم، وأبدع المعماريون في بناء صوامع المساجد، والقصور وزركشتها بالنقوش والفسيفساء والشبابيك المنمقة بالبلور الشفاف⁽³⁾.

ورغم أن القرن التاسع يعرف بشيء من الانحطاط إلا أن مدينة تلمسان حافظت على مكانتها الفكرية والعلمية في شتى العلوم، ونشهد فيها تفوق الإمام القلصادي إلى جانب العلوم الشرعية فكثرت الشروء والحواشي والتعليقات. وشاع فيها علم المنطق والفلسفة والأدب شعره ونثره ونشط فن الرسائل بمختلف أنواعها

(1) انظر: حاجيات، مرجع سابق، ص 73.

(2) فيلالي، مرجع سابق، ص 146.

(3) بريق، مرجع سابق، ص 30.

والذي تزعمه كتابٌ اشتهروا بأسلوب السجع والمحسنات البديعية واللغة القوية إلى حد المبالغة في المراسلات وقد بلغ هذا الفن بمدينة تلمسان في العهد الزياني منزلة هامة ودرجة كبيرة ومن أبرز الكتاب نجد أبا بكر بن خطاب الأندلسي الذي اشتغل بديوان الرسائل بغرناطة ثم انتقل إلى مدينة تلمسان فجعله يغمراسن صاحب القلم الأعلى في بلاطه⁽¹⁾.

أمّا العلوم التجريبية فيبدو أنّها كانت قليلة مقارنة بسائر العلوم الأخرى، كما نجد علماء في التاريخ كـيحيى بن خلدون (ت: 780هـ / 1138م)، صاحب كتاب " بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد"، وعبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1406م)، صاحب كتاب "ديوان العبر..."، والإمام الحافظ التنسي (ت: 899هـ / 1493م)، صاحب كتاب "نظم الدرر والعقيان في شرف آل زيان"، ... وعن الإنتاج العلمي للقرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي، يقول أبو القاسم سعد الله: «... يعتبر إنتاج القرن التاسع للهجرة من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات، وفي إحصاء سريع أجريته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر وجدت أنّ عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة»⁽²⁾.

(1) بريق، مرجع سابق، ص 67.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ج1، ص25.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الفكرية وصلت أوج ازدهارها، وذلك من خلال إسهامات سلاطين بني زيان وعنايتهم بتشجيع الحركة الفكرية والعلمية وهذا يعود إلى نزعتهم العلمية التي اتصف بها بعض أمراء الدولة الزيانية، حيث استطاعوا تخليد مآثرهم التي برزت في المدارس والمكتبات والقصور التي ازدانت بها عاصمتهم، وهي بدون شك تصور الرقي الحضاري للبلاد.

وسعى السلاطين في حكمهم إلى تشجيع الرحلات العلمية التي خصّوا بها الطلبة المرتحلين إلى بيت المقدس، والحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة، وكذا الالتقاء بعلماء الأمصار والاستفادة من علومهم ومصنفاتهم، فكان التلاقح والتّمازج الفكري والحضاري بين فقهاء الغرب الإسلامي ونظرائهم من شتى البقاع⁽¹⁾.

ولم يتوقف الأمر على الرحلات للمشرق، بل تجاوزها إلى غرناطة بالأندلس حيث شجعوا الرحلات العلمية بين تلمسان وغرناطة وذلك من خلال تبادل الآراء والمعارف والامتزاج الثقافي ممّا مكن من مدّ جسور العلم بينهما بالرغم من تدهور الأوضاع السياسية، وكدليل على هذا التأثير انتشار الموسيقى الأندلسية بتلمسان عن طريق هجرة الأندلسيين إليها⁽²⁾.

(1) للمزيد ينظر: فيلالي، مرجع سابق، ص 313 وما بعدها.

(2) (ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت: 808هـ / 1406م): المقدمة، (نسخة محققة لوان بإخراج جديد)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص 92.

د/ الأوضاع الاجتماعية:

تكونت عناصر المجتمع الزياني من عنصرين أساسيين نقصد بهما: البربر والعرب الذين وُحِدَ بينهما الدين الإسلامي؛ وبالمصاهرة توحّدت اللّحمة بين الطائفتين، وسأحاول أن أستعرض مكونات العنصرين البربري والعربي:

1. القبائل البربرية:

تعتبر قبائل " زناتة " أهم قبيلة استوطنت المغرب الأوسط ويقول عنها عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1406م): « أخذون شعار العرب في سكنى الخيم، واتخاذ إبل وركوب الخيل، والتّقلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران والإبانة على الانقباض للنصفة »⁽¹⁾.

ومن جملة قبائل زناتة المستوطنة في المغرب الأوسط نذكر مغراوة وبنو يفرن، بنو زردال بنو راشد بنو توجين وبنو عبد الواد الذين استقروا بالحكم، واتخذوا تلمسان عاصمة لهم وتلون لسانهم بالعربية بعد امتزاجهم بالعرب.

2. القبائل العربية:

يعتبر القرن الخامس للهجرة بداية لتعريب المغرب الأوسط بعد دخول العرب الفاتحين إليه، خاصة بعد دخول الغزو الهلالي وأحلافهم من العرب الذين استوطنوا واختلطوا وصاهروا القبائل الزناتية⁽²⁾.

(1) ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج13، ص3.

(2) الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004 / 2005م، ص34.

وما هو جدير بالذكر أن هناك قبائل أخرى استوطنت في بلاد المغرب الأوسط ونقصد به أهل الأندلس الذين شردوا من ديارهم نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع⁽¹⁾.

3. اليهود والنصارى:

استوطن اليهود هذه المنطقة بعد نزوحهم من أغادير بالمغرب الأقصى، وسرعان ما تضاعفت أعدادهم أثناء العهد الزياني، وقد لاحظ المغيلي أن اليهود قد تجاوزوا الحدود الشرعية، واستعلوا على المسلمين بالتعدي والطغيان والتمرد على الحكام، كما رأى تساهلا من المسلمين مع هؤلاء حتى أن الواحد منهم يقربه من نفسه وعياله، ورأى نشاطهم في إحداث الكنائس والبيع، حتى أنهم امتنعوا عن دفع الجزية، وتعاملوا بالربا واعتدوا على حرمة النساء كما شهد عهدهم استحواذهم على دار السكة التي كانت تصك النقود بمختلف ألوانها وأوزانها⁽²⁾.

وعموما فقد تميز اليهود في لباسهم بوضع عمامة صفراء على رؤوسهم وبرائيس حمراء، ويتمنطقون بحزام عريض⁽³⁾. وعرف اليهود ببراعتهم في الطب وكان منهم الحرفيون والتجار والصناع ...

(1) " فأخذ الأندلسيون يتسللون لوإذا ملتجئين إلى هذا الشمال الأفريقي ابتداء من سنة 856هـ / 1452م،

فحل أكثرهم يومئذ بالجزائر فلحقهم الأسبان بمراكبهم ". الجيلالي، مرجع سابق، ج2، ص273.

(2) المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مدونة نازلة يهود توات، تح: مقدم مبروك، منشورات تلمسان عاصمة

الثقافة الإسلامية، 2011، مج5، ص24.

(3) الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20.

أمّا النصاري؛ فقد استخدمهم ملوك بني زيان في الحرس والجيش وهم في غالبهم أوريبيون ولجوا المغرب عن طريق التجارة واستوطنوا في فنادق خاصة بهم وكانوا من جنود البندقية ومرسيليا... وإلى جانب هؤلاء وجدت جوارى مسيحيات خدمن البلاط الزياني إلى جانب الخصيان الذين عملوا على خدمة الحريم⁽¹⁾.

أما بالنسبة للحضور السياسي لأهل الذمة في العهد الزياني، فلا نجد السلاطين قد ولوهم مناصب سياسية مرموقة حسب الأدبيات التاريخية التي وصلتنا، ولعل التفسير المنطقي الأقرب أن «الزيانيين قد استفادوا من التجارب السابقة للدول الإسلامية المتعاقبة، جرّاء استعمال الذميين في المناصب السامية والموموقة، ولعل أبرزها استعمال دولة بني زيري في غرناطة لليهودي ابن النغيلة وابنه، وما حدث من ثورة عارمة من طرف أهل غرناطة، واستعمال المرينيين لليهود، وما آل إليه أمرهم من الخسران، وألهب صدور العامة في فاس، فثاروا ضد حكم بني مرين»⁽²⁾ لهذه الأسباب تحاشوا المغامرة بهم في هذه المناصب.

أمّا عموم المجتمع الزياني فتكون من أرباب السيوف والفقهاء والقضاة وذوي المهن والحرف والتجار والفلاحين والطلبة...⁽³⁾.

(1) الوزان، مصدر سابق، ج2، ص21.

(2) عبد الصمد حمزة، محمد بوركبة، الحضور السياسي لأهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة وهران 1، مج5، ع12، ديسمبر 2017، ص10.

(3) موسى لقبال وآخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج3، ص489-490.

وبالنسبة للعادات والتقاليد؛ فنجد أن الزيانيين اشتهروا بإقامة احتفالات دينية على غرار المولد النبوي الشريف خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني، وقاموا باحتفالات بمناسبة ختم أولادهم للقرآن الكريم، كما فعل أبي حمو موسى الثاني سنة (770هـ / 1368م)، بمناسبة ختم ولده الناصر للقرآن، وقد صور يحيى بن خلدون هذا الاحتفال بقوله: « دعا إليها الأمم عربها والعجم والأعراب والأشراف والمشروف والرفيع والوضيع، وحشد فيها أصناف المغنيين، وأرباب العزف والآلات الموسيقية والألحان بتلمسان، فاجتمع الناس بداره وابتهجوا بالغناء على أنواعه، وطعموا من ألوان الطعام العديدة المقدمة لهم عنده »⁽¹⁾.

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص310.

الفصل الثاني

الوظائف السامية: إشكالية المصطلح وشروط التولية

المبحث الأول: تعريف الوظائف السامية

المبحث الثاني: شروط التولية

المبحث الثالث: موقع الوظائف والالقباب السلطانية في الفكر السياسي

بالمغرب الإسلامي قبيل العهد الزياني

المبحث الأول: مفهوم الوظائف السامية

تُوسَّمُ الوظائف السامية إبان العصر الوسيط عموماً في كثير من المؤلفات والأدبيات التاريخية التي تعني بالنظم الإسلامية والسياسة الشرعية بالوظائف السلطانية، ووصفت بهذا الوصف لارتباطها المباشر بولي الأمر أو السلطان أو الحاكم، والسلطان نفسه في المشهور والغالب لا يستغني عمّن يعاونه ويشاركه في تسير شؤون حكمه وسياسة رعيته، كل في مجال تخصصه ودرايته وتمكنه وحقله، وقد بيّن المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م) موقعها في الحكم الإسلامي وأهميتها بنص نادر ومهم حين قال: «ثم اعلم أنّ الوظائف السلطانية في هذه الملة الإسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتغال منصب الخلافة على الدين والدنيا، كما قدمناه فالأحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها في سائر وجوهها، لعموم تعلق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد...»⁽¹⁾.

ثم يضيف مؤرخنا حول ارتباط هذه الوظائف بسعة السلطان وتطور الدولة: «... وظائف الملك والسلطان ورتبته، إنما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر، لا بما يخصها من أحكام الشرع ...»⁽²⁾، فهي كما يبدو من هذه العبارة أنها ترتبط مباشرة بمدى توسع الدولة وعظمتها، وكثرة متطلباتها، وعلو شأنها، وتعدد اهتماماتها، ورغبتها في التوسع والكمال والغنى والترفع والأبهة والتجمل... وغيرها من دواعي الحضارة والتأنق.

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص418.

(2) نفسه، ص418.

وقد أعطى الجاحظ (ت: 255هـ) موقفاً في ظاهره غريب، وفي باطنه يُعطي الصورة التي يريد بها الرُّواد الأوائل للفكر السياسي الإسلامي لولي الأمر، حين قال: « وأولى الأمور بأخلاق الملك إن أمكنه التفرد بالماء والهواء ألا يُشركَ فيهما أحداً، فإن البهاء والعزَّ والأُبَّهة في التفرد... »⁽¹⁾.

فاللقاب السلطانية إذن في ظاهرها هي « شارات تدل على وجود المؤسسة وتُعبّر عما تتطوي عليه السلطة... وفي باطنها تُبقي على البون الإحترامي اللازم والمطلوب بين ذوي السلطة وعامة الناس »⁽²⁾.

وقد فصلت كثير من مصنفات وكتب النظم الإسلامية والسياسة الشرعية أهداف هذه الوظائف ودورها في النهوض بقوة السلطان، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ذكره الماوردي (ت: 450هـ) في فصل " في استقرار الخلافة " من " الباب الأول: في عقد الإمامة ": التي حصرها في عشرة أهداف وهي:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرّة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مُبتدع أو زاع ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبَيَّن له الصواب، وأخذ بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتّى تعمّ النصفة، فلا يتعدّى ظالمٌ، ولا يضعفُ مظلومٌ.

(1) الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر (ت: 255هـ): التاج في أخلاق الملوك، دار صعب، بيروت ، لبنان، ط1، 1970، ص55.

(2) محمد شقير: المراسيم السياسية بالمغرب بين العصرية والتحديث من ق 3 ق م إلى ق 21، افريقيا الشرق، المغرب الأقصى، 2006، ص22.

الثالث: حماية البَيُضَةِ وَالذَّبُّ عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعاش، وينتشرُوا في الأسفارِ آمِنِينَ من تغريرِ بنفسِ أومال.

والرابع: إقامة الحدود؛ لثُصَانِ محارمِ الله تعالى عن الانتهاك، وَتَحْفَظَ حقوقَ عباده من إِتْلَافٍ واستِهْلَاك.

والخامس: تَحْصِينُ الثُّغُورِ بِالْعِدَّةِ المانعة والقوَّةِ الدَّافِعة حتَّى لا تَظْهَرِ الأعداءُ بِغَرَّةٍ يَنْتَهِكُونَ فيها مُحَرَّمًا، أو يسفكون فيها لمُسلم أو مُعَاهِدٍ دَمًا.

والسادس: جِهَادُ مَنْ عَانَدَ الإِسْلَامَ بعد الدَّعْوَةِ حتَّى يُسَلَّمَ أو يَدْخُلَ في الذِّمَّةِ؛ لِيُقَامَ بِحَقِّ الله تعالى في إظهارِهِ على الدِّينِ كُلِّهِ.

والسابع: جَبَايَةُ الْفَيِّءِ وَالصَّدَقَاتِ على ما أوجبه الشَّرْعُ نَصًّا واجتهادًا من غيرِ خَوْفٍ ولا عَسْفٍ.

والثامن: تَقْدِيرُ العَطَايَا وما يَسْتَحِقُّ في بَيْتِ المال من غيرِ سَرْفٍ ولا تَقْتِيرٍ، ودفعه في وقت لا تَقْدِيمَ فيه ولا تَأْخِيرَ.

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النُصَحَاءِ فيما يفوض إليهم من الأعمال، وَيَكِلُهُ إليه من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

العاشر: أَنْ يُبَاشِرَ بِنَفْسِهِ مُشَارَفَةَ الأمورِ، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة المَلَّةِ، ولا يُعَوَّلُ على التَّفْوِيضِ تَشَاغُلًا بِلَذَّةٍ أو عِبَادَةٍ...⁽¹⁾.

(1) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450 هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، ص76.

ومنه فإنّ الكثير من الخطط الدينية الشرعية على غرار القضاء والحسبة والجهاد وغيرها كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى (الخلافة) فهي الأصل الجامع وهذه كلها متفرّعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدينية⁽¹⁾.

وتبعاً لهذا التوصيف اللغوي الفقهي « تُعدّ الألقاب من خصوصيات الذات السلطانية لوحدها، إذ تمّ توظيفها لأهداف وأغراض سياسية ودينية محضة، باعتبار أن الحُكام أرادوا جعلها دليلاً من دلائل المشروعية، فالتهافت على حصد الألقاب والكنى يُفسر هذا الجانب في المشهد السياسي، إذ لا يمكن أن تكتمل مقومات الدولة إلا بالألقاب أربابها⁽²⁾ ».

فالسلطان في هذا الموضع مسؤول عن تحقيق التوازن والانصاف، وهو الطرف الأقوى، وهو الذي يحدد مفهوم العدالة أو يوحى للكاتب السلطاني بتبني موقفه بترتيب مجال عدالة يتمشى منع طموحه في استمرار سلطته، وبذلك تكون الدائرة السلطانية هي الرحم⁽³⁾. على حد قول أحد الباحثين المتمرسين في الموضوع.

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص418.

(2) هشام المتوكل: الألقاب السلطانية: دلالاتها ووظائفها خلال العصر الوسيط ما بين القرنين 2 و5هـ/ 8 و11م، مجلة التراث، ع1، مج10، أفريل 2020، ص358.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش: خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2014، ص18.

يقول ابن الجوزي في هذا السياق: «إن تكريم المخاطب وبيان رتبته ... إذا نال من الرياسة نهاية المقصود لم يُخاطب إلا باللقب المحمود...»⁽¹⁾.

فالألقاب السلطانية تعطي عنواناً للأبهة، وصورة للفخامة، وتقريراً للمكانة المرموقة لأولي الأمر، كما تكون في الواقع الفعلي أنموذجاً للمهابة أمام الأعداء الذين يتربصون الدوائر بالدولة، ويتحions الفرص من أجل الإيقاع بها، حال المرينيين مع بني عبد الواد.

وهو يعطي- في الوقت نفسه- صورة عن امتداد الملك وتمكنه، بعد أن كان في ظاهره فكراً قليلاً يعيش على هامش الحكم القائم مستمدة روابطها من العصبية ويحتل أعضاؤها أهم مناصب الدولة الساميّة، ويحتكرون جميع فوائد ممارسة السلطة في نطاق الدولة القائمة، من جمع للضرائب، والغنائم الحربية والوقوف على المسؤوليات وسد حاجات الناس المتجددة، وحفظ الشرائع والمصالح، وغيرها من المهام التي تبدو مرموقة ومهمة⁽²⁾.

(1) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح: عبد العزيز الراجحي الصاعدي، د. م، د. ط، 1993م، ص55.

(2) محمد ولد دادة: مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1977، ص188.

المبحث الثاني: شروط التولية

يرى أحد الباحثين المتخصصين في الفكر الإسلامي أن الوظائف السلطانية تظهر معناها من خلال الأهداف التي تسعى إليها التي ترسمها القيم الإسلامية الراسخة، فالوظائف السامية في مدلولها الإسلامي هي قيم روحية أولاً، ثم ممارسة هادفة لتحقيق أهداف واضحة مرسومة سلفاً⁽¹⁾.

ومن خلال هذا المنطلق كان ولاية الأمر يحرسون كل الحرص في اختيار وتولية أصحاب المراتب العليا والمكانة المرموقة، ولعل أهم الشروط الواجب توفرها في أصحابها قد نجدها متناثرة في كتب التاريخ والفقه والسياسة الشرعية، وربما نجدها تختلف في بعض الأحيان عند الحاكم نفسه، نظراً لميوله وعقيدته وخلقه وتكوينه، ولعل أحسن ما قيل في شروط التولية ما أورده أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ/1111م) في مصنفه الفريد: "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" المعروف بـ "نصيحة الملوك"، حيث شدّد على صفة التقوى وقوة الاعتقاد بالدين في الشخص المؤهل للولاية، حين قال: «اعلم أن الله عليك نعماً ظاهرة، وآلاء متكاثرة، يجب عليك شكرها، ويتعين عليك إذاعتها ونشرها، ومن لم يشكر نعم الله... فقد عرض تلك النعمة للزوال»⁽²⁾.

(1) ينظر: محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، لبنان، د ط، د. ت، ص 22.

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ/1111م): التبر المسبوك في نصيحة الملوك المعروف بنصيحة الملوك، دراسة وتح: محمد أحمد دمج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987، ص 93.

ويتفق الغزالي مع أعلام المذهب السني كالماوردي والبغدادى والباقلاني وغيرهم الذين أجمعوا على وجوب توافر عدد من الصفات في المسؤول، كالعلم والورع والصدق والنجدة وسلامة الحواس والأعضاء، والنسب الشريف... وفي الأخلاق نجده يوضح بقوله: « فالسلطان سيد الرعية ومدبرها ومعلمها، وهو مثلها الأعلى ويحتذى به، فإن أحسن السيرة والتصرف اقتدت به الرعية، وإن ساء خلقه وفسد تدبيره فسدت الرعية وساء طبعها وانقلبت عليه، فإن طباع الرعية نتيجة طباع الملوك، لأن العامة إنما ينتحلون ويرتكبون الفساد وتضييق أعينهم اقتداء منهم بملوكهم، فإنهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم »⁽¹⁾؛ لأن الحاكم في الأصل تكتمل عنده المعارف والخبرات، وتجتمع فيه الخصال، التي لا تتوافر في أحد سواه من بني البشر، وهذا الحاكم هو رئيس المعمورة كلها عند الفارابي⁽²⁾ وفي نفس المعنى جاء لفظ " انعقاد الإمامة " في البداية على لسان أبي الحسن الأشعري (ت: 330هـ) في " مقالات الإسلاميين " أول النصوص الإسلامية المدونة التي يظهر فيها المصطلح كمسألة سياسية، والتي أراد فيها أن يستعرض اختلاف الفرق الإسلامية في مسألة اختيار الحاكم، « فقال قائلون: لا تكون إلا بنص من الله سبحانه وتوقيف... وقال قائلون قد تكون بغير نص ولا توقيف، بل بعقد أهل العقد »⁽³⁾.

(1) الغزالي، مصدر سابق، ص197.

(2) الفارابي، أبو نصر: كتاب السياسة المدنية، تح: فوزي نجار، دار الكتب، بيروت، ط1، 1963، ص79.

(3) يبدو أن مفهوم " أهل الحل والعقد " تخمر في فكر جماعة المسلمين وكان في فكر حسن البنا مفهوما تراثيا محتفظا بتحوله، وهو يحاول أن يجد له مكانا في مكونات الواقع السياسي الذي عاصره، دون أن يكون

ونلاحظ هنا الاستخدام غير الاصطلاحي الذي يرد في عبارة الامام الأشعري (ت: 330 هـ)، حيث يستخدمها كمفردة عامة وبشكل لا يخلو من مجاز، لا كمصطلح تقني خاص، وهو نفس الأمر المتكرر مع مسألة موالية لها بعنوان: "قولهم فيمن تتعقد بهم الإمامة"، والتي يفصل فيها اختلافهم في العدد اللازم "لانعقاد" الإمامة، والتي تراوحت ما بين قول "قائلين" بأنها تتعقد برجل واحد، وحتى قول الأصم أنها "لا تتعقد إلا بإجماع المسلمين" (1).

كما يرى كثير من العلماء أن توليه هذه المناصب تكون في جماعة محددة بعينها يطلق عليها في العرف الفقهي بأهل الحل والعقد، وهم جماعة مخصوصة من وجوه الناس، يمثلونهم في رعاية أمورهم العامة.

ويمكن تفصيل هذا التعريف بالقول: إن أهل الحل والعقد عموماً: وهم الجماعة المخصصة، الذين تختارهم الأمة من وجوهها المعروفين المطاعين، ذوي العدالة والعلم والأمر العام، وبخاصة العلماء المشهورين ورؤساء الناس، وتتبعهم فيما ينبون فيه عنها، من إقامة مقصود الإمامة، ورعاية أمور الأمة ومصالحها

=

مفهوماً منهجياً يؤسس لموقف سياسي، ويزداد هذا المفهوم هامشية في فكر حسن البنا إذا ما وضعنا في الاعتبار ما نقله بعض المقرّبين من البنا من أنّه كان يعتبر أنّ الشورى من الأساس معلّمة وليست ملزمة، فعلى الحاكم من وجهة نظره أن يستشير أهل الحل والعقد، ولكن ليس عليه أن يلتزم برأيهم أو برأي أكثرهم، وقد نقل ذلك القرضاوي عن بعض المقرّبين من حسن البنا، للمزيد ينظر، القرضاوي، د. يوسف، التربية السياسية عند الإمام حسن البنا، مكتبة وهبة، القاهرة، 2007، ص 90.

(1) الأشعري، أبو الحسن (ت: 330 هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، د. م. د. ط، 1990، ص 148.

العامة، وأهمها: اختيار رئيس الدولة، وهناك شروط الواجب توافرها في أهل الحل والعقد أهمها الوجاهة أو الشوكة، والعدالة، والعلم بأمور الإمامة، ولا يشترط فيهم بلوغ مرتبة الاجتهاد، ولا تشترط فيهم الذكورة، ويجوز إدخال ممثلين عن غير المسلمين ضمن جماعة أهل الحل والعقد⁽¹⁾، بشروط فصلتها كتب الفقه والنظم الإسلامية، على غرار الفراء أبي يعلى (ت: 458 هـ)، الذي يستخدم في مطلع حديثه عبارتي "أهل الاجتهاد" و"أهل الاختيار"، ثم يستقرّ بعد ذلك على استخدام عبارة "أهل الحل والعقد" في باقي كتابه، وينحاز أبو يعلى في البداية لضرورة موافقة "جمهور" أهل الحل والعقد على مبايعة الإمام حين يقول: «فأما انعقادها باختيار أهل الحل والعقد فلا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد»، ويروي في ذلك رواية متواترة (عن إسحاق ابن إبراهيم) تؤيد ما ذهب إليه⁽²⁾.

لكنّه يعود مجدّداً ليفتح باب تحقيقها بالغلبة والقهر، فيستدرك: وروي عنه (يعني إسحاق بن إبراهيم) ما دلّ على أنها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفنقر إلى العقد، فقال في رواية: «... ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، برّا كان أو فاجراً»⁽³⁾.

(1) بلال صفى الدين، أهل الحل والعقد في نظام الحكم الإسلامي، دار النوادر، سوريا، د. ط، 1429 هـ، ص164.

(2) الفراء، أبو يعلى: الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 2000، ص23.

(3) الفراء، المصدر السابق، ص29.

إنَّ أهم عناصر أهل الحل والعقد هم العلماء، ورؤوس الناس، وقادة القوى المسلحة؛ لتبعية الناس لهم، ولوجهاتهم بين العامة، أما المناصب الإدارية فلا تخول أصحابها الدخول في جماعة أهل الحل والعقد إذا لم تكن لهم وجهة بين العامة⁽¹⁾.
إنَّ طريقة تمييز أهل الحل والعقد هي الانتخاب من قبل العامة، المكلفين العدول، ولا تشترط الذكورة، ويحق لغير المسلمين انتخاب ممثلين عنهم بشروط، ولا يجوز إلزام العامة بممثلين يعينهم رئيس الدولة أو غيره ممن لم تنتخبهم العامة، ويختص أهل الحل والعقد ببيعة رئيس الدولة، وبغزله عند الحاجة، وبإقرار الالتزامات التي تمس مصالح العامة، ولهم الرقابة، وتحقيقاً لمصلحة الأمة.

بالإضافة إلى الشروط الضرورية البديهية التي لا مجال للتفصيل فيها على غرار العقل، وسلامة الحواس: سمع وبصر وكلام من العلل والنقص، والمرض القاهر الحائل دون ممارسة المهام، هناك شروط أخرى تفصيلية حرص ولاية الأمر على توفرها في متولي المنصب حتى يكون أهلاً له، ومن أهمها نذكر:

أ- الذكورة: عموماً يتولى الرجال المناصب السامية في الدولة الإسلامية، وتُستثنى النساء من ذلك لا عيب في عقولهن، ولكن لاعتبارات كثيرة، وقد ذهب الفقهاء المسلمون في شرط الذكورة في اتجاهين يمكن تقسيمهما على النحو الآتي:

(1) بلال صفي الدين، مرجع سابق، ص166.

- الاتجاه الأول:

ويرى أنه لا ينعقد، وذهب هذا المذهب العديد من فقهاء الجمهور وقد استدل هذا الاتجاه على ذلك بأدلة عديدة منها؛ قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ [سورة النساء، الآية: 34]. بمعنى: في العقل والرأي والحكمة، وتسببق العقل على العاطفة، وفي تولي المرأة نوع من مخالفة للنص.

كما روي أن كسرى لما مات، سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخلف على الملك؟ قالوا استخلف ابنته نوري، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»⁽¹⁾. وقد فسروا الحديث أنه خرج مخرج الذم الذي يقتضي النهي الصريح.

وقد استدل الإمام الماوردي (ت: 450هـ) في هذا فقال: لأنه لما منعها نقص الأنوثة من إمامة الصلوات، مع جواز إمامة الفاسق، كان المنع من القضاء الذي لا يصح من الفاسق أولى، ولأن نقص الأنوثة يمنع من انعقاد الولاية كإمامة الأمة⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر. من حديث أبي بكرة ؓ، رقم الحديث: 4163، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط3، 1407هـ / 1987م، ج4، ص1610؛ وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث: 4425. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379هـ، ج7، ص732.

(2) الماوردي، مصدر سابق، ص66.

كما أنه لم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الخلفاء من بعده أنه أسند أمراً إلى امرأة ولو كان جائزاً لما خلت هذه العهود من قضاء النساء، وقد قال الإمام القرطبي محمد بن أبي بكر (ت: 671 هـ): «وقد رُوي أن عمر أنه قدّم امرأة على حسبة السوق، ولم يصح، فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث»⁽¹⁾.

- الاتجاه الثاني:

حيث ذهب فقهاء آخرون إلى جواز تولي المرأة المناصب على غرار القضاء، على تفصيل، فقد ذهب فقهاء الأحناف إلى أنه يجوز للمرأة أن تقضي فيما عدا الحدود والقصاص، إذ لا تقبل شهادتها فيهما فلا يصح قضاؤها فيهما أي أن أهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة⁽²⁾.

ب- الكفاءة: وهي التمكن من المنصب المراد شغله، من حيث العلم والعمل والنزاهة وحسن الرأي والتدبير والذكاء والفطنة والدهاء وغيرها، وكل منصب له شروطه ومقتضياته المحيطة به، وقد بين النبي ﷺ هذا الأمر فيما رواه أبو ذرٍّ رضي الله عنه حين قال: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ:»

(1) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ/ 2003 م، ج13، ص183.

(2) عبد الفتا أبو العينين، القضاء والإثبات في الفقه الإسلامي، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ط1، 1983 م، ص16.

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا
وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»⁽¹⁾.

ج- التصريح بالامتلاكات قبل التوظيف والتكليف، وهذا الشرط فيه صون
للممتلكات العامة ومراقبة لدقائق المصاريف والحسابات، ولعل الخليفة الثاني عمر ابن
الخطاب من الأوائل الذين سنوا هذه السنة في محاسبة ولاته، وعرفت بسياسة أنى
لك هذا ؟، وسارت بعد هذا نبراساً يحتذى به، وقد ضمنت هذه السياسة اعتدال
المتولين وتورعهم في التصرف في الأموال العامة، لأن هذه السياسة يقابلها حتما
ردع المخالفين ممن سولت لهم أنفسهم مس ما ليس لهم.

د- ولاية الأصلح: لا يحل للإمام (الحاكم) ولا غيره أن يقدم من يقوم
بالمصالح لولاية من قضاة وغيره من هو أقوم بها، ثم يجد لتلك الولاية من هو أقوم
بها وجب عليه عزل الأول وتولية الثاني، لأن ولاية الأقوم أصلح⁽²⁾.

هـ- العدل في الكلام والسلوك: فقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَوْمَ مِنْ أَيَّامٍ إِمَامٌ عَادِلٍ
أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً». قلت: وناهيك مِنْهَا حَالَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَحْوَالِ فَآخِرَةٌ،
تَزِينُ دُنْيَا وَتَثْبِتُ آخِرَةً، أَوْفَتْ عِبَادَةَ الْعَابِدِينَ مَقَامًا، إِذَا نَالَتْ مُحَاوَلَهَا أَفْخَرُ مَالًا
وَأَشْرَفُ مَقَامًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْخَالِقِ، وَرَحْمَةٌ مَوْجُودَةٌ فِي

(1) أخرجه مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث: 4823. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن
مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة،
بيروت، لبنان، د. ط، ج6، ص6.

(2) (المغيلي التلمساني، محمد بن عبد الكريم: رسالة في الغلائف، تح: مبروك مقدم، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر، ط1، 2016، ص216.

الْخَلَائِقُ، يَقْمَعُ سَيْفَهُ كُلَّ بَاغٍ وَعَادٍ، وَيَكْنِفُ ظِلُّهُ كُلَّ مَلْهُوفٍ وَصَادٍ، وَهُوَ غَرَسَ جَنَاهُ أَعْذَبَ خَيْرٍ، لِأَنَّ خَيْرَ الْأَعْمَالِ مَا تَعْدَى نَفْعَهُ إِلَى الْغَيْرِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «بِالرَّاعِي تَصْلَحُ الرَّعِيَّةُ، وَبِالْعَدْلِ تَمْلِكُ الْبَرِّيَّةُ وَمَنْ عَدَلَ فِي سُلْطَانِهِ اسْتَغْنَى عَنْ أَعْوَانِهِ، وَالظُّلْمُ مُسْلِبَةٌ النِّعَمِ، وَمَجْلِبَةٌ النِّقَمِ، وَأَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ سُرْعَةَ الظُّلْمِ وَأَنْفَذَ السِّهَامِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْعَدَوَانِ سَلَبَ مِنَ السُّلْطَانِ». وَقَالَ أَرِسْطُو طَالِيَس: «الْحَكِيمُ الْعَالَمُ بَسْتَانٌ، سِيَاجُهُ الدَّوْلَةُ، الدَّوْلَةُ وَلَايَةُ تَحْرُسُهَا الشَّرِيعَةُ، الشَّرِيعَةُ سَنَةٌ يَسْتَتِهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ رَاغٍ يَعْضُدُهُ الْجَيْشُ، الْجَيْشُ أَعْوَانُ يَكْفِيهِمُ الرِّزْقُ، الرِّزْقُ مَالٌ تَجْمَعُهُ الرَّعِيَّةُ، الرَّعِيَّةُ عَبِيدٌ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْعَدْلُ»⁽²⁾.

وَيُسْتَشْفَى مِنَ التَّفَرُّعَاتِ وَالتَّقْسِيمَاتِ أَنَّ الْعَدَالََةَ تَتَضَمَّنُ شَقَيْنِ: شِقٌّ شَرْعِيٌّ وَشِقٌّ سِيَاسِيٌّ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تَطْرُقُ كَيْفِيَّةَ التَّوَافُقِ بَيْنَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْمَوْقِفِ الشَّرْعِيِّ وَالْمَوْقِفِ الدُّنْيَوِيِّ، لِتَطْوِيرِ مَسَارِ الْعَدَالَةِ، وَتَقْرِيبِ الشَّقَّةِ بَيْنَ اسْتِبْدَادِ الْحَاكِمِ وَانْتِفَاعِ الرَّعِيَّةِ بِعَدَالَتِهِ، لِذَلِكَ تَذْهَبُ النُّصُوصُ السُّلْطَانِيَّةُ إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى عَدَالَةِ السُّلْطَانِ انْطِلَاقًا مِنْ ذَاتِ السُّلْطَانِ نَفْسِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ صَلَاحَ النَّاسِ فِي حُسْنِ سِيرَةِ الْمَلِكِ⁽³⁾.

(1) محمود بن منصور بن حبّيش ابن الحداد: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تح: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983م، ص120.

(2) نفسه، ص123.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص26.

و- إلزامية التصريح بالولاء، والإفاضة في تحسين صورة الحاكم، إلا أن منهم من كان ديدنه رعاية مصالح الأمة حتى وإن قدم ذلك على أطباق من المد [والاسترسال في تعداد محاسن السلطان، وتحسين صورته عند العامة⁽¹⁾].

ز- الشراء أو الاستغناء: نظرا لما تكتنفه بعض الوظائف السلطانية من عدم الإستقلالية وتأثرها بما يرغبه السلطان، ومن أجل أن يكون أرباب الوظائف السلطانية مستقلين في رأيهم غير تابعين في حكمهم إلا للدليل، شرط كثير من العلماء أن يكون هؤلاء أغنياء ليسوا بمدينين ولا محتاجين⁽²⁾، حتى لا يلجأوا للناس، أو تمتد أيديهم إلى الحرام والخلسة.

وقد بيّن المرادي في مؤلفه الشهير أن السلاطين ثلاثة: سلطان عدل وأمانة، و Sultan جور وسياسة، و سلطان تخليط وإضاعة، فأما الاول فله أربع فضائل: الأجر والثناء والنصر والبقاء... وأما سلطان الجور فإنه يحتاج لفنون من التدبير يستعطف بها القلوب، وأما سلطان التخليط فإنما هو لذّة الساعة، ودار الدهر، وفساد الدين والعرض، وخسارة الدين والدنيا، واستعجال الفقر والذلة، وربما سحب ذلك تلف المهجة⁽³⁾.

(1) عبد الجليل قريان: تاريخ العلوم العقلية بالمغرب الإسلامي في العصر الزياني، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، ط1، 2020م، ج1، ص130.

(2) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس، تح: لجنة إحياء التراث، لبنان، ط5، 1983م، ص164.

(3) المرادي، أبو بكر محمد: كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص44.

وبالنسبة لشرط الإسلام فقد قيل فيه الكثير، وعموما فهو مُقيد لبعض المناصب فقط وليس كلّها⁽¹⁾، لأنه ثبت تولية كثير من أهل الذمة من اليهود والنصارى من الفتح الإسلامي إلى قيام الدول شرقا وغربا، كثيرا من المناصب المهمة، ولكن الأكيد أن هذه المناصب ليست من التي تكشف عورات المسلمين، حتى لا يكونوا يداً لعدوهم، فنجد منهم الأطباء والوزراء والحراس، وقد استثنى البعض المناصب المأثرة على غرار القادة وموظفي الدولة الحساسين، وعند استعراض التاريخ نجد استخدام أهل الذمة قد شكّل اشكالات كبيرة، وفتنا مضلة، أودت في كثير من الأحيان لثورات، لذلك حاول بعض الحكام تحييدهم من هذه المناصب، لاتقاء شرهم مطلقا، كما فعل الأمير تاشفين بن علي حين بعث رسالة إلى الفقهاء والقضاة يأمرهم بعدم إسناد وظائف الدولة لأهل الذمة⁽²⁾.

وفي نفس المنحى نجد سلاطين بني زيان حسب ما أورده المصادر المعاصرة أنهم يتحاشون تولية أهل الذمة في المناصب السامية، عدا في الجانب الدبلوماسي، لما رأوا ما حصل مع الثورة في فاس ضد بني مرين، فنجد بني عبد الواد لم يقربوا

(1) يقول القاضي عياض (ت: 544هـ / 1149م) في هذا الصدد: "... لا خلاف بين المسلمين أنه لا تتعقّد الإمامة للكافر، ولا تستدّيم له إذا طرأ عليه، وكذلك إذا ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها...، فإذا طرأ مثل هذا على والٍ: من كفر، أو تغيير شرع، أو تأويل بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على الناس القيام عليه وخلعه، ونصب إمام عادل، أو والٍ مكانه إن أمكنهم ذلك... ". القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي (ت: 544هـ / 1149م): إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1998م، ج6، ص246.

(2) حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1954م، مج6، ع3، رسالة رقم1، ص113.

اليهود، وأبقوهم في مجال تخصصهم كونهم يتقنون اللغات المتعددة، ويتمتعون بجانب كبير من الحنكة والدهاء المطلوبين في كثير من المهام، فأرسلوهم سفراء ومبعوثين في سفاراتهم للبلاد النصرانية⁽¹⁾.

هذه الشروط الظاهرة والتي وقفنا عليها في كتب الآداب السلطانية، وهي شروط موضوعية، ولكن الأكيد أنّ هناك شروطا ذاتية يرتئها كل حاكم أو سلطان في حاشيته وموظفيه، يراعى فيها شرطا أخرى على غرار الولاء التام والطاعة العمياء، لتصبح علاقة قهرية على حد تعبير أحد الباحثين⁽²⁾ وربما توارث الخدمة في البلاط، لذلك تجد أسرا تختص بالخدمة في مجال ما أبا عن جد، بعد أن اختبر ولأؤهم وخدمتهم، أو ربما تجد بعضهم من اليهود والنصارى ممن صار جانبهم مؤمنا، حتى أنهم صاروا مسؤولين عن صحة الملوك وعائلاتهم وحاشيتهم، لذلك لا عجب أن تجد ذكرهم قد جال في الأمصار، بالإضافة لشرط السن الذي يعطي لصاحبه الهيبة والتواضع في آن، حتى أن أصحاب هذه الوظائف يُلقبون أحيانا بالمشايخ (مثل الدولة الموحدية).

(1) عبد الصمد حمزة، مرجع سابق، ص11.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص27.

المبحث الثالث: موقع الوظائف والألقاب السامية في الفكر السياسي بالمغرب قبيل العهد الزياني.

عني الإسلام الحنيف في التشريع للحكم السياسي بصفة عامة بوضع قواعد وأسس عامة صالحة لكل زمان ومكان، بما جاء به من التشريعات والنظم، حتى يجد الناس من خلالها متسعا للاجتهاد والتطبيق عليها في معالجة كل القضايا والمستجدات التي تحفز العقل على التفكير خدمة للمصالح العامة، « وإن استشكل العلاقة بين الدين والدولة يعود إلى الحرب الضروس التي عاشها المسلمون زمن الفتنة السياسية الكبرى، وما آلت إليه من انقسامات وتأويلات مختلفة، صاحبت عهد علي ومعاوية رضي الله عنهما، والتي تكللت بانتصار هذا الأخير مستفيدا من إضفائه على سلطته سمة دينية »⁽¹⁾.

وامتاز أهل السنة كما امتاز غيرهم من الطوائف الأخرى بنظريات خاصة في الخلافة ومرادفاتها وأهم أهدافها، كما ناقشوا إمامة المفضل مع وجود الأفضل، ووجوب الانتخاب، ووجود إمامين في نفس الوقت، وشروط وجوب العهد، وشروط نقضه، ووفاء الإمام وخلافته، وشروط تولية ولي العهد، وشرط التسمية وجواز مصطلحات خليفة الله، وواجبات الإمام...⁽²⁾.

(1) محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2000م، ص149.

(2) عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 72 وما بعدها.

كما درسوا الألقاب والوظائف السامية» ضمن المجال العربي الإسلامي خصوصا خلال العصر الوسيط، رغم أن المشاركة كانوا السابقين في التأليف المتخصصة على غرار صبح الأعشى للقلقشندي⁽¹⁾، الذي يُعتبر ضروريا لا غنى عنه في فهم وتحليل البنى الداخلية للدول، إذ كل تطور بها يعكس في حقيقته تطورا مُعينا لهذا النظام أو ذاك، كما يعكس طبيعته وممارسته للسلطة أيضا⁽²⁾ وفي ذات المنحى يعطي صورة واضحة في الدولة السلطانية التي أخذت الدين كأداة طيعة تُسخر لمصلحة السلطة، محولا إياها لمفهوم برغماتي محض، لا يرى حرجا في تقبل الإستبداد إذا كان نافعا للسياسة⁽³⁾ وهو ما ذهب بكثير من المستشرقين للتأكيد على غياب الموضوعية في الكتابات السلطانية (ربما المشرقية لأنها كانت السبّاقة) وعدم تمكنها من الجديّة المطلوبة، بارتباطها بالنفعية المطلقة⁽⁴⁾، مما يعطي انطبعا واضحا حول قصورها وضعفها.

(1) مؤلف كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا هو أحمد بن علي الفزاري ويكنى بأبي العباس، ولد سنة 756هـ في قلقشنده وهي قرية من قرى القيلوبية قرب القاهرة، وتوفي 821هـ، يعتبر كتابه موسوعة بحق، من جغرافيا وتاريخ وأدب، حوت المقالة الخامسة مسألة الولايات والسلطنة والإمارات، انظر، القلقشندي، أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 14ج، 1994م.

(2) هشام المتوكل، الألقاب السلطانية دلالاتها ووظائفها بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، يناير 2016م، ص45.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص15.

(4) وليم مونتغمري وات: **الفكر السياسي الإسلامي: المفاهيم الأساسية**، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحداثة، بيروت، 1981م، ص113.

وللأسف الشديد- ومن باب الاعتراف التاريخي- أن الغرب الإسلامي عموماً والمغرب الإسلامي خصوصاً لم يعرف التقاليد السلطانية السامية كما كانت في المشرق الإسلامي، لعدة أسباب موضوعية تحتاج لدراسة مفردة، لعل أهمها ارتباط الغرب الإسلامي بالمشرق من خلال السلطة المركزية بدءاً من الفتح الإسلامي، بالإضافة لضحالة الفكر السياسي لدى المغاربة وعدم وجود الفكر التراكمي الذي يستلزم رصيماً تاريخياً معتبراً، ورُبّما في العصر المرابطي والذي يبدأ فيه التضج السياسي مثلاً نجد تلقّب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين كان هبة من خلفاء بني العباس جزاء له على جهاده ضد النصاري، وتعزيزاً لمذهب أهل السنة والجماعة، ووحدة الأمة الإسلامية تحت قيادتهم⁽¹⁾ وهو عكس ما أراده له الأشياخ حين خاطبوه قائلين: «أنت خليفة الله في المغرب، وحقق أكبر من أن تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين، فقال لهم: حاشى لله أن نتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به الخلفاء من بني العباس، لكونهم من تلك السلالة الكريمة، لأنهم ملوك الحرمين، مكة والمدينة، وأنا رجلهم والقائم بدعوتهم، فقالوا له: لا بد من تمتاز به، وبعدها أجاب: إلى أمير المسلمين وناصر الدين، خطب له على المنابر، وخطب به في العدوتين»⁽²⁾.

(1) هشام المتوكل، مرجع سابق، ص47.

(2) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح: ليفي بروفنسال، وج. س. كولان، دار الثقافة، لبنان، 1983، ج4، ص23.

ونجده يتخذ اللقب السلطاني حين خاطب القبائل يأمرهم باعتماد اسم أمير المسلمين ناصر الدين حين أصدر قراره سنة 446هـ، حين قال: «... رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا الاسم، لنمتاز به عن سائر أمراء القبائل، وهو أمير المسلمين وناصر الدين، فمن خاطب الحضرة العلية السامية، فليُخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى...»⁽¹⁾.

رغم أنّ المشاركة يذهبون في تفسير الحدث التاريخي إلى أن التسمية بأمر المسلمين لم يتأت إلا بعد موافقة الخليفة العباسي، جاعلين بذلك حركات وسكنات المرابطين وأميرهم نتيجة مدروسة ومحسوبة من الخلافة المركزية والدولة العباسية ومدينة بغداد⁽²⁾ رغم أن هذه التخريجات والتفسيرات بحاجة إلى كثير من التدقيق والمراجعة بعيدا عن الذاتية والتعصب.

بالإنتقال إلى العهد الموحي الثري، نجد تلك النقلة النوعية في التطور الدلالي للألقاب السلطانية، وارتباطها بالدين والعقيدة، بحكم قيام الدولة الموحدية على أساس ديني مذهبي، ونوع من الحرية الفكرية مقارنة مع الأسلاف، حتى أن الزعيم الروحي محمد بن تومرت قد لُقّب بألقاب كثيرة على غرار قائم الزمان، والمهدي المعلوم، والقائم

(1) مؤلف مجهول، الحل الموشية في أخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص30.

(2) هشام المتوكل، مرجع سابق، ص49.

بالحق، والقائم بأمر الله، والداعي إلى سبيل الله، والمعصوم وإمام الأمة، وغيرها من الألقاب المتدولة⁽¹⁾.

ويبدو أن الخلفاء من بني عبد المؤمن لم يتلقبوا بصفة دائمة إلا الخليفة وأمير المؤمنين، أما الأمراء فلقبوا بالسيد، والسيد الأجل، وأضيف إليها ألقاب الخلافة كالمنصور والناصر والمستنصر والعاقل والمرضى، أما رجال الدولة والمسؤولون السامون فمنحوا لقب الشيخ⁽²⁾.

وتستوقفنا حادثة لها دلالات عظيمة في مجال الألقاب والتسميات، وحدثت عندما كان صلاح الدين الأيوبي في غمرة الحروب الصليبية، محاصرا الإفرنج الذين كانوا محاصرين للمسلمين في عكا، ففكر في أن يستنجد بالملك الموحي يعقوب المنصور، وأن بعث إليه بالفعل وفدا يطلب منه أن يُمدّه ببعض قطع أسطوله البحري، فقد كان للمنصور أسطول بحري هائل، على حين كان المسلمون عموما في الشرق يشكون من ضعف قوتهم البحرية، الأمر الذي لم يكونوا يستطيعون معه أن يققوا في وجه هذا الزحف البحري الهائل، المتوالي على الشرق الإسلامي منفرنسا وإنجلترا من الدول الأوروبية. وقد أورد صاحب "المعجب" ما نصه:

«... أحس صلاح الدين الأيوبي صاحب عرش مصر والشام بحاجة إلى معونة المسلمين في المشرق والمغرب على رد عادية الصليبيين على بلاده، فأرسل الرسل والكتب إلى أمراء المسلمين هنا وهناك، وكان فيمن أرسل إليه صاحب عرش

(1) محمد ولد دادة، مرجع سابق، ص 141.

(2) نفسه، ص 151.

المغرب والأندلس من أمراء الموحدين-يعني يعقوب المنصور- وسماه فيما كتب إليه أمير المسلمين، قالوا: فغضب ملك مراکش إذ لم يسمه صلاً الدين، أمير المؤمنين، ولم يستجب لندائه «⁽¹⁾».

ويبدو أن الملك المغربي يعقوب المنصور، لم يستجب لرغبة صلاً الدين، ولم يبعث إليه أسطولاً، ولم يحرك من أجله ولا من أجل المسلمين جميعاً في الشرق ساكناً، وذلك لسبب واحد اتفق عليه كثير من المؤرخين الذين أوردوا قصة هذا الاستجداء، ذلك السبب هو أن صلاً الدين لم يخاطب يعقوب المنصور بلقب: أمير المؤمنين، وهي صورة واضحة أن الموحدين رافضون للإنصياح للسلطة المشرقية كما فعل أسلافهم المرابطون، لذلك يعتبر الموحدون أول دولة مغربية استطاع أمراؤها التلقب بلقب أمير المؤمنين، وهو لقب خلفي كما نعلم⁽²⁾، له أبعاده السياسية والفكرية، وإذا سلمنا بهذا التفسير فقد ترسخت لدى الخلفاء الموحدين الألقاب السلطانية بمفهومها الحكمي المستقل، بعيداً عن التأثيرات المشرقية المعهودة، مما دفع البعض للقول أن الموحدين كان هدفهم البعيد توحيد العالم الإسلامي شرقه وغربه كله تحت غطاء واحد.

« أو أن مفهوم الجهاد في مفهوم الموحدين يستحق أن يدرس بصفة خاصة، فقلة مبالاة الموحدين بالحروب الصليبية رغم كربة المسلمين في الشرق، وهو يطرأ

(1) المراكشي، محي الدين عبد الواحد (ت: ق7هـ / 13م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاً الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص312.

(2) شاوش محمود، الألقاب الموحدية في حضارة المغرب الإسلامي، مجلة عصور جديدة، ع21-22، ماي 1437هـ / 2016م، ص153.

بوضوح حسب وجهة نظر أحيان خلفاء بني عبد المؤمن كانوا يرفضون المشاركة في أي أمر إزاء أهل السنة حتى ولو كان هذا الأمر يرمي إلى إنقاذ الحرمين من تهديدات الصليبيين لهما»⁽¹⁾.

ثم نقف على واقعة أخرى من العهد الموحي حين ألغى الخليفة المأمون المهدوية بقراره التاريخي، مأساً المهدوية التي هي روح الدولة والتي بنيت عليه ردحا من الزمن، حين أقر ذلك بقوله: «ولتعلموا أننا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق، أن لا مهدي إلا عيسى بن مريم، وما سُمي مهدياً إلا أنه تكلم في المهد، وتلك بدعة قد أنزلناها، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها»⁽²⁾.

من هذا الوصف التاريخي للتراتب السلمي للألقاب السلطانية إبان العهد الموحي، يبدو أنه قد بلغ مرحلة النضج، بدءاً من أعلى الهرم السلطوي المثل في الخليفة، الذي لم يكن يرى أنه تابع لأي جهة، متمتعاً بالحرية والانفصال، هذه الصورة التراكمية قد تصل في العهد الزياني مكتملة الأركان والصور، مما يعطي معنى حقيقياً لمعنى أبهة السلطان ومناصبه المتصلة، وإن كنا لا نستطيع أن نفصله عن المرجعية الدينية المؤسسة له.

(1) محمد ولد دادة، مرجع سابق، ص 170.

(2) ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج 4، ص 360.

الفصل الثالث

الوظائف السياسية المساعدة للسلطان في العهد الزياني

المبحث الأول : السلطان

المبحث الثاني : الوزراء

المبحث الثالث : الفقهاء

المبحث الرابع : الحُجَّاب

المبحث الخامس : الأشراف

المبحث الأول: السلطان

يُعتبر السلطان ولي الأمر الذي خصه الله تعالى بالطاعة، حين قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: 59]، فطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله شرط أن تكون في المعروف.

لقد كان سلاطين بني عبد الواد محلّ تبجيل واحترام، يستأثرون بالملك، ويتلقبون بالألقاب المختلفة التي تعكس سلطتهم، إذ «كانوا يمرون في أبهة، ومحفوفين بالحرس وسط قرع الطبول والأبواق، وكثرة الألوية والرايات»⁽¹⁾، وجميعها من مظاهر الملك والأبهة التي تُضفي على السلطان كلّ مظاهر الهيبة والوقار والتميز. ولقب السلطان هو الأصل والأسمى والأفضل لدى السلاطين، ولم يكن ينازع السلطان أحد في هذا اللقب.

أولاً- الألقاب المتداولة للسلطان في العهد الزياني:

أ/ أمير المسلمين:

إنّ لقب أمير المسلمين لقب شاع عند حكام المغرب قاطبة، وهو ثاني لقب اشتهر به الحكام الزيانيون بدءاً من يغمراسن بن زيان إلى آخر حكامهم، فلم يشع عندهم لقب أمير المؤمنين الذي كان خاصاً بخلفاء بني العباس في المشرق، قال صاحب صبح الأعشى: «دان يوسف بن تاشفين بطاعته للخلافة العباسية ببغداد،

(1) بورويبة رشيد، وآخرون، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ج3، ص463.

وتبعه من جاء بعده من ملوك الغرب من البربر، فتلقب به بنو مرين: ملوك فاس، وبنو عبد الواد: ملوك تلمسان»⁽¹⁾.

ومن الشواهد التي تدل على تلقب حكام الدولة الزيانية بلقب أمير المسلمين اللؤلؤ التذكاري الذي وجد على جدار الزاوية اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده، وكذلك القطع النقدية التي عثر عليها والتي تتعلق بأبي موسى حمو الأول، وابنه أبي تاشفين الأول، والسلطان أبي عبد الله محمد الخامس، والسلطان أبي العباس العاقل والتي تدل في نفس الوقت على تلقب حكام بني عبد الواد بألقاب أخرى كعبد الله والمتوكل على الله، والمتوكل على رب العالمين، والمعتصم بالله⁽²⁾.

ب/ الملك:

لم يستعمل لقب الملك في الدولة الزيانية إلا مجازاً، ونلتمس ذلك جلياً حين يذكر المؤرخون المعاصرون حكام الدولة الزيانية، فينعتونهم بلقب الملك، على غرار قول عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1406م): «ويغمراسن بن زيان أبو ملوكهم...»⁽³⁾، وسار على هذا المنوال التنسي ويحيى بن خلدون. ورغم عدم شيوع هذا اللفظ إلا أنَّ السلطان أبا حمو الثاني يستخدمه في كتابه الشهير "واسطة

(1) الفلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص486.

(2) حسين تواتي: الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية" الكتابة أنموذجاً"، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017م، ص71.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص149.

السلوك في سياسة الملوك"، رغم أنه لم يتخذها تسمية رسمية له حسب ما وصلنا في ثنايا المصادر والمراسلات.

ج/ الخليفة:

ويعتبر أبو حمو موسى الثاني أول من تلقب بلقب الخليفة دون منازع، ولم يتسم أحد سواه بهذا اللقب، ونقف هنا عند قول عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م) حين يقول: «ودخل السلطان أبو حمو تلمسان لثمان خلون من الربيع الأول سنة ستين وسبعمائة، واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد أريكته، وبويع بيعة الخلافة...»⁽¹⁾.

وقد أنشد أبو حمو وكان شاعرا كذلك قصيدة طويلة تشبه الملحمة يصور فيها شجاعته وصولاته البطولية منها⁽²⁾:

دَخَلْتُ تَلْمَسَانَ الَّتِي كُنْتُ أَرْتَجِي كَمَا ذَكَرُوا فِي الْجَفَرِ أَهْلَ الْمَلَحِمِ
فَخَلَّصْتُ مِنْ غُصَابِهَا دَارَ مُلْكِنَا وَطَهَرْتُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَجَارِمِ
ثم يضيف قائلا:

أَنَا الْمَلِكُ الزَّابِي وَلَسْتُ بِزَابِي وَلَكِنِّي مُفْنِي الطُّغَاةَ الطَّمَّاطِمِ
فَقَمْنَا بِأَمْرِ اللَّهِ فِي نَصْرِ دِينِهِ وَفِي كَفِّ مَا قَدْ أَحْدَثُوا مِنْ مَظَالِمِ
فَلِلَّهِ مِنَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ دَائِمًا وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص164.

(2) الطمار، مرجع سابق، ص155.

كما نعثر على نص فريد؛ أورده عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1406م) في رحلته، وبالخصوص الرسالة التي بعث بها إليه السلطان أبو حمو موسى الثاني، ومما ورد فيها: « الحمد لله على ما أنعم، والشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله على أنك تصل إلى مقامنا الكريم، لما اختصناكم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة الرفيعة، وهو قلم خلافتنا، والانتظام في سلك أوليائنا، أعلمناكم بذلك... »⁽¹⁾.

د/ أمير المؤمنين:

انتشر هذا اللقب بكثرة في بلاطات الغرب الإسلامي عموماً (المغرب والأندلس)، من مرينيين وحفصيين ومن قبلهم الموحدون، كما نجده في الأندلس في دولة صقر قریش عبد الرحمن الداخل، بيد أنه في العصر الزياني لم يتسم بهذا اللقب من سلاطينهم إلا أبو حمو موسى الثاني، رغم أننا نجده في مراسلاته ومعاهداته يسمي نفسه بأمير المسلمين، ونرجح في هذا المقام أن المؤرخين أنفسهم هم الذين وصفوه بأمير المؤمنين على غرار يحيى بن خلدون، فهم لم يجدوا في أنفسهم فرقا بين لقب أمير المؤمنين وأمير المسلمين، كما لاحظوا أن أبا حمو موسى الثاني لا يتحرج في التلقب بكليهما.

(1) عبد الرحمن بن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، تح: محمد بن تاوويت الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، 1951، ص 102.

هـ/ لقب دادا:

وهو أقل الألقاب شهرة عند الزيانيين إلا أنه يدل على التعظيم والتقدير في أعراف الزيانيين، أطلقه عبد الرحمن بن خلدون على السلطان يغمراسن بن زيان وولي عهده أبا سعيد عثمان حين تحدث عن وصية الأول لولده بأن يتجنب ملاقة بني مرين، وأن يوسع مملكته شرقا على حساب الأراضي الحفصية، حيث قال: أوصى دادا يغمراسن دادا عثمان...، وقال له: يا بُنيّ: إنَّ بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا قبل لنا بهم⁽¹⁾.

ثانيا - شارات الملك عند بني زيان:

ونعني بالشارات تلك المظاهر الفخمة التي تميز السلطان عن غيره من أعيان الدولة وموظفيها، والدولة الزيانية كغيرها من الدولة الإسلامية لها شارات تميزها عن غيرها ومن هذه الشارات نجد:

أ- الآلة: يحدد عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م) مفهومها بأنها « من شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون »⁽²⁾؛ وقد شاع استعمال الرايات والأبواق في كثير من دول الإسلام في العصر الوسيط.

(1) حسين تواتي، مرجع سابق، ص70.

(2) انظر النص كاملا في الملاحق.

ب- السرير: والمقصود به كرسي العرش الذي يجلس عليه السلطان ليكون مرتفعا عن أهل مجلسه، ل يتميز عنهم، وبالرغم أن دولة بني زيان قد وصفت كثيرا عند الدارسين بوسم البداوة، إلا أنهم نالوا من مظاهر الترف ما نالوا، خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني، وفي هذا قال عبد الرحمن بن خلدون: « وهو أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك، فأعلى المنار، ومهدّ الخلافة، وأوثر الأريكة ... »⁽¹⁾، والأمر نفسه نجده عند حديث يحيى بن خلدون عن أبي حمو موسى الثاني حين قال: « ... فاقتعد أريكة الملك، وامتطى سرير الخلافة ... »⁽²⁾.

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص244.

(2) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص95.

المبحث الثاني: الوزراء

أولاً- الوزارة لغة واصطلاحاً:

أ/ الوزير لغة: الوزارة لفظة عربية أصيلة، قد اشتقت من الفعل وزر وآزر. قال ابن منظور: «الْوَزِيرُ حَبَّ الْمَلِكِ الَّذِي يَحْمِلُ ثِقْلَهُ وَيُعِينُهُ بِرَأْيِهِ، وَقَدْ اسْتَوَزَرَهُ وَحَالَتُهُ الْوِزَارَةُ وَالْوِزَارَةُ... وَوَاَزَرَهُ عَلَى الْأَمْرِ أَعَانَهُ وَقَوَّاهُ وَالْأَصْلُ آزَرَهُ»⁽¹⁾.

وقد اخْتُلِفَ في اشتقاق اسم الوزارة على ثلاثة أوجه:

- أحدها: أنه مأخوذ من الوزر وهو الثقل؛ لأنه يحمل عن الملك أثقاله.

- الثاني: أنه مأخوذ من لفظ الوزر، وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا

وَزَرَ﴾ [سورة القيامة، الآية: 11].

أي: لا ملجأ، فسُمِّيَ بذلك؛ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته.

- الثالث: أنه مأخوذ من الأزر وهو الظهر؛ لأن الملك يُقَوَّى بوزيره، كقوة

البدن بالظهر⁽²⁾.

وقد جاء في ذلك قوله تعالى حكاية عن نبيِّه موسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ

أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿أَشَدَّ بِهِ أَزْرَى﴾ وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ﴿[سورة طه، الآيات: 29-

32].

(1) محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، [د. ت]، مادة وزر، ج5، ص282.

(2) الماوردي، مصدر سابق، ص29.

فقد قرن الوزارة بِشَدِّ أزره، وإشراكه في أمره، وظهر ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝٣٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾ [سورة الفرقان، الآيتان: 35-36].

وقد زحرت المعاجم وكتب اللغة باستعمالات ومعان كثيرة للفظه الوزير يمكن الرجوع إليها للاستزادة.

ب/الوزير اصطلاحاً:

ذكر عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1406م) تعريفه لهذا المنصب المهم بقوله: «الوزارة هي أم الخطط السلطانية، والرتب الملوكية؛ لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة»⁽¹⁾.

والوزارة من أسمى الرتب السلطانية على الإطلاق، وليست من محدثات الإسلام، بل هي فارسية الأصل اتخذها المسلمون في عهد الدولة العباسية⁽²⁾.

ويرى الماوردي (ت: 450هـ) ضرورة هذه الخطة في أحكامه بقوله: «كل ما وُكل إلى الإمام من تدبير شئون الأمة لا يقدر على مباشرته جميعه وحده، إلا بالاستتابة والاستعانة، فكانت نيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص241.

(2) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط، 1967م، مج1، ص112.

الأمر من تفرده بها؛ ليستظهر بها على نفسه، ويكون في ذلك أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل، والاستعانة بالغير يضمن العمل»⁽¹⁾.

ويضيف الماوردي (ت: 450هـ) في كتاب آخر إلى ما يجب على الوزير اتباعه بقوله: «فاجعل الدين قائدك، والحق رائدك، لأن للدين أنصاراً، وللحق أعواناً، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ أَجْراً مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ وَيَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى»⁽²⁾». ومن هنا تظهر تلك المكانة والشروط التي يقف عليها كل سلطان في اختيار وزرائه.

يظهر من هذا كله أن الحرص على التقيد بهذه الشروط يدل دون شك على أهمية هذا المنصب وخطورته في آن واحد.

(1) الماوردي، مصدر سابق، ص41.

(2) أخرجه القضاعي، في مسند الشهاب، من حديث: عائشة رضي الله عنها. ينظر: القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله: مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ/ 1986م، ج1، ص321، وج2، ص23، 24؛ والخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، باب الألف وذكُر من اسمه أحمد، من حديث عن عائشة رضي الله عنها، ج4، ص16. والألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، د. ت، رقم الحديث: 4470، قال الألباني: ضعيف، ج9، ص472؛ والألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ/ 1992م، رقم الحديث: 4470، ج9، ص455.

(3) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: أدب الوزير (قوانين الوزارة وسياسة الملك)، مطبعة دار العصور، القاهرة، د. ط، 1992م، ص2.

ثانيا: شروط تعيين الوزراء :

أولا لا بُدَّ أن نشير أن هناك شروطا عامة اشترك فيها اختيار الوزراء بغض النظر عن الزمان والمكان، فقد تحدث المسعودي (ت: 346هـ) عن صفات تعيين الوزير فقال: « فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتابها، والأمين العفيف من خاصتها، والناصح الصدوق من رجالها، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها، وتثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في أمورها »⁽¹⁾.

أما بالنسبة للعهد الزياني فقد بين أبو حمو موسى الثاني بعض المهام الرئيسية للوزير حين قال: « ... وأول من يدخل عليك كاتبك ووزيرك، إذ بهما صلاحك وتدبيرك، وذلك أهم ما تبتدأ به من أمرك... وذلك بمحضر وزيرك المخصوص برأيك وتدبيرك، ليجمع معك الرأي والتدبير، والجليل من أخبارك والحقير، فإن الوزير اذا كان على ما وصفناه بالصفة التي ذكرناه، فلا ينبغي أن يخفى عنه شيء من أمرك، بل تشاركه في حلوك ومرك وقلك وكثرك »⁽²⁾.

تعددت واختلفت شروط ومقاييس ومعايير تعيين الوزراء في عهد بني عبد الواد وحسب المصادر التي وقفنا عليها، يبدو جليا أنّ معيار الثقة والذي تتلوه صلة القرابة كان المعيار الأول في التعيين مثلما كان أيام يغمراسن بن زيان حين نصب

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، مراجعة: عبد الله إسماعيل الصادق، مكتبة المتنبي، بغداد، ط1، 1357هـ / 1938م، ص294.

(2) أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح وتعليق: محمود بوترة، دار الشيماء للنشر والتوزيع، نقاوس، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د. ط، 2012م، ص54.

وزراء من عائلة مكن، كما فعل مع "معروف بن فتو" التجاني" الذي كان من قرابته⁽¹⁾، على خلاف معيار الكفاءة والذي كان معياراً ثانوياً مع بداية الدولة، ومع عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني تغيرت معايير التعيين واتّجهت نحو الكفاءة والتّمكن في التسيير وفق شروط مضبوطة ودقيقة.

وقد أفرد أبو حمو موسى في كتابه المشهور الذي أسماه: واسطة السلوك في سياسة الملوك فصلاً سماه (فراصة الملك مع وزيره) ذكر فيه شروطاً لتعيين الوزراء منها:

- أن يكون من كبار القوم وخيارهم .
- أن يكون محباً لسلطانه، ناصحاً مشاوراً له .
- أن يكون صاحب عقل راجح ورأي سديد .
- أن يكون ذكياً فطنا داهية سريع الفهم ، وصاحب فراصة .
- أن يكون أميناً حافظاً للسّر .
- أن يكون شجاعاً باسلاً مغواراً في المأزق .
- أن يكون خطيباً فصيح اللسان .
- أن يكون إنساناً قانعاً بعيداً عن الطمع والرشوة⁽²⁾ .

وغيرها من الشروط القريبة من هذا الوصف، وذكرتها كثير من مصنفات كتب النظم الإسلامية على غرار الغزالي في "التبر المسبوك" حين قال: «وينبغي أن لا

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص33.

(2) نفسه، ص227.

يمنعه من ثلاثة أشياء وهي: متى ما اختار أن يراه لا يمنعه عنه، وأن لا يسمه في حقه كلام مفسد، وأن لا يكتم عنه شيئاً من سره، لأن الوزير الصالح سر السلطان، ومدير أحوال المملكة وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيئة والقدرة، وله الكلام على الأعمال واستماع الأجوبة، وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه، وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر، وتعظيم الأمر.....»⁽¹⁾.

ثالثاً: مهام الوزراء.

تعددت وتنوعت مهام الوزراء في كلِّ عهد وزمن، فتقلصت وزادت، فإذا عرجنا على العهد الموحيدي نجد أنّ الوزراء قد تعددت اختصاصاتهم من عقد الاتفاقيات، وتحضير الاحتفالات الرسمية والمراسيم، وإعداد التشريفات واستقبال الناس عند مرض الخليفة أو وصوله من غزوة أو سفر أو حج، إلى الإشراف على بيعة الخليفة الجديد، وتمثيل الخليفة في الأسفار، وتفقد أحوال الرعية، وكذا النظر في الحسابات المالية والأشغال، وحضور مجالس العلم والعلماء، وحضور الصلوات المفروضة مع الخليفة، وصولاً إلى تنظيم الجيوش وقيادة العسكر، وإدارة المعارك، وأحياناً الإشراف على مشاريع البناء والتعمير⁽²⁾.

(1) الغزالي، مصدر سابق، ص 272. (أنظر النص كاملاً في الملاحق).

(2) ينظر: رضا رافع، المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحيدي، أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2016/2017م، ص 185-186.

أمّا في العهد الزياني فلم تبتعد مكانته عن مجاورة السلطان، بل النيابة عنه أحيانا في شؤون الحكم والحرب حتى صار صاحب أسمى مرتبة في جهاز الحكم بعد السلطان، ويمكن إجمال مهام الوزير الزياني فيما يلي:

- الحفاظ على أسرار الحاكم الزياني ودولته.
- يعتبر الوزير المستشار الأول للسلطان، يجب عليه تقديم النصائح والإرشادات النافعة.
- النيابة عن السلطان إذا اقتضى الأمر في اتخاذ القرارات وتنفيذ ما يراه صالحاً للدولة وللرعية.
- التنظيم والإشراف على الجيش الزياني في مهام الدفاع عند حدود الدولة وضمان أمنها واستقرارها⁽¹⁾.
- وذاع صيت كثير من الوزراء المقربين الذين باشروا أعمالا جليلة، ومن الأسماء المشهورة التي تولت هذا المنصب إبان العهد الزياني والتي ذكرتها المصادر المعاصرة نجد:

- يحيى بن مكن وأخوه عمروش.
- يعقوب بن جابر الخرساني .
- غانم بن محمد الراشدي.
- رحو بن محمد بن علي الخرساني.

(1) ينظر: سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الجزائر، 2008م، ص137، وما بعدها.

- معروف بن أبي الفتوح.
- هلال القطلاني⁽¹⁾.
- يحيى بن موسى الجمي .
- محمد بن ميمون الملاّ وابنه محمد الأشقر.
- علي بن عبد الله بن ملاّ.
- داود بن علي بن مجن.
- موسى بن علي بن الكردي.
- أبو عمران موسى بن علي بن برغوث.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي.
- أبو موسى عمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي.
- وادفل بن عبو بن حماد.

(1) كان هلال القطلاني من نصارى قطلونية سباه المسلمون وجلبوه إلى غرناطة، وبعد ذلك أهداه السلطان الغرناطي محمد الثاني الأحمر (671هـ/701هـ)، إلى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن (681هـ/703هـ)، الذي قرّبه منه وجعله من خلصائه ثم قلده بعد ذلك منصب الوزارة. ينظر: ابن مرزوق التلمساني، محمد: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريّا خوسيسيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981. ص175.

المبحث الثالث: الفقهاء

أولاً: الفقه لغة واصطلاحاً:

1. الفقه لغة:

مدار الفقه في لغة العرب على الفهم، ومادة الفقه تستعمل في الفهم، قال تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [سورة طه، الآيتان: 27-28]؛ أي: يفهموه، وعندما بعث الله شعيباً عليه السلام قال له قومه: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ...﴾ [سورة هود، الآية: 91] أي: لا نفهمه.

وتقول العرب قديماً: أوتي فلانا فقها في الدين، أي فهما له.

وقال الله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾ [سورة التوبة، الآية: 122] أي: ليكونوا علماء به، ودعا رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»⁽¹⁾ يعني فهمه تأويله ومعناه، فاستجاب الله تعالى دعائه وكان ابن عباس من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله تعالى فهو الحبر البحر، وهو ترجمان القرآن.

(1) أخرجه أحمد بن حنبل من حديث سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفي أو قال على منكبي فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل (الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ط، د. ت، رقم الحديث: 2881، ج1، ص314. وأخرج الحديث الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (اللهم فقهه في الدين). البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، باب: وضع الماء في الخلاء، رقم الحديث: 143، ج1، ص66؛ وباب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، رقم الحديث: 659، ج1، ص245؛ وانظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379هـ، باب: قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتاب، رقم الحديث: 75، ج1، ص170؛ وفي (ذكر ابن عباس) رقم الحديث: 3546، ج7، ص100.

2. الفقه اصطلاحا: والفقه عند الأصوليين هو:

- معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والاحضار والندب والكراهة والإباحة⁽¹⁾.

- العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية⁽²⁾.

- وإذا عدنا لمصنف القلقشندي نجده يقرر أن الفقيه من ألقاب العلماء⁽³⁾ مما شاع وعُرف.

والفقيه في مصطلح علم أصول الفقه لا يطلق إلا على من بلغ رتبة مجتهد، وعند غيرهم من العلماء يطلق على المجتهد وغيره.

ثانيا: مكانة الفقهاء في الدولة الزيانية:

وفي العهد الزياني كان لقب الفقيه بالمغرب الإسلامي عموما يضافي على صاحبه مهابة وتعظيما عند أهل المنطقة قاطبة مما يؤدي دوره الريادي ضمن منظومته المجتمعية⁽⁴⁾.

ولا يخفى على دارس تلك العلاقة الكبيرة بين المثلث الشائع: السياسة والفقه والعلم، ولاحظنا من خلال تجارب تاريخية جمّة كيف تحول منتج فكري أو صاحبه

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص411.

(2) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، د. ط، د. ت، ص247.

(3) القلقشندي، مصدر سابق، ج6، ص22.

(4) عبد الجليل قريان: حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني، ضمن كتاب: أبحاث في التاريخ الحضاري بالغرب الإسلامي الوسيط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، ط1، 2020م، ص148.

إلى لحظة رمز، وبالمقابل قد يكون أزمة أو بدعة قد تتحول سريعا إلى نكبة أو فاجعة⁽¹⁾ وهو ما يبين دون شك الحضور الفاعل لهذه الفئة النافذة والمؤثرة في مسار الأحداث.

وتحتل الطبقة العالمة في المنظومة السياسية عموما مكانة مرموقة دون مرء، وقد قسم المختصون من أبناء الإسلام السياسة إلى قسمين: سياسة الدين وسياسة الدنيا⁽²⁾، وهذا المنحى الديني والدنيوي مجال الفقهاء، وتشترك فيه كل العناصر الفاعلة والنافذة في المجتمع، بظروفه السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها، وترعرع فقه الفروع الذي يحتاجه العوام في حياتهم، وبات أكثر الأدوات المتحركة في حركة المجتمع، وأصبح للفقهاء دور بارز فيالتأطير والتوجيه.

وهو ما دعمته رسالة السياسة للسان الدين بن الخطيب حين قال: «اعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاغل المتألقة، والمصاييح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء، وفرعها لتحبير ما يزين مدتك، ويحسن من بعد البلاء جدَّتكَ»⁽³⁾.

(1) عمر العمري، مساهمة في دراسة بعض قضايا الفكر في الغرب الإسلامي: قراءة مصدرية لمسألة الإقصاء الفكري، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، مج 1، ع1، جوان 2020م، ص33.

(2) محمود بن منصور بن حبّيش ابن الحداد: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تح: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983م، ص62.

(3) ابن الخطيب لسان الدين: ربحانة الكتاب ونجعة المنتخب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1981م، ج2، ص330.

وفي المغرب الإسلامي كانت علاقة السلطة بالعلماء قد صنعها ذلك الرصيد المرجعي والخلقية الراسخة التي كونتها الطبقة العالمة في المجتمع المغربي، وصار الناس أُلصق بالعلماء، وأطوع لآرائهم وتوجهاتهم وأشد ثقة بهم من غيرهم⁽¹⁾.

ولم يختلف العهد الزياني عن هذه الرؤية أو المرجعية، لِمَا كان يتمتع به العلماء والفقهاء من اهتمام منقطع النظير في بلاط سلاطين بني زيان⁽²⁾، أو حتى عند جيرانهم من المرينيين والحفصيين، لدرجة التنافس بين السلاطين والأمراء في احتضان العلماء، خاصة لمن ذاع صيته، وعلا شأنه وزاد علمه، وقوي تأثيره في العوام والخواص.

وقد بين الرحالة القلصادي هذا الترابط حين نزوله بمدينة تلمسان سنة 840هـ/ 1436م حيث قال: «.... وأدركت فيها كثيرا من أهل العلم والزُّهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة، وتجار المتعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية...»⁽³⁾.

وعند إلقاء نظرة على السلاطين الزيانيين نجد مثلاً:

(1) عبد الجليل قرين، تاريخ العلوم العقلية بالمغرب الإسلامي في العصر الزياني، مرجع سابق، ج1، ص116.

(2) تعدت أدوار الفقهاء والعلماء إلى خارج حدود الدولة الزيانية، وكانت لهم جهود كبيرة في صحراء توات وممالك غرب السودان، للإستزادة ينظر: عبد الله حمادي الإدريسي: ابن عبد الكريم المغيلي فقيه تلمسان وإصلاحاته بصحراء توات وممالك غرب السودان (سلسلة تاريخ وحواضر وأعلام الجنوب الغربي الجزائري)، دار كوكب للعلوم والنشر، الجزائر، ط1، 2019م، ج2، ص123 وما بعدها.

(3) القلصادي، أبو الحسن علي: رحلة القلصادي، دراسة وتح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص95.

- جعل معظم السلاطين الزيانيين مجالسهم فضاءات للمناظرات العلمية وللنقاشات العلمية والمساجلات الفكرية والمسابقات الشعرية⁽¹⁾، وغيرها من صنوف العلم والأدب والشريعة فمثلاً:

- كان السلطان يغمراسن (633-681هـ / 1236-1283م) شغوفا بحبه للعلم والعلماء، يبحث عنهم، ويكاتبهم للقدوم إلى مدينة تلمسان، فيقربهم إليه، ويغدق عليهم بالأموال والهدايا والعطايا، وقد وصفه التنسي بقوله: وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ماكانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله⁽²⁾، ومن هؤلاء العلماء أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي والذي ظل السلطان يغمراسن يكاتبه ويرغبه في سكنى تلمسان فيمتنع، يردُّ زائراً ويقيم أشهراً وينصرف إلى تنس، فجاء تلمسان مرّة فاجتمع إليه طلبة العلم والفقهاء؛ فبلغ خبره السلطان يغمراسن فقرّر الذهاب إليه والاجتماع به، يقول التنسي: «... فركب بنفسه وجاء إليه، واجتمع معه بالجامع الأعظم، ومعه فقهاء تلمسان، وقال له: ما جئتك إلّا راغباً منك أن تنتقل إلى بلدنا، تنشر فيها العلم، وعلينا جميع ما تحتاج... فكان ذلك، وأقطعه أمير المسلمين إقطاعات من جملتها (تيرشت) التي أقطعت بعد انقراض عقبه لابني الإمام»⁽³⁾.

- السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834-866هـ / 1431-1462م) كان يجالس العلماء، وأهل الفضل والصّلا، ويشجّعهم، ويحضر مجالسهم ومحاضراتهم،

(1) نجا القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، الجمهورية العراقية، ع19، 1981م، ص195.

(2) التنسي، مصدر سابق، ص247.

(3) التنسي، مصدر سابق، ص127.

ويزورهم في منازلهم، ويمشي وراء جنائزهم، وثبت أنه حضر جنازة العالم والفقيه ابن مرزوق الحفيد سنة 842هـ/1438م⁽¹⁾، وصلى كذلك بالجامع الأعظم على جنازة العالم قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، وأجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه قبل، ونبع في عهده علماء أجلاء كثيرون، على غرار أحمد بن محمد بن زكري المانوي، وعلي بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي.

- كان السلطان أبو زيان محمد الثاني (796-801هـ/1394-1399م) مثل والده شاعرا وكاتبا وعالماً ومؤلفاً، شجّع على التأليف ونسخ الكتب، واقتناها وحبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان سنة 796هـ/1394م، وقد قال بشأنه التنسي: «فأقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم مجالسها، وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها، وأثبت في رسوم التخليد وسمها واسمها».

- الاهتمام الكبير ببناء المساجد، ودور العبادة، فقد بلغ بتلمسان أكثر من ستين مسجداً، من بينها: الجامع الكبير، ومسجد سيدي أبي مدين الغوث، ومسجد سيدي إبراهيم، ومسجد أولاد الإمام، ومسجد العباد السفلي⁽²⁾.

(1) ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن أحمد: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، نشر محمد بن أبي شنب، تقديم: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص213، الحفناوي، أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ج1، ص133.

(2) نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي، 8 و9هـ/14 و15م، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، 2009م/2010م، ص49.

- الاهتمام الكبير ببناء المدارس الفقهية والعلمية، على غرار المدرسة التاشفينية وهي من أهم المدارس في المغرب الأوسط، أنشأها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بين عامي (717هـ - 728هـ / 1317م - 1327م)، وسُميت باسمه في حياته، ثم دُعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته، وسُخر لبنائها فنانين مهرة ومهندسين أكفاء في الزخرفة والتزيين والبناء، فجاءت هذه المدرسة نموذجاً فريداً للزخارف التي احتوتها قصور ومدارس تلمسان في ذلك العهد؛ وهي تدل على ولع هذا السلطان بالعمارة والتفنن فيه، فجعلها قصرًا من قصور الملوك تضم عدّة بنايات ورواقات⁽¹⁾، وذكر التنسي أنّ عبد الرحمن بن تاشفين كان: «مولعًا بتجبير الدّور وتشييد القصور، مستظهرًا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة الأسارى، بين نجارين، وبنائين، وزليجين، وزواقين، فخلد آثارًا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده، وحسن ذلك كلّه ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظر؛ التي بناها بإزاء الجامع الأعظم، ما ترك شيئًا مما احتضنت به قصوره المشيئة إلاّ وشيّد مثله بها»⁽²⁾. وولى بها الشيخ أبا موسى عمران المشدالي الذي كان من أعرف أهل عصره بمذهب الإمام مالك، فراى يدرّس بها الحديث والفقه والنحو والجدل...⁽³⁾.

(1) فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ج1، ص142.

(2) التنسي، مصدر سابق، ص140.

(3) انظر/ المقري، مصدر سابق، ج6، ص187.

وكذا المدرسة اليعقوبية التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني حوالي سنة (765هـ / 1363م) واصطفى لتعليم العلم بها الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني⁽¹⁾، وغيرها كثير.

- بناء المكتبات والإشراف المباشر عليها من طرف ولاية الأمر، منها المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة (760هـ / 1358م)، وهي لا تبعد كثيراً عن المسجد الكبير بتلمسان، ومنها مكتبة السلطان أبي زيان محمد الثاني سنة (796هـ / 1393م)... ولا شك أنّ هذه المكتبات كانت تؤم الطلبة والفقهاء من شتى أصقاع الدولة، ينهلون من كتبها⁽²⁾، وقد سعى ملوك تلمسان إلى تعمير مكتبات الدولة بالكتب خدمة للطلبة، ومن الأمثلة الحية لذلك أنّ أبا حمو موسى قد أسّس خزانة وسّع فيها على الطلبة والراغبين في العلم، وهذه الخزانة امتدت آثارها إلى القرن التاسع بل ازدادت اتساعاً مع توالي السنين⁽³⁾.

- تطور فن النسخ والكتابة والوراقة بمدينة تلمسان وضواحيها، وكثرة التحبّيس على المدارس والمساجد والزوايا⁽⁴⁾.

(1) انظر/ يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص 136.

(2) المازوني، أبي زكريا يحي بن موسى: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتح: قندوز ماحي، قرأه وصححه: محند أولدير مشنان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 1433هـ / 2012م، ج1، ص72.

(3) انظر/ محمد مشنان، مرجع سابق، ص59.

(4) فيلاي، مرجع سابق، ج2، ص336.

- كثرة المناظرات والمحاورات العلمية المكتوبة والمناقشات في الفقه والتفسير والتصوف وعلم الكلام والنحو... وهي ميزة كبار العلماء والطلبة من حيث الشجاعة في الطّرّ، والبحث والتفكير ومقارعة الحجّة بالحجّة، حتّى أنّ الشريف التلمساني كان يجلس وينظر إلى طلبته، وهم يتباحثون في فهم مسألة ما، ويشجعهم على المناقشة، ويأمرهم بتقييد النتائج التي توصلوا إليها لفهم المسائل على حقيقتها، ولتنمية قدراتهم ومداركهم في البحث والتّفكير⁽¹⁾.

- اتجاه الفقهاء إلى التأليف في كتب الفروع، فأصبح مختصر خليل، ومختصر ابن الحاجب مصدرين لكتابة الشروّ والحواشي والتعليق، وهذا ما يظهر جلياً في كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة للإمام أبي زكريا يحيى المازوني التلمساني (ت: 883هـ)، حيث أطنب كثيراً في ذكر مختصر ابن الحاجب.

- بسبب الفتن والحملات الصليبية المتكررة على أراضي المغرب والأندلس انصبت جهود كثير من الفقهاء على الرد على النصارى واليهود من أجل مجابتهم بالحجّة الدامغة، ومن أجل إعطاء الدّفع المعنوي المطلوب للرعيّة في ذلك الوقت.

- ظهور بعض الجماعات الصوفيّة التي حملت على عاتقها إصلاح الجانب التربوي⁽²⁾، وكانت تدرس كتباً مختصة في التّصوف مثل: كتاب قُوت القلوب لأبي طالب المكي، والرسالة المنسوبة للقشيري، وقد تفرع التصوف إلى طرق كثيرة حسب

(1) فؤاد طوهارة، جوانب من الحياة الفكرية والعلمية في حاضرة تلمسان خلال العصر الزياني، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط" الجزائر"، جامعة الجزائر 2، العدد 6، السنة 2015م، ص200.

(2) للمزيد انظر/ المازوني: الدرر المكنونة، تح: قندوز ماحي، ج1، ص64.

اختلاف الشيوخ مثل السنوسية نسبة إلى محمد بن يوسف السنوسي، والقادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني⁽¹⁾.

- انعكس الاهتمام السلطاني على سير عملية التأليف والكتابة، فظهر انتشار مكثف للشروء والمختصرات، وهي تعبير صادق عن ثقافة المجتمع، ورصد حقيقي وأمين لعلوم العصر بكل ما تحويه من كثرة أو قلة⁽²⁾.

- السلطان يغمراسن بن زيان كان «يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم كثيرا»⁽³⁾ وقد نقلت المصادر التاريخية أنّ العالم الفقيه المجيد والناطقة أبو إسحاق التنسي (توفي ما بين 689 و703 هـ / 1290 - 1303 م)، كان من الأوائل - إن لم يكن أولهم على الإطلاق - الذي نال حظوة السلطان وتقريبه، ونال عنده أثر المنزلة⁽⁴⁾، كما نجده كذلك يجتهد في لقاء العالم الكبير عبد الله أحمد بن مرزوق (ت: 681 هـ / 1282 م)، ويبدو أنّ عالما كان يتحاشى لقاءه لزهد في نفسه، ولما تعذر لقاءهما الوقت نجد السلطان قد أوصى بأن يدفن بجانب هذا العالم الجليل، وقال: «لعلّ الله أن يرحمني بجواره»⁽⁵⁾.

(1) عبد الفتاح أحمد الفاوي، التصوف عقيدة وسلوكا، مكتبة الزهراء القاهرة، د. ت، ص 112.

(2) عبد الجليل قريان، حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص 149.

(3) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 204.

(4) التنسي، مصدر سابق، ص 127.

(5) ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد الخطيب (ت: 781 هـ / 1379 م): المجموع، مخطوط (ميكرو فيلم) تحت رقم: 20، الخزنة العامة، الرباط، و 10.

- قَرَّب السلطان الزياني أبو حمو الفقيه الأصولي محمد بن إبراهيم الآبلي (ت: 757هـ / 1356م)، حيث يفيدنا غير مؤرخ على غرار عبد الرحمن بن خلدون أنه كان قهرمانا بداره⁽¹⁾، كما نجده قد قَرَّب الفقيه أبا عبد الله محمد الشريف (ت: 771هـ / 1370م)، واستقدمه من فاس، وأصهر له ابنته⁽²⁾، كما كلفه بالتدريس في المدرسة التي أقامها على شرف أبيه السلطان أبي يعقوب⁽³⁾.

- استحداث مرافق علمية مشجعة للعلم والعلماء، على غرار ما فعله السلطان أبو تاشفين (718-737هـ / 1318-1336م)، حين استحدث مجالس الفقه السلطانية المنظمة⁽⁴⁾.

- علاقة الفقهاء الزيانيين بالسلط السياسية خارج المنظومة الزيانية، وهو ما يُعطي انطبعا واضحا على مدى تأثيرهم في سير الأحداث، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها علاقة الفقيه أبي العباس أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت: 741هـ / 1340م) بالسلطان المريني أبي يعقوب يوسف (685-706هـ / 1286-1306م)، والذي قام بإتمام مراسم عقد زواج ابن مرزوق بابنة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم التنسي⁽⁵⁾.

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص101.

(2) التمكنّي (أحمد بابا): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المملكة المغربية، ط1، 2000م، ج2، ص337.

(3) التنسي، مصدر سابق، ص179.

(4) ابن مرزوق، المسند، ص390.

(5) ابن مريم، مصدر سابق، ص30.

كما استطاع كثير من العلماء والفقهاء الزيانيين الوصول إلى البلاطات الأخرى، على غرار الفقيه الأديب اللغوي محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني (ت: 749هـ/ 1348م)، الذي قرّبه إليه السلطان المريني أبو الحسن بعد أن استحسّنه وعظّمه⁽¹⁾. إضافة إلى الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق (ت: 781هـ/ 1379م)، الذي يعدّ من كبار أفاضل تلمسان وعلمائها الأجلاء، حيث ربط علاقات متينة مع السلطة المرينية، وحظي برعاية سلاطينها وكرمهم، حتى بادلهم نفس الشعور، وخير دليل على ذلك ما صنّفه لهم من مؤلفات نفيسة، نذكر منها: "المُسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"، ولم يخف تعظيمه وتبجيله لهذا السلطان في مقدمة كتابه المفرد له: «... وخبرت من سيره الجميلة، وخصاله الكريمة، وشاهدت من شيمه العظيمة، ما أعتقد أنّي اختصصت في عصره بمعرفته ...»⁽²⁾، وسار السلاطين في سيرة أبي الحسن على غرار السلطان أبي سالم الذي قرب إليه فقيهاً، ولأزم مشاورته حتّى مات السلطان مقتولاً سنة 762هـ/ 1361م⁽³⁾.

ومن العلماء الذين نُكبوا من السلاطين نذكر كذلك: أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، نسبة إلى مسقط رأسه الونشريسي، وهي إحدى الكتل الجبلية، حيث ولد سنة (834هـ/ 1430م). ونشأ الونشريسي بحاضرة تلمسان أين درس على يد جماعة من الأعلام كشيخ المفتين والنحاة أبي عبد الله محمد بن العباس

(1) ابن مرزوق، المسند، ص267.

(2) ابن مرزوق، المسند، مصدر سابق، ص92.

(3) المقري، مصدر سابق، ج3، ص59.

(ت: 871هـ / 1466م)، وأبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت: 854هـ / 1450م)، وولده قاضي الجماعة بتلمسان أبو سالم بن إبراهيم بن قاسم (ت: 880هـ / 1475م)، وعيسى بن الجلاب (ت: 875هـ / 1470م)، ومحمد بن مرزوق الكفيف (ت: 901هـ / 1495م)، وغيرهم، ولما بلغ أشده غضب عليه السلطان أبو ثابت الزياني، وأمر بنهب داره، فخرج إلى فاس، ولقي حفاوة كبيرة من فقهاء فاتها فاتخذها موطناً له ولأبنائه، وقد قال عنه الإمام ابن غازي: «لو أنّ رجلاً حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان باراً بيمينه ولا تطلق عليه زوجته».

وقد درس بفاس أصول الفقه المالكي واشتهر بفصاحة اللسان والقلم، حتى قال بعض من حضر درسه: لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه⁽¹⁾.

كما أشرف ولاية الأمر على المراسلات التي كانت تتم بين الفقهاء والعلماء من أجل حلّ المعضلات التي تقع بين الناس، وعلى هذا اعتنى علماء حاضرة تلمسان بالمراسلات المتعلقة بالاجتهادات الفقهية حول النوازل التي كانت تطرأ على سكان المغرب الأوسط من مختلف مناطقه، وهذه المراسلات أصبحت حرفة عند هؤلاء

(1) انظر ترجمته في/ ابن مريم، مصدر سابق، ص53- 54. ابن مخلوف، محمد بن محمد بن قاسم: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، اعتنى به وخرج آياته: عبد الغني مستو وجمال أحمد حسن، محمد العرب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1435هـ / 2014م، ج1، ص361. الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص255. الحفناوي، مرجع سابق، ج1، ص554. أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م، ج1، مقدمة المحقق.

العلماء، لأنها وثيقة رسمية تؤرخ للدولة الزيانية، ومن أنواع هذه الرسائل نجد الرسائل الديوانية والفقهية والإخوانية، والتي تهما في هذا المقام الرسائل الفقهية التي تبادلها الفقهاء فيما بينهم، وكانت إما كتباً فقهية يريد صاحبها أن تقرأ من الشيوخ وتكتب له فيها التعليقات، وإما مسائل ونوازل يريد صاحبها معالجة مسألة فقهية معينة استعصت على بعض الفقهاء، فيروى أن الشيخ المغيلي لما أتم كتابه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" أرسله إلى الشيخ ابن غازي والإمام السنوسي فأعجبا بتأليفه وأثنيا عليه⁽¹⁾.

ونورد مثالا آخر حينما راسل الإمام المازوني الفقيه البرزلي حول مسألة العيوب فقال: «... وسألت الإمام البرزلي عن مسألة وهي إذا شهد شهود بدم عيب بمبيع حيوان أو غيره، هل يحتاج الشهود أن يقولوا إنه يحط من ثمنه...»، والمقصود هنا أنه راسل البرزلي الذي لم تثبت كتب التراجم أنه دخل مدينتي تلمسان أو مازونة⁽²⁾.

ونشير في هذا المقام أن فقهاء الدولة الزيانية قد استفادوا أيما استفادة من المحنة التي طالت فقهاء المالكية المرابطين على العهد الموحي، فنجدهم قد «تفتحوا على مختلف العلوم، ورفضوا الخضوع لمنطق الإكتفاء بكتب الفروع، فبرز منهم علماء مجتهدون كثر في الفقه المالكي ظاهرة عليهم المرونة في الطر»⁽³⁾.

(1) انظر/ ابن مريم، مصدر سابق، ص254.

(2) المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، ص109.

(3) هوارية بكاي، العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين التعايش والتصادم، مجلة القرطاس، ع3، جانفي 2017م، ص86.

كما تطور علم التصوف بعد أن أولاه سلاطين بنو عبد الواد العناية والرعاية من أجل كسب ودّ الرعية وولائهم، فظهرت طبقة كبيرة خدمت هذا العلم سلوكاً وتأليفاً⁽¹⁾. ومن مشاهير متصوفة القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي الجامع بين الحقيقة والشرعية، المتمثل للتصوف علماً وخلقاً وسلوكاً؛ نذكر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي⁽²⁾.

(1) بوشقيف محمد: تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8 - 9هـ / 14 - 15م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010م / 2011م، ص 241.

(2) وُلِدَ عبد الرحمن الثعالبي سنة 786هـ / 1384م بالجزائر موطن آبائه وأجداده الثعالبة، قرب وادي يسر وبجوار مدينة يسر الواقعة حالياً بولاية "بومرداس" (63 كلم شمال شرقي العاصمة الجزائرية)، وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثعالبة، فيقال: أبناء "ثعلب بن علي، تكون الثعالبي في قصبة الجزائر، ثم قصد المغرب الأقصى بصحبة والده محمد بن مخلوف، فتعلم أصول الدين والفقه المالكي، فأخذ عن العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد. وزار مدينة بجاية فمكث بها سنة، ثم عاد إلى مسقط رأسه في يسر بعد وفاة والده، ثم رجع لمدينة بجاية، فنزل بها سنة 802هـ / 1399م، ومكث فيها حوالي سبع سنوات، وتعلّم فيها داخل "مسجد عين البربر"، وكذلك جامع بجاية الأعظم "في قصبة بجاية مع زملائه يحيى العيدلي وسيدي بوسحاقي مع آخرين. وارتحل إلى مصر وتونس والأناضول، أين زار مدينة بورصة، وأقيمت له زاوية صوفية هناك، وعاد بعد رحلة طويلة إلى قصبة الجزائر، واهتم بالتأليف، وصار يلقي دروساً في مساجد الجزائر، ترك رصيда هائلا من المؤلفات في الفقه والتصوف والتفسير واللغة والتوحيد منها:

- الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، يعنى بعلم التفسير مع علم إعراب القرآن.

- رياض الصالحين وتحفة المتقين (ضمّن كتابه هذا جملة من أحاديث النبي محمد في فضل الذكر وأحوال الآخرة، وأعمال الصالحين المنجية من عذاب جهنم).

- الأنوار في آيات النبي المختار، في ثلاثة مجلدات، يُعنى بعلم التصوف. الأنوار المضيئة الجامعة بين الحقيقة والشرعية، في مجلد واحد، يُعنى بالتربية الروحية وعلم التصوف. الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات، في مجلد واحد، يُعنى بعلم التصوف. الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، وغيرها. ينظر ترجمته في: عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

- جمع بعض الفقهاء في تلمسان بين صنوف متعددة من العلوم والآداب وكان السلاطين يؤثرونهم في المجالس والمحافل، فقد ظهر علماء كثر على هذا المنوال منهم الفقيه الصوفي زروق البرنسي (ت: 899هـ / 1493م)، الذي يعد ظاهرة فريدة حين جمع بين التصوف وعلم الكيمياء، وصار هذا التقريب للسلاطين نوعا من التبني للعلوم⁽¹⁾.

ونشير في هذا المقام أن فقهاء السلاطين الذين ندبوا أنفسهم في خدمتهم قد تفرعوا إلى قسمين رئيسيين:

- النوع الأول (المتلقون):

وهم الذين يكيلون الأمداء المسترسلة للسلطان في كل ما يقوم به في السر والعلن، ويظهر ذلك جليا من خلال الرسائل التي تدبج للسلاطين في الداخل والخارج⁽²⁾؛ ومن أمثلة ذلك ما ورد في "نفح الطيب" عن علاقة ابن الخطيب بالسلطان أبي حمو موسى الثاني قوله: «... وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن

(1) السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف: شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: مصطفى الغمازي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1989م، ص123.

(2) وفي هذا يقول صاحب المعيار: "اعلم أن شرَّ العلماء علماء السلاطين، وللعلماء معهم أحوال، فكان الصدر الأول يفرون منهم وهم يطلبونهم، فإذا حصل لهم أفرغوا عليهم الدنيا إفراغا ليقتنصوا بذلك غيره، ثم جاء أهل العصر الثاني فطمحت نفوسهم إلى الدنيا ومنعهم قرب العهد عن إتيانهم، فكانوا لا يأتونهم، فإن دعوهم اجابوا إلا القليل، فانتقصوهم كما كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم، ثم كان فيمن بعدهم من يأتهم بلا دعوة وأكثرهم إن دُعِيَ أجاب، فاستقصوا بقدر ذلك أيضا، ثم تطارَّ جمهور من بعدهم عليهم، فامتنعوا عن دعاء غيرهم إلا على جهة الفضل ومحبة المدحة فيهم، فلم يبقوا من ذلك إلا النزر اليسير، وصرفوهم في أنواع السخر والخدم إلا القليل، وهم ينتظرون صرفهم والتصريح بالإستغناء عنهم، وعدم الحاجة إليهم"، الوئشريسي، المعيار المعرب، مصدر سابق، ج2، ص480.

الخطيب كثيرا ما يوجه إليه بالأمداء، ومن أحسن ما وجه له، قصيدة سينية فائقة، وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه، لتمهد له مثواه، «⁽¹⁾. وتقع في مئة وأربعة عشر بيتا، وصلها بنثر بديع، جمع فيها ما استطاع من معاني المدح والثناء⁽²⁾».

ويتفق مؤرخو هذه الحقبة على غرار ابن مرزوق والتنسي ويحيى بن خلدون، على التسليم بالمدح للسلطين والجأر بمناقبهم، حتى لمن قتل أباه واغتصب الحكم منه⁽³⁾. وكان هذا الصنف لا ينكر على السلطان مهما بدر منه من تصرفات أو أعمال والغض عن كل نقيصة تصدر في فعله وقوله، ويبرر شرعا وعقلا كل ما يقوم به، ويجد الأعذار لكل فعل نافى الشرع أو جافى الحقيقة حتى أن لسان الدين بن الخطيب ألف كتابا مهماً يحتج فيه بجواز المبايعة بالملك لمن لم يبلغ الحلم أسماه: "أعمال الأعلام بمن بؤيع من ملوك الإسلام قبل الاحتلال".

وننبه في هذا المقام أن بعض الفقهاء في هذا الصنف كانوا على جانب كبير من التقوى والورع، وكانت الظروف قد حتمت عليهم الوظيفة ضمن السياسة المتبعة للسلطان، رغم ما يكتنف هذه الوظائف من إلزامية التصريح بالولاء والإفاضة في تحسين صورة الحاكم، إلا أن منهم من كان ديدنه رعاية مصالح الأمة حتى وإن قدم

(1) المقري، مصدر سابق، ج7، ص300.

(2) انظر/ المقري، المصدر نفسه، ج7، ص 300-302.

(3) عبد الجليل قريان، تاريخ العلوم العقلية، مرجع سابق، ج1، ص129.

ذلك على أطباق من المدّ والاسترسال في تعداد محاسن السلطان، وتحسين صورته عند العامة⁽¹⁾.

وقد بالغ بعضهم في الاتصال بالسلاطين على شاكلة أبي إسحاق إبراهيم بن علي الخياط الذي اتصل بالسلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان، حتى أنه كان يدخل عليه أحيانا في اليوم واحد وسبعين مرة لأجل قضاء حاجات الناس، وقيل للسلطان في ذلك، فقال: «دعوه هذا رحمة للناس، فما قضى الله يقضي، والله لا أبرمته ولا رددته»⁽²⁾، ولا شك أن هذا النوع من الفقهاء نال مكانة مرموقة عند السلطين، بل أصبحوا لسان حال السلطان يسبحون بأمره وينتهون بنواهيه.

- النوع الثاني وأسماهم بعضهم بالمستقلين:

وربّما يقصد بهم العلماء الربانيون، وهذا النوع نادر الوجود، لأنّ علاقته بالله أكبر من علائق الدنيا كلّها تجده عزيز الجانب قويّ النّفس زاهدا في الدنيا، شحيح الحضور في المجالس السلطانية التي يعقدها ولي الأمر، يخشاه السلطان لسلطته عليه عند العامة والخاصة، أصحاب نفوذ روحيّ قويّ يسيطرون على ضمائر الناس، ويحضون باحترام كبير في المجتمع لالتزامهم طريق الحق منهجا، رغم ما يعترضهم في سبيل ذلك من العوائق والمعاكسات والتضييق، فسبيلهم هو إعلاء كلمة الحق والجهر بها دون أن يخشوا لومة لائم، أو عقاب حاكم.

(1) عبد الجليل قريان، تاريخ العلوم العقلية، مرجع سابق، ج1، ص130.

(2) ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد الخطيب (ت: 781هـ / 1379م)، المناقب المرزوقية، دراسة وتح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاء الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2008م، ص181.

يقول النباهي (ت: 773هـ / 1271م) في هذا السياق: «... من اقتصر على التّعيش من مرافق الملوك ضاع هو ومن له، وشمله القل، وخامرهُ الذل، اللهم إلا من كان من القوة بالله قد بلغ من الزهد في الدنيا إلى الحد الذي يكسبه الراحة بالخروج عن متاعها، وترك شهواتها قليلها وكثيرها، مالها وجاهاها بأمر آخر»⁽¹⁾.

ولعلّ أوضح بيان حول هذا الصنف نذكر العالم الفقيه أبا إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي⁽²⁾ نزيل تلمسان الذي كان يحظى بهيبة كبيرة لدى الأمراء، وهذا ما نستشفه من قول السلطان المريني عنه، إذ يقول: «ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يد لهيبة السلطان، إلا الفقيه أبا إسحاق التنسي، فعندما يصادفني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيئته»⁽³⁾.

وقد أفتى في فتوى مشهورة بانفصال السلطان الزيانييغمراسن عن أولاده للأيمان المغلظة التي حلفها في ذلك، وبعد أن هدأ روعه، جاء إلى أبي إسحاق يستفتيه في الجمع بينه وبين أولاده، فلم يفته بالجمع، رغم وجود مجموعة من الفقهاء أفتوا له بذلك،

(1) النباهي الأندلسي، مصدر سابق، تح: لجنة إحياء التراث، ص164.

(2) هو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام أبو إسحاق التنسي المظمطي (ت: 670هـ / 1272م) عالم مالكي، من أهل مدينة تنس، انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلّها ترد عليه الأسئلة من تلمسان وبلاد إفريقية كلّها، روى عن ابن كحيلة، وناصر الدين المشدالي، وقرأ بتونس على جماعة، رحل إلى المشرق فزار مصر والشام والحجاز، وأخذ الشمس الأصبهاني والقرافي والسيف الحنفي. ثم عاد واستقر بتلمسان ودرس بها إلى أن مات، له شرح كبير على كتاب "التلقين" للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، في عشرة أسفار، ضاع في حصار تلمسان، وتقييد "على الإرشاد"، وكان من أولياء الله وممن جمع بين علمي الباطن والظاهر، ومن تلامذته الشيخ أبو عبد الله بن الحاج العبدري، ينظر: ابن مريم، مصدر سابق، ص158، 159.

(3) عيسى بن الذيب، وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ط1، 2007، ص155.

إلا أنّ السلطان بقي يلتزم فتوى أبي إسحاق، ولكنّ هذا الأخير بقي مصرا على فتواه ثابتا على رأيه، وهذا ما أغضب أبناء السلطان وقالوا بخروجه، ولمّا بلغه ذلك خرج هو وأخوه من مدينة تلمسان، ولمّا بلغ السلطان خروجه ركبهُ لاستعطافه، فتماذى على السفر، وامتنع من الإقامة، وبقي أربعة أعوام خارج تلمسان، وعاد إليها بعد ذلك⁽¹⁾.

وهذه الحادثة تبين لنا بجلاء تلك الأسباب الكامنة وراء انعزال بعض العلماء والفقهاء واختفائهم أو التجائهم للزهد والتصوف بعد أن يزيد ضغط السلاطين عليهم ليسكتوا على المنكر والفساد، وهو الأمر الذي لا يطيقه هؤلاء العلماء، لأنهم قوم يحافظون على إقامة حدود الله والثبات على كلمة الحق.

ومن هؤلاء الفقهاء أيضا نجد الفقيه محمد بن إبراهيم الأبلّي⁽²⁾ الذي فرّ من تلمسان سنة (700هـ/1302م) حين حاصرها جيش بني مرين، ولمّا بلغه انتهاء هذا الحصار قرر العودة إليها، إلا أنه اختلف مع السلطان أبي حمو موسى ساعتها وقرّر مغادرة تلمسان إلى فاس، وهناك اتصل بالسلطان المريني أبي الحسن الذي قدمه وأحسن له، وأصبح من الملازمين له المرتحلين معه⁽³⁾.

(1) ابن مرزوق، المناقب، ص293.

(2) هو الفقيه محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد العبدري البحر الفهامة العلامة القوامه المولود بتلمسان سنة (681هـ/1280م)، كان أبوه من قواد تلمسان وأمه ابنة قاضي تلمسان محمد بن غلبون، نزحت أسرته من الأندلس (أبلّة-vila) إلى تلمسان حيث أصبح والده من مساعدي الأمير يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية، توفي سنة (775هـ/1356م). أخذ عنه ابن خلدون وترجم له، ينظر: عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، (ضمن منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011)، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص165-166.

(3) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، مصدر سابق، ص266.

ومن هؤلاء العلماء الذين آثروا البعد ورفض التقرب من السلاطين واعتبر ذلك من الأمور التي تشغلهم عن طلب الآخرة ونيل رضوان الله، نجد منهم الفقيه محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، حيث كان يبغض الاجتماع بأهل الدنيا والنظر إليهم، حيث رفض أخذ غلات مدرسة سيدي الحسن أبركان، فألح عليه السلطان الزياني وحاشيته، فكتب في الإعتذار رسالة مطولة فقبل منه، ويحكى عنه أنه خرج إلى الصحراء فرأى فرسانا يرتدون ثيابا فاخرة، فقبل له: هم خواص السلطان، فسلك طريقا آخر لانتقامهم، والتقاهم مرة فوجه وجهه تلقاء الحائط وغطاه، ويروى أنه لما ختم تفسير القرآن الكريم فسمع أن الوزير أراد حضور الختم، فقرأ السور كلها في يوم واحد، وطلبه السلطان وألح في طلبه لإقراء التفسير، فأبى وتحجج⁽¹⁾.

وكان إذا سمع بوليمة لأهل الجاه اختفى يوما أو أياما حتى تنقضي، ولا يقبل عطايا وهدايا السلطان، ويكره الكتابة للأمرءاء، وطلب منه أن يأتي إلى السلطان ويقرأ عليه التفسير على عادة المفسرين فامتنع من ذلك، ولما ألحوا عليه كتب إليه معتذرا بغلبة الحياء، وأنه لا يقدر على الكلام في حضرة السلطان، فأعفي من ذلك⁽²⁾.

وقد اتخذ الكثير من العلماء خاصة في العدو الأندلسية والذين كانوا يترددون على تلمسان لأغراض عديدة، مواقف سلبية تجاه سلاطين بني عبد الواد، وتجنبوا الاحتكاك بهم، ورفضوا كل أشكال الهدايا والعطايا التي كانت تأتيهم من لدن سلاطين الزيانيين،

(1) التبتكي، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج2، ص208، ابن مريم، مصدر سابق، ص260.

(2) التبتكي، أحمد بابا (ت: 1032هـ / 1624م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م، ص154.

كما أنهم قابلوا عرض تولي الوظائف السلطانية بالرفض المطلق، ولعلّ بعضهم قبلها على مضض خوفا من بطش السلطان وسطوته، وسُرعان ما يطلبون الإعفاء منها، أو يغادرون البلاد تماما.

لذلك نجد المشاهير من العلماء حتى قبل الزيانيين على شاكلة شيخ المشايخ سيدي أبو مدين شعيب (ت: 594هـ) وهو من أصحاب الورع والوقوف مع الحق، والرفض المطلق مخالطة السلاطين سواء بني زيان أو بني مرين، أو أثناء حكمهم كابن فرحون المالكي (ت: 799هـ) صاحب "الديباج المذهب"، والذي كان يُظهر موقفه المُعادي لصحبة السلطان، حيث نجده يُصرّح في ترجمته لأبي اسحاق إبراهيم بن أبي يحي عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي بقوله: «امتنح بصحبة السلطان، فصار يستعمله في الرسائل، فمرّ في ذلك حظ كبير من عُمره ضائعا لا في راحة دنيا ولا في نصبالآخرة... وهذه سنة الله فينت خدم الملوك مُلتفتا إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من عُمره وراحته، لطفالله بنا وبمن ابتلي بذلك»⁽¹⁾.

وأمام وجود هذين الفرقتين من العلماء: فرقة خدمت السلطان ومشت على دربه، وفرقة أخرى رفضت ذلك وربما انعزلت، فإنّ مكانة العلماء عموما لم تكن جيدة على طول الخط عند السلاطين الزيانيين، بل تعرضوا في أحيان كثيرة إلى نكبات جراء الخدمة أو لتضارب المصالح أو لرفض آداء الخدمة، أو لاغتنام الفرصة من السلطان

(1) ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 2005، ج1، ص 247.

المريني عند حدوث أي تشنج أو سوء علاقة أو خلاف، ومن أبرز الأمثلة لهذا العهد نذكر:

- تعرض الفقيه الشريف التلمساني إلى السجن حين اشتكى إلى السلطان الغربية، وحينها علم السلطان أنّ هناك ودائع وأموالا أودعها سلطان تلمسان عند بعض أهلها، وأن الشريف عالم بها، فامتن عليه السلطان أبو عنان المريني برفعه على العلماء وتقريبه، فردّ الفقيه الشريف: «إن ما عندي شهادة لا يجبُ عليها رفعها، بل سترها، وأمّا تقريبك لي فقد ضرني أكثر مما نفعني، ونقص علمي وديني». وسأل السلطان بعضهم عما يقوله الناس فيه، فقليل خيرا، غير أنهم سمعوا بسجنك للعالم الشريف التلمساني، فلامك العامة والخاصة، فأمر بإطلاق سراحه والإحسان إليه⁽¹⁾.

- تعرض الفقيه محمد بن مرزوق التلمساني إلى السجن لأنه كان من جلساء السلطان أبي عنان، حتى أنه كتب له كتابا أسماه: "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن".

- تعرض الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي لجور السلطان، وقد تعرضت داره للنهب من قبل رجال السلطان في أول محرم 874هـ / 1469م، هذا الأمر دفعه إلى الفرار إلى فاس والإستقرار بها⁽²⁾، ولعل موقفه الصريح بخصوص تقديم الجهال على

(1) ابن مرزوق، المناقب المروزية، مصدر سابق، ص275.

(2) التمكنّي، نيل الإبتهاج، مصدر سابق، ج1، ص144.

العلماء في تولية المناصب الشرعية، كالقضاء والفتوى، جعله محل سخط السلاطين الزيانيين، لأنه عدّ صنيعهم من البدع المحرمة، التي لا يجوز السكوت عنها⁽¹⁾.

- تعرض الفقيه أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني للمضايقات نتيجة انتقاده لسياسة بني زيان، حيث عاب عليهم تدهور جوانب الأخلاق، وانتشار الفساد، وانتقد موقف السلطان أبي عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي (910 - 922هـ/ 1505 - 1516م)، نتيجة لمسالمة الإسبان ومصالحته لهم، بهد احتلال مدينة وهران، وظل ينتقد سياسة أبي حمو الثالث (922 - 934هـ/ 1518 - 1528م)، وهذا بسبب مواقفه المخزية من العدو، وسارع للإتصال بالأتراك رفقة أهل تلمسان بغية مقاومة الإسبان آنذاك⁽²⁾.

(1) الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج2، ص492.

(2) الورثيلاني، الحسين بن محمد: الرحلة الورثيلانية المسماة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008، مج3، ص23.

المبحث الرابع: الحُجَّاب

أولاً: الحجابة لغة واصطلاحاً:

أ/ الحجابة لغة: مهنة الحاجب والحجاب الستر، وحجب الشيء يحجبه حجباً، أي ستره⁽¹⁾.

ب/ الحجابة اصطلاحاً: وتعني حجب الخليفة عن الرعية وهي من الجذر حجب وتعني ستر وغطى وحوى وهي وظيفة إدارية وضعت لحماية الخليفة من القتل والاغتيالات لتكرارها وكثرتها في العصر الراشدي ومحاولة اغتيال معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص على يد الخوارج ونجاحهم في اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب ما جعل معاوية بن أبي سفيان إلى استحداث وظيفة الحاجب في الدولة الإسلامية فكانت مهمة حراسة الخليفة ومن ثم أصبح يقف على باب الخليفة لترتيب مقابلات الخليفة مراعيًا المركز الاجتماعي لكل من يريد الدخول للخليفة.

وتعرف الحجابة أنَّها: وظيفة سلطانية مهمتها حجب السلطان عن الناس « فيشغلوه عن النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته واضطلاعه »⁽²⁾.

ثانياً: شروط تولية الحاجب:

وقد قيل في شروط تولية الحاجب وصفاته الضرورية: «...أن يكون نصفاً مكتهاً، قد أحكمته الأمور وحنكته، أو شيخاً متماسكاً قد عجمته الدهور وعركته،

(1) إبراهيم أنيس، وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1973م، ج1، ص155.

(2) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص228.

وَلَهُ عَقْلٌ وَحَزْمٌ يَدْلَانَهُ عَلَى صَوَابٍ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ، فَهُوَ صَبْحَانُ لَهُ مَسَالِكُ مَا يُورَدُ وَيَصْدُرُ، وَأَنْ يَرْتَبَ الْحَوَاشِيَّ فِيمَا يَتَوَلَّوْنَهُ تَرْتِيبًا لَا يُجَاوِزُ بَكُلٍ مِنْهُمْ فِيهِ حَدَهُ وَلَا يَحْمِلُهُ مَا لَا يَطِيقُهُ، ثُمَّ يِرَاعِيهِمْ مُرَاعَاةً تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّحَرُّزِ فِي الْأَفْعَالِ وَالتَّحْفِظِ فِي الْأَعْمَالِ وَمَدَاوِمَةِ الْخِدْمَةِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ وَمِلَازِمَةِ الْحَشْمَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِرْسَالٍ»⁽¹⁾.
إضافة الى الحزم والشدة والكفاية والنجدة وامتنال الأوامر واليقظة، وحسن التصرف والتدبير ومحبة السلطان⁽²⁾.

1. وعموما لا ينبغي أن يكون جهولا: لأنه إذا كان جهولا أدخل على صاحبه الضرر من حيث تقدير المنفعة.
2. لا ينبغي أن يكون غبيا: فانه يجهل مكان الشريف فيعامله في غير منزلته وحطه في غير مرتبته أي ذكي بحيث يستطيع التمييز بين الناس وكيفية ترتيب دخولهم على ولي الأمر.
3. لا ينبغي أن يكون ذهولا متشاغلا: فانه أضل ما يحتاجه إليه صاحبه في وقته أضاع حقوق الغاشين لبابه
4. لا ينبغي أن يكون عبوسا: فانه إذا كان عبوسا استقبل كل طبقه بالمكروه فترك كل أهل النصائح نصائحهم وأخل بذوي الحاجات فتركوه وقلت الغاشية لباب صاحبه.

(1) الصابئ، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت: 448هـ)، رسوم دار الخلافة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ت، ص71.

(2) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص153.

5. قوي وجريئ وذلك ليقوم بحماية الخليفة من الاغتيالات السياسية والأهم أن يكون شديد الانتباه لكل صغيرة وكبيرة.

6. ليس عيباً (أي كثير العياء والمرض) حتى لا يقصر في القيام بواجبه. والحجابه كما يستدل من المصادر المعاصرة التي وقفنا عليها هي من أسمى الرتب في نظام حكم الزيانيين، بل هي أعلى رتبة من الوزارة، على غرار بلاد الأندلس التي ارتفعت فيها مرتبة الحجاب على سائر الرتب، وخاصة في أواخر عهد الأمويين وملوك الطوائف فيما بعد حتى انتحلوا لقبها إلى جانب لقب الملك، كما اتخذوا لقب ذي الوزارتين⁽¹⁾.

والحاجب هو متولي السلطان الخاص ومدير تشريفاته، ورئيس جنده عند الحرب، وهو مقدم على سائر الخاصة لملازمته السلطان ومشاركته في الرأي والمشورة، ويبدو أن الحاجب كان قريباً من السلطان ويتصل به مباشرة ويأذن في الدخول عليه بعد أخذ الإذن ويسمى المزواد باللهجة الزيانية⁽²⁾.

ويبدو أن للحاجب في عهد يغمراسن (633-681هـ / 1235-1282م) أهمية ومرتبة وحظوة تفوق مرتبة الوزير، من خلال قربته والثقة التي كان يحظى بها عند السلطان الزياني، ويتضح لنا ذلك من العبارة التي استعملها يحيى بن خلدون

(1) أنور الرفاعي، النظم الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا، د. ط، 1973، ص70.
(2) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2011م، ج1، ص77.

حين قال: « وحاجبه الأقرب ومساوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك⁽¹⁾، من فقهاء الحضرة، وخاطبته ملوك الموحدين بذلك، وكان ذا رأي سديد وسياسة، وله في البلد خلف من نمط التجار أخيار⁽²⁾ ».

والحقيقة في هذا القول أن السلطان يغمراسن بن زيان قد أرسل حاجبه المذكور لمفاوضة السلطان السعيد الموحدي بعد أن تحرك بجيوشه لمحاصرة تلمسان، ونظرا لمكانته عند سيده؛ يبدو أنه قد التبس الأمر على المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ/ 1406م) وظنه وزيرا ليغمراسن حين قال: « ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن... »⁽³⁾.

والظاهر أن الحجاب على عهد الزيانيين كانوا من أصحاب المكانة العلمية السامية، على غرار الفقهاء، وأصحاب العلم والأدب، كما هو حال بعض الأسر الوافدة من قرطبة والأندلس وصارت لها مكانة كبيرة لدى السلاطين الزيانيين، كما كان الشأن في أسرة بني ملاّ القرطبي⁽⁴⁾.

لكنّ هذا الشأن تغير على عهد السلطان أبي حمو موسى الأول؛ إذ جمعت مع منصب الوزارة ليختفي منصب الحجابة، أو انتابه شيء من الأفول والزوال، ليعود في عهد أبي حمو موسى الثاني هذا المنصب، وهو ما أكدته وصيته لولي

(1) أبو محمد عبدون بن محمد الحباك، القاضي والخطيب وحاجب لأمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن، وخاطبه ملوك الموحدين بذلك، امتاز بسداد رأيه وحسن سياسته، وله في البلد خلف من نمط التجار أخيار، يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 62.

(2) نفسه، ص 35.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص186.

(4) نفسه، ج4، ص204.

عهده بقوله: «... يكون أول ذلك عليك مزوارك الموصوف وعونك المعروف ليعرفك بمن ببابك...»⁽¹⁾.

ومن خلال ما وصلنا من مادة وإن كانت ضئيلة أحيانا، يمكن إجمال مهام الحاجب إبان العهد الزياني فيما يلي:

- مقابلة الرعية الذين يودون طرًا انشغالاتهم من خلال الاستماع لهم، فمن كانت حاجته تقضى دون الوصول للسلطان قضاها له، ومن عجز عنها وكانت فوق ما أوتي من صلاحيات قدمهم للسلطان لينظر في أمرهم.
- القيام ببعض السفارات أو المفاوضات مع الحكام الأجانب أو حتى الأعداء أو الخصوم من الدول المجاورة.
- الإجابة عن التساؤلات التي تغد من السلطان، حول الرعية أو بعض الأحكام الفقهية والشرعية التي تستدعي العجلة إن كان متضلعا في هذا التخصص أو ما شابهه، والدليل أن كثيرا من الفقهاء قد ولوا هذه الخطة خلال عهد بني زيان نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود حاجب السلطان أبي زيان محمد والذي كان صاحب أشغال السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن⁽²⁾.
- الإشراف على قصر السلطان، والنظر في أمور الطعام والكساء والذخيرة والعطاء، وقد تجمع له العلامة على السجلات حتى خص باسم المنفذ الخاص

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص59.

(2) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص118.

بالسلطان في داره⁽¹⁾، كما عرف بالمزوار وهي لهجة زناتية خالصة تقابل لفظ الحاجب⁽²⁾.

- النيابة عن الملك أو السلطان في حالتي الحرب والسلام متى استدعت الضرورة أو المصلحة لذلك.

- حراسة الباب وحفظ الأمن ورعاية القصر، فضلا عن تنفيذ عقوبات الملك وانتقامه⁽³⁾.

نشير هنا أن هذه الخطة كانت بدورها متوارثة أو في نسل واحد، وهو ما أراده بنو عبد الواد في بعض الأسر ممن يرضونهم ويثقون فيهم ثقة مطلقة، وهو حال كثير من الدول، ومن هذه الأسر نجد آل الملا^٤ ومنهم: محمد بن ميمون بن الملا^٥، وابنه محمد الأشقر، وإبراهيم بن محمد الأشقر...⁽⁴⁾.

ومن جملة الحجاب التي ذكرتها المصادر الزيانية والذين تولوا المنصب بالدولة العبد الوادية نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن عامر الولهاصي، وكان حاجبا معروفا للسلطان عثمان بن يغمراسن.

- الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود وكان حاجبا ذو مكانة للسلطان أبي زيان محمد بن عثمان.

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص193.

(2) الحاج محمد بن رمضان شاوش، مصدر سابق، ج1، ص92.

(3) انظر: عبد الرحمن الجيلالي، مصدر سابق، ج2، ص211.

(4) يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص117.

- هلال القطلاني وموسى بن علي الكردي: كانا حاجبين على عهد أبي تاشفين الأول، والظاهر أن الزيانيين قد لجأوا أحيانا إلى تولية من ليسوا من العرب أو البربر، على غرار هذا الكردي الذي كان من بيت نبيه من الأكراد الذين فروا من التتار وانتقلوا إلى المغرب، وتفرقوا في تلمسان، وبقي جمع منهم مع بني مرين، وقد نشأ موسى بن علي الكردي في حرم السلطان يوسف⁽¹⁾.

(1) مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت، ص451.

المبحث الخامس: الأشراف

يقصد بالأشراف أبناء إدريس بن عبد الله، وإخوانه محمد بن النفس الزكية وسليمان، والذين استقروا بالمغرب الأوسط والأدنى، وقد كان للأشراف توقير وتقدير عظيم في نفوس السكان منذ القرون الأولى للفتح، ولم يشذ هنا المجتمع الزياني عن هذه الحقيقة، فنجدهم غالبا ما يتبركون بهم في كل مكان وزمان، ولهذا نجد السلطان أبا حمو موسى يضع لهم مكانا في قلبه، وكتابه حين أوصى ولي عهده بهم فقال: « يكون الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب لأنهم أشرفهم في الحسب وأعلاهم في النسب »⁽¹⁾، وقد كتب الحافظ التنسي زمن السلطان أبي عبد الله المتوكل كتابا أسماه " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان " خلد فيه شرفهم، وبيّن أهم الفروق بينهم، وبيّن أحوالهم بني عبد الواد، وأثبت فيه السلسلة النسبية إلى القاسم من ولد محمد بن عبد الله ابن إدريس بن إدريس.

وقد أشار اليعقوبي في مصنفه المشهور "البلدان" إلى محمد بن القاسم في معرض حديثه عن تلمسان وكان من الأوائل الذين تحدثوا عنه في مجمل المؤرخين والبلدانيين حين قال: « ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب التي يقال لها تلمسان... وعليها سور حجارة، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة، ينزلها رجل منهم يقال له محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان... »⁽²⁾.

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص144.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص144.

وقد شَرَّف الزيانيون الأشرافَ، ووضعُوهم في الرُّتب التي يستحقونها، والخطط التي تليق بهم، فنجدهم في أعلى هرم أعوان السلطان، وقد أعفوا من دفع الضرائب مهما كان نوعها على شاكلة الضرائب المفروضة على الرعية⁽¹⁾.

كما قدّمهم الزيانيون في خطة التدريس، فكان الشريف الحسني أول مدرسٍ بالمدرسة اليعقوبية التي شيدها أبو حمو موسى الثاني، وهو ما يبين علو قدرهم عند السلاطين. فبعد استعادته لعرش تلمسان من المرينيين استقدم أبو حمو موسى الثاني الشيخ الشريف التلمساني وقربه من عرشه، وكان يستشيريه دائماً كما زوجه ابنته، وأكرمه أكثر وبني له مدرسة خاصة به، وأكل له إدارتها وشؤون التعليم فيها، وبعد موته رثاه كثيرا الملك الزياني⁽²⁾.

من الأسر الأشراف المعروفة في هذا العهد نجد:

- أولاد محمد بن زيان.
- أولاد عنان.
- أولاد سيدي عبد الوهاب.
- أولاد حمد⁽³⁾.

وبهذا؛ فالمصادر التاريخية تنسب الدولة الزيانية إلى القاسم بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر جد الشرفاء الأدارسة (788م / 974م)؛ كان

(1) حساني، مرجع سابق، ج3، ص92.

(2) لاغة عمارية، علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الزيانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ج5، ع12، ص201.

(3) نفسه، ص93.

القاسم حاكما على مدينة تلمسان، ولما تغلب الفاطميون، القاسم وأولاده لجؤوا واندمجوا في بني عبد الواد، وكتبوا بينهم عقد العهد والميثاق حتى يظن من لا يعرف علم الأنساب أنهم أصل واحد) هذا كما حدث مع إدريس وابنه وبنيه اندمجوا كلهم في البربر).

عرف يحيى بن خلدون بني عبد الواد بقوله: وهم فخذان، أحدهما بنو عبد الواد، وبهذا الاسم عرف الجميع، ثم يواصل: والفخذ الثاني هم بنو القاسم، من ولد إدريس بن إدريس، فكان القاسم هذا ممن أصر وانضاف إلى قبيلة بني عبد الواد بعد سقوط دولة الأدارسة، فأكرموا نزلهم ومثواه، فتزوج فيهم ونسل بينهم ذرية كثيرين؛ كان بنو عبد الواد من أمراء هذي القبائل الرحل، وكانوا يرتادون منطقة الأوراس ويشغلون منطقة الزاب إقليم قسنطينة؛ ولما حل عرب بني هلال بالمغرب انزأ بنو عبد الواد أمامهم من الزاب واستقروا في منطقة جنوب وهران؛ وهم عدة بطون هي: « بنو ياتكتن، بنو وللو، بنو تومرت، بنو ورسطف وبنو مصوجة »⁽¹⁾، ويضاف إليهم بنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان بني عبد الواد، وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة إحدى أكبر وأشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب التي كانت تنتقل في الصحراء الكبرى، يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية. ولما قام عقبة بن نافع الفهري بحركته في بلاد المغرب فاتحا، سنة 62هـ / 682م، أثناء حملته الثانية المشهورة وقد شملت أراضيهم بالأوراس والزاب، ساندوه وشكلوا فرقة من جيشه تابعت معه فتوحاته غربا وقد أبلوا

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص84.

بلاء حسنا في مهمتهم إلى جانب المسلمين. قال يحيى بن خلدون: «أرسل عقبة إلى بني عبد الواد فسارعوا إليه بألف فارس أنجاد نصره الله تعالى بهم ودعا لهم فما زالوا يعرفون بركاته حتى الآن»⁽¹⁾. وهذا دليل على أن بني عبد الوادي اعتنقوا الإسلام مبكرا.

وقد فنّد عبد الرحمن بن خلدون قضية النسب الشريف للزيانيين خلافا لشقيقه يحيى بن خلدون. نسب بني زيان إلى زناطة مصدرها عبد الرحمن بن خلدون؛ ونسب بني زيان إلى الأدارسة مصدرها يحيى بن خلدون الأخ الأصغر لعبد الرحمن كذلك؛ فأصل بني زيان يتضارب بين فكرتين رئيسيتين، تبناها فيما بعد معظم المؤرخين في بلاد المغرب والأندلس؛ فمنهم من اعتمد على قول عبد الرحمن بن خلدون، ومنهم من تبني مقولة أخيه يحيى بن خلدون.

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص96.

الفصل الرابع

الوظائف السامية الإدارية في العهد الزياني

المبحث الأول: الكتاب

المبحث الثاني : صاحب الأشغال

المبحث الثالث: الموثقون والعدول

المبحث الرابع: السفراء والقناصل

المبحث الأول: الكتاب

يذكر عبد الحميد الكاتب (ت: 132هـ) في رسالته المشهورة المعرفة الضرورية للكاتب: «... قد نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه، فإن لم يحكمه شدا منه شدوا، يكتفي به... فتنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والأدب، وتقَّهوا في الدين، وابدعوا بعلم كتاب الله عزَّ وجل والفرائض، ثم العربية... وأجيدوا الخطَّ، وارووا الأشعار وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، ولا يضعفُ نظركم في الحساب، فإنَّه قوام كتاب الخراج منكم»⁽¹⁾.

خصَّ السلاطين الزيانيون شروطا مهمّة لانتقاء كتاب دواوينهم، وهذا ما وقف عليه كثير ممن بحثوا في هذا الموضوع، وأجمعوا أنَّ اختيار كتاب الإنشاء كان يخضع أولاً لمقياس الكفاءة وحسن السلوك، لا مقياس القرابة والصلة العائلية⁽²⁾.

ولم تخل وصية السلطان أبي حمو موسى الثاني لولي عهده وولده من الشروط الضرورية لتعيين الكتاب وانتقاء الأفضل منهم، حين قال في "باب: فراسة الملك مع كاتبه": «اعلم يا بُنَيَّ: أنَّه ينبغي لك أنَّك تتفرس في كاتب سرِّك المباشر لمهمِّ أمرك، إذا كان فيه أربع خصال فهو كامن على كلِّ حال، وهو: أن يكون صحيح المذهب، قائلاً بالحق، قليل الإخوة والأصحاب، ومن ذوي البيئات والأحساب»⁽³⁾، ويسهب

(1) الجهشيري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس: كتاب الوزراء والكتاب، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1938، ص57.

(2) حسين تواتي، مرجع سابق، ص121.

(3) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص233.

في موضع آخر من كتابه هذه الشروط بقوله: «... وأما كتابك فلتتخير منهم لسرك كاتباً من وجوه بلدك موفياً لغرضك ومقصدك، فصيح اللسان مريد الجنان، بليغ البيان، عارفاً بالآداب، سالكا طريق الصواب، بارع الخط، حسن الضبط، عالماً بالحل والربط، كاتماً للأسرار، متحلياً بتحلي الوقار، ذا عقل وافر، وفهم حاضر، وذهن ثاقب، وفكر صائب، حلو الشّمائيل موسوماً بالفضائل، جميل الهبة واللباس ...»⁽¹⁾.

كما يوصي أيضاً بأن يكون الكاتب مطلعاً متّسع الثقافة، جيد الأسلوب في تحرير الرسائل، فطنا ذكياً في عرض كتابته، وهو ما يظهر في "باب: الوزراء والكتاب" حين قال: «... ويجب على هذا الكاتب أن يكون درباً في قراءة الكتب وسردها، متحرزاً من ألفاظ شائنة أو وصمة في ضمن الكتاب ثاقبة»⁽²⁾ إضافة لكثير من الصور والشروط التي نجدها متناثرة في كتب النظم الإسلامية والأحكام السلطانية.

أولاً- مهام الكاتب في عهد الدولة الزيانية:

تنوعت مهام الكاتب إبان العهد الزياني، وارتبطت كذلك بشخص السلطان ومدى تركه للصلاحيات لكاتبه ومدى ثقته وقدرته، ومن أهم مهام الكاتب إبان الفترة الزيانية نجد:

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص122.

(2) نفسه، ص146.

1/ استقبال الرّسائل والخطابات الواردة إلى السلطان أو الحاكم:

يقوم الكاتب باستقبال الرسائل والخطابات فيقرأها ويعرضها على السلطان، ثمّ يملئها على أحد مساعديه ليكتبها، وهذا ما بينه أبو حمو موسى الثاني حين قال: «... لتلقي إلى كاتبك ما أردت من سرّك، ويعرض عليك الكتب الواردة من أقطارك وأمصارك، بمحضر وزيرك المخصوص برأيك وتدبيرك...»⁽¹⁾.

2/ التوقيع:

كُلف كاتب الإنشاء في الدولة الزيانية بمهمة التوقيع التي هي من خطط الكتابة، ويقصد بها ما يصدر من السلطان لنفاذ الكتاب ليأخذ صفة الرسمية، ويقوم صاحب هذا الديوان بالتعليق على الطلبات أو الوقائع التي كانت ترفع إلى السلطان بعد أن يتحرى الوزير في أمرها، وبعد اطلاع السلطان عليها وإبداء رأيه، يقوم بصياغته في أبلغ ما يستطيع بلاغة وجزلاً⁽²⁾. أو أنّه الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة، والتحدث في المظالم... وكان السلطان هو من يتولى التوقيع على الأمور السلطانية وفصل المظالم⁽³⁾. وفي هذا المنوال يفيدنا يحيى بن خلدون الذي شغل منصب

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص 148.

(2) عبد الحميد حسين أحمد السامرائي: تاريخ وحضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، دار شموع الثقافية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 2002م، ص273.

(3) القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، قدمه: فوزي محمد أمين، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2005، ج1، ص111.

كاتب لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني أنه كان نفسه يجلس بين يدي السلطان للتوقيع⁽¹⁾.

3./التحرير:

ويتم التحرير عن طريق الكاتب نفسه، أو عن طريق الإملاء على يد أحد مساعديه، ويبدو أنّ التقليد المعمول به في العهد الزياني كان مقتصرًا على التحرير بيد الكاتب في الغالب، وهو ما أورده "صاحب الواسطة" حين قال: «...فإذا فرغ الكاتب في عرض كتبك وتلقى بالتوقيع ما أردته من إربك، خرج لكتابة ما أمرته به ويجري على أحسم ما أمرته به...»⁽²⁾.

وقد عرف الزيانيون منصب كاتب الإنشاء: وهو الموظف الذي يتلقى الرسائل الموجهة إلى البلاط الملكي فيطلع عليه، ثم يجيب عليها بعد عرضها على السلطان، ويتلقى أوامره في شأن الإجابة عليها، كما له تولية العمال وغيرهم من الموظفين الساميين بعد مشاورة السلطان، ومن أشهر كتاب الإنشاء أبو بكر محمد بن عبد الله الخطاب المرسي، ومحمد بن عمر بن خميس التلمساني الشاعر المعروف، ويحيى بن خلدون صاحب كتاب بغية الرواد أخ المؤرخ الكبير والفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون⁽³⁾.

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص152.

(2) نفسه، ص198.

(3) الحاج محمد بن رمضان شاوش، مصدر سابق، ج1، ص77.

4/. إصدار أوامر السلطان مكتوبة:

من المهام التي يكلف الكاتب الزياني بأدائها مهمة تحويل أوامر السلطان إلى قرارات مكتوبة ويتحرى الكاتب في ذلك البلاغة والإيجاز وحسن التعبير بعيدا عن اللبس والإبهام حتى تكون واضحة للعوام، كما يتجنب التأويل والإبهام والذي قد يؤدي لمزالق لا تُحمد عقباها.

5/. تسجيل أسماء أفراد الجيش وحصر أعدادهم:

يقوم الكاتب بتسجيل أسماء أفراد الجيوش في دفتر خاص وتقسيمها وفق نظام معين، ليتسنى ضبط المنح والرواتب والأعطيات التي تمنح لهم، ونذكر في هذا المقام أنّ هذه المهمة ينفرد بها كاتب العسكر دون غيره، وقد أشار إلى كل هذا صاحب الوسطة مبينا مهام هذا الكاتب في قوله: «... ويكون ترتيب الجيش في العطاء على قدر شجاعتهم وسابقتهم للخدمة واصطناعتهم ومحبتهم وانقيادهم وألفتهم واجتهادهم، وهؤلاء أهل الطاعات والمجابي والبلاد، وهم القبيل والحماة، والأنصار والأجناد،... لأنّ من فرط في جيشه أعان عدوه عليه...»⁽¹⁾.

وعرف عند الزيانيين منصب كاتب العسكر: وهو الموظف الذي يتولى توزيع المؤن والسلاّ على الجنود كل واحد منهم على حسب رتبته وطاقته، وقد يتولى كذلك قيادة الجند وتوجيهه في غالب الأحيان⁽²⁾.

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص 167.

(2) الحاج محمد بن رمضان شاوش، مصدر سابق، ج 1، ص 77.

ثانياً - أشهر الكتاب في العهد الزياني:

كانت حاضرة تلمسان حافلةً بالكتاب وأصحاب دواوين الإنشاء، وقد عَجَّت بهم قصور السلاطين الذين كانوا يتنافسون تنافساً شديداً على الظفر بأحسنهم وأقدرهم ومنهم نذكر:

- ابن خميس التلمساني: وهو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني، أصله يعود إلى قبيلة يمنية، ولد سنة (650 هـ) بتلمسان، كان حافظاً لأشعار العرب عارفاً بأخبارهم وأحوالهم، ولَّاه السلطان أبو سعيد عثمان الزياني ديوان الإنشاء، وأمانة سرّه سنة (681 هـ) وغادر إلى تلمسان بعد كثرة الوشاية به، متوجّهاً إلى المغرب الأقصى حيث اتهم هناك بالزندقة، أين تمت محاكمته بحضور ابن هدية الذي نصب له هذا الكمين، وقد أهدر دمه، ولكن ابن خميس استطاع الفرار إلى تلمسان، ومنها عبر إلى بلاد الأندلس سنة (703 هـ)، ليستقر به المقام بغرناطة التي حققت له الجاه والهناء، توفي قتيلاً صباً عید الفطر سنة (708 هـ) ⁽¹⁾.

ويبدو أنه كان موالياً لبني عبد الواد مأموناً عندهم، وهذا ما أهله أن يتبوأ منزلة الكتابة عندهم ونظم فيهم شعراً فقال ⁽²⁾:

لَوْلَا بُؤْزِيَانُ مَا لَذَلِّي الْـ عَيْشُ وَلَا هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَالِ
هَمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهَمْ خَفَفُوا عَلَيَّ بَنِي الدُّنْيَا خُطُوبَهُ الثَّقَالِ

(1) عبد الحق حميش، مرجع سابق، ص 219 - 220.

(2) المقرئ، مصدر سابق، ج 5، ص 364.

خذاها أبا زيان من شاعر مستعذب النزعة عذب المقال
يلتقط الألفاظ لفظ النوى وينظم الآلاء نظم اللآلي
مجاريا مهيار في قوله ما كنت لولا طمعي في الخيال

- ابن هدية القرشي توفي سنة (736هـ / 1335م) ⁽¹⁾: وهو محمد بن منصور
ابن علي التلمساني، تلمساني المنشأ والدار، تولّى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة
السر للسلطان أبي تاشفين الأول، بل أنزله فوق منزلة وزرائه، ولقربه منه نال ثقته
فأصبح يستشيريه في تسيير شؤون الدولة، قال عنه صاحب بغية الرواد: «من أئمة
اللسان والأدب، ذو بصرٍ بالوثائق، وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني
يغمراسن بن زيان» ⁽²⁾، وقال عنه المقرئ: «هو قاضي جماعتها، وكاتب خلافتها،
وخطيب جامعها» ⁽³⁾، وشهد السلطان أبو تاشفين الأول جنازته بتلمسان، وولّى ابنه
علي منصور مكانه ⁽⁴⁾.

(1) عبد الحق حميش، مرجع سابق، ص330.

(2) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص116.

(3) المقرئ، مصدر سابق، ج5، ص234.

(4) ابن مريم، مصدر سابق، ص225.

المبحث الثاني: صاحب الأشغال

حسب ما وصلنا من ثنایا المصادر فقد ظهر مصطلح صاحب الأشغال لأول مرة أثناء العهد الموحدى، ولم يستعمل في النظم التي سبقت هذه الدولة⁽¹⁾، وتتحدّد مهمة صاحب الأشغال بوجه خاص في النّظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاية والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها، وفي مواقيتها⁽²⁾ وإعلام ولي الأمر بكل حاصل ومُستجد.

وصاحب الأشغال في الأندلس يتمتع بصلاحيات واسعة، وقد بيّن المقري المكانة الرّفّیعة له بقوله: « وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة فالیه تميل الأعناق ونحوه تمد الأكف والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار، ومع هذا إن تأثّلت حالته، واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصور... »⁽³⁾.

وتعتبر هذه الخطة ضرورية في بناء صرّ الملك، وهذا ما نقف عليه في تعريف ابن خلدون حين قال: «... القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إباناتها، وهذه الوظيفة جزء عظیم من الملك، بل هي ثلاثة أركانه، لأنّ

(1) عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ / 2002م، ص168.

(2) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص266.

(3) المقري، مصدر سابق، ج1، ص217.

المُلك لا بدّ له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم، وأمر المال، فينفرد صاحبها بجزء من رئاسة الملك...»⁽¹⁾.

وقد أولى سلاطين بني زيان أولوية قصوى لهذا المنصب لارتباطه بالجانبين الاقتصادي والمالي، بحكم اختصاصه في رعاية أموال الملك والرعية، والوقوف على أمور بيت المال، وما تعلق من مصاريف ومداخل، كل هذا تحت رعاية السلطان وأمره، مع إطلاع الملك على كافة الحسابات المالية في إطار الترشيح في النفقات والمصروفات، وكذا مداخل بيت المال من خلال جمع الضرائب التي هي من صلب مهامه، وقد كانت من الأمور المستعصية أيام الدولة الزيانية، إمّا لحاجة الناس وعدم مقدرتهم على أدائها، وإمّا لفداحتها، لهذا الأمر نجد السلطان يخرج بنفسه لتحصيل الضرائب أو يرسل ابنه، كلّ هذا مصحوباً بفرقة عسكرية لأخذ الضريبة بالقوة⁽²⁾، ومن أمثلة ذلك ما فعله يغمراسن بن زيان المؤسس الذي اضطر خلال فترة حكمه إلى غزو ذوي عبيد الله 72 مرة حتى يتمكن من هزمهم وفرض الضرائب عليهم⁽³⁾.

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص243-245.

(2) بلعربي خالد، ورقات زيانية: دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، (1435هـ/ 2014م)، ص 62.

(3) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص115.

وفي السياق نفسه كانت شروط التولية في هذا المنصب دقيقة محددة، وهذا ما أوضحته وصية السلطان أبي حمو موسى الثاني حين قال: «... وأما صاحب أشغالك وضابط أعمالك؛ فلتتخير من وجوه بلدك الأخيار، وكفاة الحساب والنظار، ويكون ذا ثقة وأمانة وعفة وصيانة، وصلا [] وديانة، وحزم وكفاية، وضبط ودراية، عدلا في أحواله، صادقا في أقواله، عارفا بأنواع الخراج والجبايات، ضابطا للزمام والحسابات...»⁽¹⁾.

ويضيف السلطان في الشروط المادية قوله: «... ويكون ذا مال ويسار وأثاث وعقار، فإذا كان على ما وصفناه من أفعاله، كان محافظا على بيته، وديانته وماله، ويكون محبا في سلطانه، آخذا بالنصح في جميع شأنك، لأنّ مالك ومجابيك تحت نظره، وعلى يده التّصرف فيها، وفي ورده وصدّره...»⁽²⁾.

ونظرا لخطورة المنصب وحساسيته كان لا بدّ من ولي الأمر أو السلطان أن يختبر صاحب الأشغال، ويتقرّس فيه حتّى يظهر له من حاله ما يخفيه، وأنّ يتخيره من جملة الخاصة، لينال منه القصد، وصاحب الأشغال إذا كان مبعوضا عند الخاصة والعامة دلّ في عمومه على نصحته في الخدمة وتقرّسه فيها، وخوفه الرشوة من الناس، كما روعي في اختياره مظهره وملبسه ومركبه، وحاله ومكسبه، فإنّ ظهر منه زيادة مفرطة في مظهره دلّ على أنه يتوخى جمع الأموال والإكثار منها، فحال ذلك إلى نكبته.

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص 239.

(2) نفسه، ص 240.

ومن الأسماء المشهورة التي تولّت خطة صاحب الأشغال أثناء العهد الزياني

نجد مثلاً:

- عبد الرحمن بن محمد بن الملا⁽¹⁾.
 - أبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم⁽²⁾.
 - أبو عبد الله محمد بن سعود⁽³⁾.
 - أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي⁽⁴⁾.
 - محمد بن قضييب الرصاص⁽⁵⁾.
- وغيرهم كثير ممن وردت أسماؤهم في كتب التراجم.

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص205.

(2) نفسه، ص208.

(3) نفسه، ص208.

(4) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص37.

(5) نفسه، ص185.

المبحث الثالث: الموثقون والعدول

الموثقون (العدول):

إن التوثيق يُمكن أصحاب الحقوق من حقوقهم، ويحفظ المال لأهله، ويجنب المتعاقدين من مزالق الحرام، ويصون أعراض الناس؛ إذ به يميز النكاح من السفاح، ويثبت نسب الأبناء إلى آبائهم، وبه يحسم كثير من أسباب الخصومات، وتسد أبواب المنازعات، وهذا فيه ما يضمن للمجتمع سلامته وأمنه واستقراره⁽¹⁾.

يُعرفه ابن مغيث الطليطلي (ت: 459هـ/ 1067م) بقوله: «علم الوثائق علم شريف، يلجأ إليه في ذلك الفقهاء والملوك وأهل الشرف والسوقة، والسواد كلهم يمشون إليه ويتحاكمون بين يديه ويرضون بقوله ويرجعون إلى فعله... فليتنزل كل طبقة على مرتبتها... ويُتجنب في رسمها الكذب والزور»⁽²⁾.

وللموثق شروط ضرورية لا بُدَّ أن يتصف بها، "فلا ينتصب لهذه المهنة كل من غلب الجهل عليه، فلا بُدَّ أن يكون" عالماً بالتوثيق وله دراية بالفقه وأحكام الشريعة، ومن ترسيل لتحسين سياق الوثيقة، ومن نحو لاجتتاب الخطأ فيها، ولا بُدَّ له من

(1) ينظر: عبد اللطيف الشيخ، التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2004، ص11 وما بعدها.

(2) أحمد بن مغيث الطليطلي (ت: 459هـ/ 1067م)، المقنع في علم الشروط، وضع حواشيه ضحى الخطيب، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص11.

معرفة بعلم الفرائض والحساب لضرورة هذا في وثائق المواريث والمعاملات المالية⁽¹⁾.

وعند أهل المغرب يشترط في الموثق عشر خصال متى عري عن واحدة منها لم يجز له أن يكتب الوثائق وهي: الإسلام، العقل، اجتناب المعاصي، السمع، البصر، النطق، العلم بفقهاء الوثائق، السلامة من اللحن، الخط المقروء بسرعة، سهولة الألفاظ البينة غير المحتملة ولا المجهولة⁽²⁾.

عرف القرن الثامن كتباً قيمة من إنتاج مغربي متطور مع ملاحظة ظاهرة التعقيد في نصوصها تدفعهم المنافسة في صياغة وثائقهم كل حسب فقه ودرجة علمه، وقدرة استيعابه للمادة وإطلاعه على أسرارها، فتضخمت الوثائق الفقهية، وتكاثر عددها أضعاف ما كان عند المتقدمين.

- أشهر رواد المدرسة التلمسانية في التوثيق:

كانت تلمسان تعج بعدد لا بأس به من الموثقين والعدول نذكر منهم:

- أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاصي (ت: 741هـ / 1340م) وهو فقيه من العدول الأربعة الذين عينهم السلطان أبو حمو موسى الأول للجلوس

(1) ينظر: لمين ملاك، علم التوثيق من ق7هـ / 13م الى ق10هـ / 16م "المغرب الأوسط أنموذجاً"، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017، ص32.

(2) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق في آداب الموثق وأحكام الوثائق، تح لطيفة الحسني، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، 1997، ص32.

للناس لعقد الشروط والشهادة بينهم بتلمسان أخذ عنه ابن مرزوق الجدّ ووصفه المقري بعالم الصلحاء وصالح العلماء⁽¹⁾.

- أحمد بن عيسى البطيوي: الفقيه العدل الموثق، كان حيا سنة 843هـ⁽²⁾.

- أبو إسحاق إبراهيم بن علي اللجام: الإمام العلامة كان أشد الناس بصرا بالشروط والوثائق، وهو عدل قاض من أهل الصرامة والصلابة في الحق وأبرع الناس خطأ⁽³⁾.

ومن الموثقين المغاربة في هذا القرن الفشتالي⁽⁴⁾، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي المكناسي، والذي له شرح على وثائق الجزيري سماه: المنهل المورود في شرح المقصد المحدود، ويعد من موثقي هذا القرن ابن سلمون⁽⁵⁾ صاحب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام.

وفي القرن التاسع الهجري، ظهر الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: الذي ألف شرحاً على وثائق الفشتالي طبع على الحجز، كما ألف "المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق في آداب الموثق وأحكام الوثائق".

يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات حول هذه الخطة لعل أهمها:

(1) ابن مريم، مصدر سابق، ص121.

(2) الحفناوي، مصدر سابق، ج1، ص74؛ والونشريسي، المعيار، ج2، ص382.

(3) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص59.

(4) الفشتالي: هو محمد بن أحمد بن عبد الملك تولى قضاء فاس، توفي سنة 777هـ / 1375م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص225.

(5) ابن سلمون: عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكتاني ولد بغرناطة وتنقل بين مالقة وسبتة. الزركلي: الأعلام، ج4، ص243.

- التوثيق خطة أقل مرتبة من القضاء، ومتوليها يرتقي لهذا المنصب، فالإمام المازوني ممّن ارتسم بالشهادة (التوثيق) أولاً؛ وبالقضاء آخراً، كما أن الموثق يمكن أن ينوب عن القاضي في بعض الوظائف، والأمثلة على ذلك متواترة في المصادر، كنيابته عن الأنكحة وبعض العقود⁽¹⁾.
- ارتبطت هذه الخطة بكثير من العائلات سواء في العمل أو في التأليف: كعائلة ابن هدية وعائلة ابن مرزوق وعائلة المازوني... وغيرهم.
- وقفت مدرسة تلمسان الند للند مع مدرسة بجاية التي ذاع صيتها هي الأخرى، وأخذت تقاليدها من المدرسة التلمسانية⁽²⁾.

(1) الجوهري، أبو نصر إسماعيل: تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: أنس محمد الشامي، وآخر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2009م، ص949.

(2) لمين ملاك، مرجع سابق، ص27- 28.

المبحث الرابع: السفراء والقناصل

توافد السفراء إلى بلاد المغرب الإسلامي منذ فترة تكوين الدول، وكان تمثيلهم مؤقتاً، فبإنتهاء المهمة التي أوكلت لهم سواء معاهدة صلح، أو افتداء أسرى يعودون إلى بلادهم، محملين بالهدايا، ونجد السلاطين في المغرب الإسلامي عموماً يختارون العلماء والفقهاء لهذا المنصب، وفي المقابل، استعمل النصارى واليهود القساوسة والأخبار⁽¹⁾.

كانت المعاهدات التي تُعقد بين المسلمين وأهل الكتاب تُسمى معاهدات هدنة، سواء كانت معاهدة سلام أو صداقة أو تجارة، ويُحرر نص المعاهدة بلغة البلد الذي يصل إليه السفير، وتُحفظ في نسختين مختومتين باللغة العربية واللاتينية، ويتم توقيعها بختم السلاطين لإعطائها الصبغة الرسمية ودوام تطبيق بنودها، إلى أن يتم تجديدها أو تحريرها حسب الظروف⁽²⁾.

كما شاركت النساء في السفارات على غرار سفارة سوط النساء⁽³⁾ حيث استطاعت الأميرة سوط النساء أن تقوم بدور السفيرة لتحقيق الصلح والهدنة، بعد

(1) آمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين - 14/13م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 2016/2015م، ص15.

(2) أحمد عزوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات وإتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة الرباط، المغرب، ط1، 2011، ج1، ص137.

(3) سوط النساء : وهي والدة السلطان يغمراسن، أصلها من قبيلة بني علي، كانت لها مكانة مرموقة داخل البيت الزياني، لرجاحة عقلها وحلمها وذكائها، لم تشر المصادر إلى حياتها ولا إلى سنة وفاتها: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص392.

استقبالها من طرف السلطان الحفصي أبو زكريا الذي أكرمها، واستطاعات بدبلوماسيةيتها أن تقنع السلطان بالعفو عن ابنها يغمراسن والسماح له بالعودة لمدينة تلمسان، وعاد لإمارته⁽¹⁾.

واستعمل الزيانيون أهل الذمة بشكل واسع وبالأخص اليهود، حيث استوطن هؤلاء هذه المنطقة بعد نزوحهم من أغادير بالمغرب الأقصى وسرعان ما تضاعفت أعدادهم أثناء العهد الزياني، وقد لاحظ المغيلي أن اليهود قد تجاوزوا شكلا الحدود الشرعية والمنطقية، لذلك تجدهم قد استعلوا على المسلمين بالتعدي والطغيان والتمرد على الحكام، كما رأى تساهلا من المسلمين مع هؤلاء حتى أن الواحد منهم يقربه من نفسه وعياله ورأى نشاطهم في إحداث الكنائس والبائع، حتى أنهم امتنعوا عن دفع الجزية وتعاملوا بالربا واعتدوا على حرمة النساء كما شهد عهدهم استحواذهم على دار السكة التي كانت تصك النقود بمختلف ألوانها وأوزانها⁽²⁾.

وعموما فقد تميز اليهود في المجتمع الزياني من خلال لباسهم بوضع عمائم صفراء على رؤوسهم وبرانيس حمراء ويتمنطقون بحزام عريض⁽³⁾. وعرف اليهود ببراعتهم في الطب وكان منهم الحرفيون والتجار والصناع ...

(1) نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس هجري إلى نهاية القرن التاسع هجري، 15/12م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/2007م، ص111.

(2) المغيلي، مدونة نازلة يهود توات، مصدر سابق، مج5، ص24.

(3) الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20.

أما النصاري؛ فقد استخدمهم ملوك بني زيان في الحرس والجيش وهم في غالبهم أوريبيون ولجوا المغرب عن طريق التجارة واستوطنوا في فنادق خاصة بهم وكانوا من جنود البندقية ومرسيليا... وإلى جانب هؤلاء وجدت جوارى مسيحيات خدمن البلاط الزياني إلى جانب الخصيان الذين عملوا على خدمة الحريم⁽¹⁾.

أما عموم المجتمع الزياني فتكون من أرباب السيوف والفقهاء والقضاة وذوي المهن والحرف والتجار والفلاحين والطلبة....⁽²⁾.

وبالنسبة للعادات والتقاليد؛ فنجد أن الزيانيين اشتهروا بإقامة احتفالات دينية على غرار المولد النبوي الشريف خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني وقاموا باحتفالات بمناسبة ختم أولادهم للقرآن الكريم كما فعل أبو حمو موسى الثاني سنة 770هـ/ 1368م بمناسبة ختم ولده الناصر للقرآن وقد صور يحي بن خلدون هذا الاحتفال بقوله: « دعا إليها الأمم عربها والعجم والأعراب والأشراف والمشروف والرفيع والوضيع وحشد فيها أصناف المغنيين وأرباب العزف والآلات الموسيقية بتلمسان، فاجتمع الناس بداره وابتهجوا بالغناء على أنواعه، وطعموا من ألوان الطعام العديدة المقدمة لهم عنده »⁽³⁾.

ولتمكن اليهود من إتقان عدة لغات إلى جانب دهائهم وحيلتهم، مما استوجب استعمالهم في السفارات إلى البلاد المسيحية والممالك النصرانية، رغم أننا نجد في

(1) الوزان، مصدر سابق، ج2، ص21.

(2) موسى لقبال وآخرون، الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، ج3، ص489 - 490.

(3) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص310.

وصية السلطان أبو حمو موسى الثاني لولي عهده حين فصل له في الصفات والشروط الواجب توفرها في الرسل والسفراء إلى جانب راحة العقل وصدق القول والحفاظ على الأسرار أن يكون محافظا على دينه⁽¹⁾، إلا أن السلاطين الزيانيين اضطروا إلى الاستعانة بهم لما توافروا عليه من قدرات في التسيير انفردوا بها عن غيرهم، كما اشتهروا بإتقان اللغة العربية واللغات الأوروبية، مما ساعدهم على أن يكونوا مترجمين تعتمد عليهم الدولة في علاقاتهم مع البلاد المسيحية، إذ أرسل السلطان عثمان بن يغمراسن (1283م/ 1304م) اليهودي إبراهيم بن جلال سفيرا على مملكة الأرغون سنة (690هـ/ 1291م)، بصحبة الفقيه محمد صبيح إلى حاكم قشتالة⁽²⁾.

كما كثير من القناصل إبان العهد المدروس، ومنهم نذكر:

- إبراهيم بن أغلال: وهو بعثه السلطان الزياني يغمراسن بن زيان عام 1250م إلى مدينة برشلونة لإتمام صفقة بيع وشراء بالجملة في كاتالونيا ومونبولي، واستطاع من خلالها أن يفاوض على شراء بعض عتاد السفن رغم القرار البابوي بمنعه⁽³⁾، وهناك شخصيات أخرى يهودية استعملها السلاطين الزيانيون سفراء وقناصلة على غرار:

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص160.

(2) فيلاي، مرجع سابق، ج1، ص194.

(3) Dufourcqcharles Emmanuel, l'epagne catalane et le maghreb au 13 siecle- de la bataille de las navas de tolosaa' l'avenement du sultan merinideabou -l-hasan, Presses Universitaire de France, paris, 1966, p147.

- الفاكينبوندا في AlfaquiBondavin، وكان سفيرا للملوك الإسبان.
- أرنو دو كورنيلا.
- سلومون بن زكي.
- جاك ابن الملك جاك الثاني.
- رامون دوسان ليسرو Romondesanliecerio، حيث كلف هذا السفير سنة 1286م من طرف ألفونسو الثالث لدخول مدينة تلمسان من أجل عقد معاهدة سلم وصلاح وهدنة، في الوقت الذي زادت فيه التهديدات من طرف الكاتالونيين، على السواحل التلمسانية، وتمت هذه المعاهدة بعد توجه السفير بار غارسيا Père Garçia المقرب من السلاطين الزيانيين - من مدينة تلمسان إلى مدينة برشلونة، حاملا نصّ المعاهدة والمختومة من طرف السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن وكبار القادة من بني عبد الواد⁽¹⁾.
- جوان بيار ميشلان Juan Pier Michelin القطلاني، والذي كُلف بالسفارة لأبي حمو الثاني إلى ملك أرغونة بيدرو الرابع 4 Pidrou، وذلك بتاريخ: 04 ربيع الثاني 761هـ / 23 فيفري 1360م، وتضمنت هذه السفارة دعوة صريحة للصُلح، بعد هجوم طائفة من القطلانيين على مركب بمرسى وهران⁽²⁾.

(1) Dufourcqcharles Emmanuel, op, cit, p320-321.

(2) ينظر: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م، مج7، ص19، وما بعدها.

وظهرت شخصيات أخرى كانت مهمتها السفارة لدى السلاطين الزيانيين، ونقف على عدّة أسماء قريّها الحُكام الزيانيون، على غرار: إكزيمان بيريز داندوسسيالا- EximenPerez Dandossiella، وكان على عهد الملك بيار الثالث، حيث كان سفيرا لدى السُلطان الزيانيعثمان بن يغمراسن، وتولى السفارة بين شهري: جانفي- فيفري 1284م، ومن خلال الوثائق فقد تمثلت مهام هذا الأخير في:

- عقد معاهدة صلح وتعاون بين المملكتين الأرغوانية والزيانية" لكن في الحقيقة كانت الأهداف الضمنية هي تحصيل الضرائب لدى الملك المسيحي" (1).
والواضح أن اليهود بعد أن استمدوا سلطة ونفوذًا في الدولة والمجتمع اكتسبوا نوعًا من التمرد، ممّا دفعهم للامتناع عن دفع الجزية لبيت المال، فتعطلت بذلك الكثير من المصالح (2)، وهذا ما انعكس سلبًا على كثير من المهام والمسؤوليات.
ولجأ السلاطين الزيانيون أحيانًا للاستعانة بالفقهاء والعلماء للقيام بوظيفة السفراء والقناصل، وهو ما حدث مع السلطان الفقيه أبو عثمان سعيد الذي حمل رسالة السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان المريني، فأكرمه الأخير وعظمه لمكانته العلمية (3).

(1) Attallah Dhina, *les Etats de l'occident musulman au 13^{eme}-14^{eme} et 15^{eme} siecles*, institutions gouvernementales et administratives, office des publications universitaires , alger, 1984, p447.

(2) المغيلي، مدونة نازلة يهود توات، مصدر سابق، مج5، ص86.

(3) ابن مرزوق، المناقب المروزية، ص178.

ونذكر منهم كذلك الفقيه الشيخ أبو علي بن يوسف المعروف بأبي القاسم، وقد وصفه ابن مرزوق بأنه سفير الملوك، ولسان حضرتهم، وترجمان مساءلاتهم وأجوبتهم للواردين على مقاماتهم، وإمام المتصدرين بمشورتهم⁽¹⁾.

وقد تعددت مهام السفراء والقناصل في العهد الزياني ومن أهمها:

- تمثيل السلطات على كل تجار بلاده وأحيانا على التجار المسيحيين.
- مراقبة وتسيير شؤون التجارة والفنادق والأنشطة المختلفة في البلد الذي يمثله.

- النيابة عن تجار بلده أمام سلطات البلد.

- إقامة العدل والمساواة ولعب دور المحكم في الخصومات والنزاعات⁽²⁾.

(1) ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، مصدر سابق، ص 266.

(2) عبد الصمد حمزة، **أهل الذمة في الدولة الزيانية**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، (2016/2017)، ص 63.

الفصل الخامس

الوظائف القضائية والعسكرية ووظائف أخرى

المبحث الأول: القضاء والمظالم

المبحث الثاني: رجال الحسبة والشرطة

المبحث الثالث: قائد الجند

المبحث الرابع: الناظرون على الأوقاف والأحباس

المبحث الأول: القضاء والمظالم

1/ القضاء :

أ- تعريف القضاء لغة واصطلاحاً:

1- القضاء لغة:

القضاء يعني الحكم، وأصله قَضاي لأنه من قضيت⁽¹⁾؛ وفي القاموس المحيط القضاء مصدر جمعها أقضية، وفعلها قضى يقضي قضاءً، أي: حكم وفصل⁽²⁾. ولفظ القضاء يعبر عن أشياء كثيرة منها مثلاً اللزوم، ولذلك سمي الحاكم قاضياً؛ لأنه يلزم الناس الأحكام، وعن التقدير؛ يقال: قضى على فلان بالنفقة، أي: قدرها عليه.

وعن الأمر؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗ﴾ [سورة الإسراء، الآية:

23].

وعن معنى الأداء والإنهاء⁽³⁾، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ

هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الحجر، الآية: 66]، أي أنهينا، ومعنى

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م، ج6، ص2463. مادة (قضى). وابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسان العرب، دارصادر، بيروت، ط1، د. ت، ج15، ص186. مادة (قضى).

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط8، 2005م، ج4، ص371.

(3) الجوهري، مصدر سابق، ص949.

الحكم، منه قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة طه، الآية: 72]. أي: واحكم.

وتأتي بمعنى الفراغ كذلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [سورة فصلت، الآية: 12]، أي: فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [سورة القصص، الآية: 29]، أي: فرغ، ويأتي بمعنى الأداء، ومنه قوله تعالى: آية: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَسْجِدُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ...﴾ [سورة البقرة، الآية: 200]، أي: أدبتموها وفرغتم منها، إضافة لمعانٍ كثيرة ذكرتها كتب اللغة والنحو.

2- القضاء اصطلاحاً:

أمّا اصطلاحاً فهو «الفصل في الخصومات بين الناس حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، ويكون بالأدلة الشرعية، ويراعي الشريعة الإسلامية في أحكامه»⁽¹⁾.

والقضاء من وظائف الهامة وقد أشار إلى أهميتها النباهي (ت: 793 هـ) بقوله: «وخطّة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط، فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل إليهم تصريف أمور الأنام يحكمون في الدماء والأموال

(1) بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية، دار الكفاية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص238، لخضر زينب، طبقة القضاء في مجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 7_9هـ/13_15م، بحث منشور ضمن كتاب: طبقات مجتمع المغرب الأسط: قراءة في الموروث والذهنيات، النشر الجامعي الجديد، ط1، 2018، ص88.

والحلال والحرام، تلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء، فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء»⁽¹⁾.

ثانيا: القضاء أيام الدولة الزيانية:

يمثّل القضاء جزءا مهماً في الشريعة الإسلامية لأنّه عصبُ العدالة بين الناس، وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين. ومن أجل هذا كلّه فقد أولى حكامُ الدولة الزيانية اهتماما كبيرا لسلك القضاء بين الناس لإقامة دولتهم على دين الحق، وقد عظم هؤلاء السلاطين الشريعة الإسلامية وامتثلوا لأحكامها، واحترموا القضاة ولم يتدخلوا في أحكامهم، وأعطوا الحرية التامة لهم في إصدار أحكامهم. وهناك شروط متفق عليها لولاية القضاء (بغض النظر عن الشروط المختلف فيها) نذكر منها:

- 1- الإسلام: فلا يولى النصراني أو اليهودي هذه الخطة لحساسيتها.
- 2- الذكورة: فلا تولى المرأة القضاء لغلبة العاطفة على عقلها.
- 3- الفراسة: والفتنة وعدم الانسياق وراء الكلام دون التأني والروية .
- 4- سلامة العقل الحواس: أيأن يكون إنسانا عاقلا كليما سميعا.
- 5- تنفيذ الأحكام بالعدل: أي يتقي الجور والظلم⁽²⁾.

(1) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله: تاريخ قضاة الأندلس، تح: مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ص23.

(2) للمزيد حول شروط وواجبات القضاء ينظر: المغيلي، محمد بن عبد الكريم التلمساني: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح: محمد خير الدين رمضان يوسف، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ، 1994م.

وكان القضاء من مهام الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص، الآية: 26].

حيث كان الرسول -ﷺ- في عصر صدر الإسلام هو من يقوم بالقضاء، ولكنه بدأ بتولية عدد من الصحابة رضوان الله عليهم هذه المهمة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية.

بالنسبة للعهد الزياني فقد أوليت هذه الخطة عناية فائقة فاقت الحدود، نجد مثلاً السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني يفرد لها شروطاً واضحة لاختيار القضاة حين يوصي ولي عهده في شروط الاختيار لقضاته يقول: «اعلم يا بني إذا أردت اختيار قضائك فتنقّس فيه تنقّساً سياسياً، وانظر إلى أحواله، فإن كان يميل إلى خطة القضاء ويعتني بها غاية الاعتناء فتعلم أنه رقيق الدين وأنه في أحواله ليس بالمتين، وعلامته ذلك يا بني إذا ندبته للقضاء المرة بعد المرة وتظهر لك بذلك وجوده المسرّة، فإنه لا بُدَّ أن يمتنع بالقول، وإن كان مريداً للفعل... فلا تقدم مثله فتكرر عليه القول وتزداد عليه ليناله وتظهر له لديك مكانة، فإنه لا يمتنع لك بالكلية ويظهر لك من طويّلة»⁽¹⁾.

تبين هذه الوصية أنّ اكتمال الشخصية المعنوية للقاضي من منظور السلاطين على شاكلة أبي حمو لا بُدَّ لها من توفر مجموعة من الشروط من النزاهة عن الطمع

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص 234.

والحلم والاستقامة والشجاعة والجرأة التي تقطع المنازعات والخصومات، وكذلك موقف القاضي من التولي بين الزهد في المنصب وبين من يطلبه لدينه ومن يطلبه لدنياه⁽¹⁾.

ويضيف المغيلي (ت: 909هـ) شروطا يجب توافرها في شخصية القاضي منها: التفقه، العلم، الفطنة، الذكاء، التحلي بالسمعة الطيبة، والتجرد من المشخصة، وأن يكون من فطاحلة العلماء الذين يشهد لهم بالعفة ونقاء السيرة، وأن يكون ملما بأحوال الخلق وعاداتهم وتقاليدهم⁽²⁾.

ونشير في هذا الموضع أنه يمكن أن يتولى خطة القضاء الفقيه أو القاضي أكثر من مرة (أي: يعود بعد عزله) كما حدث مع قاضي تلمسان أبو عبد الله محمد ابن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري البطوي (ت: 625هـ/1238م) والذي كان من كبار عصره مكرما عند السلاطين والأمراء⁽³⁾.

لقد ورث القاضي الزياني مهاما كثيرة ومتعددة منذ العهد الموحي، اقتضتها طبيعة هذه الدولة الشاسعة المترامية الأطراف، وكان من أهم هذه المهام:

- النظر في الخصومات والقضايا الشرعية المتصلة بالعبادات والمعاملات.

(1) خالد بلعربي، إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، النشر الجامعي الجديد، 2018، ص41.

(2) المغيلي، مدونة نازلة يهود توات، مصدر سابق، مج5، ص88.

(3) ابن الأبار، التكملة، ج2، ص390.

- توزيع الزكوات في مواقيتها الشرعية المتعارف عليها...⁽¹⁾.

والجديد في العهد الزياني أن مهام القضاة تنوعت وظهرت بشكل جلي مرتبط بأنواعهم، مما يعطي انطباعاً واضحاً عن مجال تخصص كل قاضٍ، وهذا الأمر يعد تفرداً زيانياً خالصاً عن باقي أمصار الغرب الإسلامي عموماً حسب ما وقفنا عليه من مادة مصدرية وإن كانت ضئيلة.

ويمكن حصر أصناف القضاة بحسب اختصاصاتهم أيام الدولة الزيانية فيما يلي:

ثالثاً - أصناف القضاة في العهد الزياني:

اختلفت تخصصات القضاة في العهد الزياني وتنوعت مهامهم على غرار مختلف أمصار العالم الإسلامي، فنجد:

أ/ قاضي الجماعة:

وهو من أعلى الرتب السامية في جهاز القضاء الزياني، ويقابل قاضي القضاة بالمشرق العربي، ونظراً لقيمة هذه الرتبة القضائية فإنه كان يعين من قبل السلطان بعدما يتفرّس فيه مبدأ الفطنة والفراسة والذكاء والكفاءة والتقدير والمؤهل العلمي...، ومهمة قاضي الجماعة تتمثل في النظر في الدعاوي والمخاصمات والفصل في

(1) مغراوي محمد، خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، بحث ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986/1987، ص129.

المنازعات التي تحدث بين الرعية سواء أكان ذلك في العاصمة تلمسان أم في شتى نواحي ومناطق الدولة الزيانية المترامية الأطراف⁽¹⁾.

ولعلّ من أشهر قضاة الجماعة في تلمسان نجد:

- أبا سعيد بن محمد العقباني التلمساني المتوفى سنة (811 هـ) بمدينة تلمسان⁽²⁾ وأصله من عقبان إحدى قرى الأندلس⁽³⁾، تولى منصب القضاة بها منذ صغره⁽⁴⁾.

- أبا علي حسين بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسيني السبتي المتوفى سنة (753 هـ)؛ تولى قضاء الجماعة بتلمسان، وكان شاعرا أديبا لودعيا مهذبا له دراية بمختلف العلوم والآداب واللغة العربية⁽⁵⁾.

ب/ قاضي الحضرة:

وقاضيه يتولى شؤون الأمير خاصة، وهو بمثابة الموثق الملكي، ويتم تعيينه من قبل السلطان نفسه بمشورة قاضي الجماعة، ويُعدّ قاضي الحضرة نائبا لقاضي الجماعة، ويلقب باسم قضاة حارة تلمسان، وممن تولى هذا المنصب نذكر:

(1) خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية حضارية)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص184.

(2) لخضر زينب، طبقة القضاة في مجتمع المغرب الأوسط، ص97.

(3) الونشريسي، أحمد بن يحيى: وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د. ط، د. س، ص81.

(4) الحفناوي، مصدر سابق، ص581.

(5) السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، (1399 هـ/1979 م)، ج1، ص544.

- أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن اللجام: تولى خطة القضاء واتصف بالعدل والصرامة في تحقيق الحق، يتميز بخط رائع وكان مدرسا عالي الهمّة، قال عنه يحيى بن خلدون: «... ذكر أن رجلا من خدام المملكة استنقصه في نسبه إلى اللجام، فقال: «اللهم أره عزة الشرع، فبعد ثلاثٍ جيء به إليه سكران، فأقام عليه الحد، فكانت هذه من كراماته»⁽¹⁾، لا يعرف تاريخ وفاته ولكن يبدو أنه عاصر يحيى بن خلدون⁽²⁾.

- أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني.

- أبو عبد الله محمد المدكالي⁽³⁾.

ج/ قاضي العملات:

ينوب قاضي العملات عن قاضي الجماعة بالمدن والعملات التابعة لدولة العبد الوادية كما بينت ذلك المصادر المعاصرة ، ويعتبر من الموظفين الرئيسيين في كل عمالة إلى جانب القائد، واختصاصه لا يتجاوز حدود عمالته (مقاطعته)، وممن تولى منصب قاضي العملات في عهد يغمراسن نجد:

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 323.

(2) بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للنشر والدراسات والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ج1، 305.

(3) لخضر زينب، طبقة القضاة في مجتمع المغرب الأوسط، ص 99.

- عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المكنى بأبي فارس المتوفى سنة (686هـ)، وهو محدث معروف، من فقهاء المالكية المقتدرين، من أهل تلمسان ولي القضاء في عدة عمالات⁽¹⁾.

د/ قاضي الأنكحة:

وهو القاضي المختص بالأنكحة وعقود الزواج وما يتفرّع عنها، وكان يشرف على عقد الخطوبة، وفق ما ينص عليه الشرع الإسلامي.

هـ/ قاضي الأهلة:

ومهمته النظر في ظهور الهلال الجديد لما يترتب على التماس الهلال ورؤيته من أحكام شرعية، كبدأ شهر الاستحقاق والصيام والنذور والعبادات وما يترتب عليه من محددات الرؤية وتطبيقاتها وما اقترن برصد الهلال كونه رمزا للتقويم والحسابات الفلكية والتقويم المرتبط بالأدلة الشرعية وما جرى على نحوها، لذا أصبح من مهام هذا النوع من القضاة⁽²⁾.

و/ قاضي الجند:

وهو منصب مرافق للجيش يسير مع الجند ويلازمهم⁽³⁾، فهو يرافق الجيش في حله وترحاله ويشارك معه في الحروب، ومهمته هي حل وفصل النزاعات

(1) خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ص 187.

(2) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 211.

(3) رايح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، (سلسلة ذخائر المغرب العربي)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، (طبعة جديدة منقحة ومزينة)، د. ط، 2019م، ص 300.

والمشاحنات والخصومات التي قد تحدث بين الجند بالإضافة إلى إمامة الجند في الصلاة.

رابعاً - أشهر قضاة تلمسان:

عرفت تلمسان الكثير من القضاة الذين عينهم سلاطين الدولة الزيانية للوقوف على أمر القضاء نذكر من أشهرهم:

- محمد بن هدية (ت: 736هـ/1335م):

وهو محمد بن منصور بن علي القرشي التلمساني، المؤرخ النسابة والكاتب القاضي، ولي قضاء تلمسان، ثم قلده السلطان الزياني كتابة السرّ، وأنزله فوق منزلة وزرائه، وله كتاب تاريخ تلمسان⁽¹⁾، وهو شارح رسالة ابن خميس التلمساني التي استفتح أولها بقوله:

عجبا لها أيزوق طعم وصالها من ليس يأمل أن يمر ببالها

- أحمد بن قاسم العقباني (ت: 840هـ): وهو قاضي تلمسان والد الحفيد

العقباني وولد شيخ الإسلام قاسم⁽²⁾.

- أبو الحسن علي اللجام.

- أبو عبد الله محمد الدكلي.

- أبو محمد بن مروان.

(1) عبد الحق حميش، مرجع سابق، ص330.

(2) الحفناوي، مصدر سابق، ج2، ص79.

- إبراهيم بن علي بن يحيى.

- مساعدو القضاة:

مهما يكن من أمر فإنّ القضاء في العصر الزياني لعب دورَه الفعال في تنظيم شؤون الرعية فغدت تلمسان تعج بمدارس القضاء والاجتهاد القضائي، ومن أبرز رجال القضاء في هذه الفترة نذكر:

- القاضي ابن هدية القرشي .

- القاضي محمد بن أحمد بن قاسم العقباني التلمساني (ت: 811 هـ) ⁽¹⁾.

- القاضي عبد الواحد بن أحمد العقباني قاضي الجماعة وهو ابن قاضي الجماعة محمد العقباني (ت: 896 هـ).

- القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني (ت: 811 هـ) ⁽²⁾.

2/ المظالم:

ولاية المظالم أو خطة المظالم من الخطط المكملة للقضاء وهي وظيفة قضائية إلا أنّها أوسع من وظيفة القاضي، وهي كما بينها ابن خلدون: «ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء» ⁽³⁾. وتكون المظالم عادة من جل شرائح المجتمع عامة

(1) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص237.

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص237.

(3) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص216.

وخاصة سواء من ولاية وكبار الموظفين أو من السوق والعوام والطبقة الهشة، وهي أشبه ما تكون بمحكمة الاستئناف والقضاء الإداري الاستثنائي في وقتنا⁽¹⁾.

ويختص صاحب المظالم عادة بعدة مهام تكمن في:

- إعادة النظر في الأحكام المتعلقة بالتعدي على موظفي الدولة على الرعية.
 - توقيع العقوبة على الظلمة بعد ثبوتها وذلك من خلال استعانتة بهيئة من المستشارين والمساعدين والقضاة.
 - الإشراف على الأوقاف العامة.
 - الحرص والوقوف على رد الحقوق لأصحابها.
 - إقامة الشرائع والعبادات.
 - تنفيذ الأحكام التي تتعدى في اختصاصها القضاة العاديين.
- وتولّى خطة المظالم السلاطين الزيانيون أنفسهم حيث كانوا يجلسون للنظر في مختلف المظالم التي يرفعها إليهم الناس، وخصصوا لذلك يوما في الأسبوع يجلسون فيه للنظر فيها، ولم يكن هذا الأمر بجديد في نظام القضاء في الغرب الإسلامي، حيث عرفت هذه الخطة في العهد الموحي وبقيت مستمرة بعده، وهي تكشف عن قوة شوكة السلطان وإرادته في تسيير شؤون الرعية، وحزمه وصرامته في تطبيق دولة العدل، لأن العدل هو سلطان الملك.

(1) خالد بلعربي، إضاءات، ص44.

وقد أفرد أبو حمو موسى الثاني نصا يوصي فيه ابنه بضرورة الالتزام بهذه الخطة في قوله: «... وبعد فراغك من الصلاة (الجمعة) تجلس بمجلسك للشكايات، وتأخذ في قضاء الحاجات، والفصل بين الخصماء، والانتقام من الظلمة الخشماء، فتقمع الظالم وتقهره، وتحمي المظلوم وتتصره، وتحضر الفقهاء في مجلسك حين الفصل بين الناس لإزالة ما يقع في الأحكام من الالتباس، وهذا المجلس من اليوم مخصص للرعية والجمهور»⁽¹⁾.

كما قلّد سلاطين بني زيان كثيرا من الفقهاء والقضاة ممن كانوا يرون فيه الأهلية لهذا المنصب، ولسوء الحظ لم تسعفنا المادة المصدريّة التي وصلتنا للتعريف بمن تولوا هذه الخطة، وقد تفرد ابن مرزوق الجد بذكر اسم أحد القضاة الذين تولى منصب مجلس المظالم وهو الفقيه أبو العباس أحمد المعروف بابن العباس التلمساني (ت: 871هـ / 1466م)، واصفا إياه بأعلم وقته والواحد في عصره⁽²⁾. والأمل أن تجود المخطوطات التي تنتظر التحقيق بجديد.

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص120.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن العباس العبادي التلمساني الشهير بابن عباس، المحقق العلامة المفتي البركة، نحويّ من أكابر علماء تلمسان في عصره ولي الافتاء والمظالم، أخذ عن أئمة كثر كابن مرزوق الحفيد وأبو الفضل العقباني وأخذ عنه ابن مرزوق الكفيف، وابن سعد والمازوني والتتسي والسنوسي والونشريسي وابن زكري وغيرهم، له مؤلفات عدة منها: شرح على لامية الأفعال والعروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقاء، وتحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، وفتاوى كثيرة بعضها في المازونية والمعيار، توفي بالطاعون ودفن بالعباد في ذي الحجة سنة 871هـ، انظر: التمكنّي أحمد بابا، كفاية المحتاج، ج2، ص 182، ابن مخلوف: مصدر سابق، ج1، ص348. عادل نويهض، مرجع سابق، ص77.

المبحث الثاني: رجال الحسبة والشرطة

أولاً - الحسبة:

1- تعريف الحسبة لغة:

تعددت التعاريف اللغوية للحسبة، فقد وردت في المعاجم اللغوية كلسان العرب لابن منظور بمعنى العدّ والحساب⁽¹⁾، وفي مختار الصحاح بمعنى عدّه، وبابه نصر وكتب، وحسابا بالكسر وحسابنا بالضم والمعدود محسوب، والحسب والكرم يكونان بدون الآباء والشرف والمجد⁽²⁾.

ووردت بمعنى حسن التدبير، كقولهم: فلان حسن الحسبة⁽³⁾، وترد كذلك بمعنى تحسب الأخبار أي تجسسها⁽⁴⁾.

2- تعريف الحسبة اصطلاحاً: تعرف في الأدبيات الفقهية أنها الأمر بالمعروف

الذي ظهر تركه، والنهي عن المنكر الذي ظهر فعله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ

مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٢٤)

[سورة آل عمران، الآية: 104].

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج 1، ص 315.

(2) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، مادة: (حسب)، ص 134.

(3) الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ص 410.

(4) ابن منظور، مصدر سابق، ص 318.

وهي حسب عبد الرحمن بن خلدون: « هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك »⁽¹⁾.
والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، والأمر بالمعروف يكون على ثلاثة أقسام وهي:

1- المتعلق بحقوق الله عز وجل: الصلاة.

2- المتعلق بحقوق الأدميين.

3- ما يكون مشتركاً بينهما، وفيها تفصيل كثير بينته كتب الأحكام السلطانية وكتب الفقه والنوزال، على غرار الزكاة، وأخذ الأولياء بنكا في الأيامي أكفائهن إذا طلبن، وإلزام النساء أحكام العدد إذا فارقن، وللمحتسب أن يؤدب من خالف العدة من النساء...⁽²⁾.

وللمحتسب خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم، فيتعهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرط فيما يجب عليه من حقوق ألزمه ذلك، ويأمر بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث وأداء الأمانات، وينهى عن المنكرات من تطفيف وغش في الصناعات والبياعات والديانات وغير ذلك⁽³⁾.

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص219.

(2) الماوردي، مصدر سابق، ص321.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، ص18.

فمهام المحتسب عديدة كثيرة، تتطابق بين مختلف أصقاع العالم الإسلامي في شرقه وغربه، أهمها مراقبة الأسواق، والغشوش بمختلف أنواعها سواء في السلع والمبيعات، أو العملة، أو المكايل والموازين، وفي التجارة والصناعة بمختلف تخصصاتها وأنواعها، ومنكرات الأسواق والطرق، والحمامات والمقابر، والمساجد والدروب، والوقوف على الأخلاق العامة والفرائض والتربية والتعليم.

3- الحسبة في العهد الزياني:

يجمع المؤرخون والمختصون في العهد الزياني على قلة المادة المصدريّة، بل وانعدامها غالبا في كثير من المعطيات والجزئيات المهمة، على غرار هذه الوظيفة المهمة، ويزيد الإبهام من خلال صمت المصادر الزيانية عن ذكر أسماء المحتسبين ومهامهم، وتخصصاتهم، ومجال عملهم، وعلاقتهم بالسلطة والرعية، وما وصلنا لا يعد إلا شذرات وإشارات لا تشفي غليل باحث، ولا تميّط اللثام عن أهم خطة رقابية بالدولة في العصر الوسيط الإسلامي، ولعل الجميع يرجع إلى ما أقره السلطان أبو حمو موسى الزياني لابنه تاشفين الثانيفي الواسطة من التأكيد والحرص على مراقبة المكايل والموازين، حيث نعثر على بعض الإشارات التي أشار إليها منها: «... ثم أشياخ البلد والأمناء والوجوه والفضلاء والضابطين لجموعهم، الرابطين تابعهم لمتبوعهم، مثل أهل التجارات وأهل الحرف والصناعات...»⁽¹⁾.

(1) (حقق الكتاب علي الشنوفي، ونشره معهد الدراسات الشرقية بدمشق سنة 1967).

وعلى هذا الأساس حرص سلاطين بني زيان على تعيين محتسبين أو أمناء على الأسواق، ومن أشهرها ما أوردتها المصادر سوق الخضر والفواكه والحبوب، سوق الخياطين والنساجين، وسوق العطارين، وسوق السراجين، وسوق القيسارية، كلها بتلمسان، وسوق الماشية والحبوب والزيت والعسل بمعسكر، وسوق الخضر والفواكه بوهرا⁽¹⁾، وهي أسواق يقومون بشؤونها المحتسبون من خلال مراقبة السلع المعروضة وصلاحياتها، وقمع الغشوش والتدليس والبيع الفاسدة والنجس (الزيادة في سعر المبيع دون نية الشراء)، والاحتكار ومراقبة السكة المتداولة بين الناس، حيث سك سلاطين بني زيان عملة مستقلة تبين استقلالهم عن الدولة الموحدية، بعد أن استعان يغمراسن بن زيان بأسرة بني ملاّ القرطبيين، وكانت عملية السك تتم بدار السكة بتلمسان، وتتم عملية مراقبة الدينار في وزنه وقطره ومعدنه من خلال المحتسب نفسه⁽²⁾.

وقد ساد في الأسواق الزيانية الكثير من المخالفات الشرعية أشار إليها الفقهاء النوازيون، وهذا ما يبين بعض مراحل الضعف التي مرّ بها عمل المحتسب من خلال كثرة النوازل الواردة، ومن الغشوش المشهورة التي وقف عليها المحتسبون

(1) الوزان، مصدر سابق، ج2، ص ص26.27.30.

(2) تراو وزن الدينار الزياني (4.48 غرام) و (4.95 غرام)، وطول قطره يتراو ما بين (31 إلى 34 ملم)، أما الدرهم الزياني فوزنه الشرعي سبعة أعشار المتقال، بما يعادل (48 حبة)، ويبلغ الدرهم عندهم (1.5 غرام)، ينظر: بوداوية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، (2005 / 2006 م)، ص ص280، 282.

نذكر ما كان يفعله جزارو مدينة تلمسان بغش اللحم وخلطه بالكرش والمصران والشحم⁽¹⁾.

وبناء على هذه المخالفات كان المحتسب موكلا بإقامة العقوبات الردعية من خلال التوبيخ والزجر والإنذار والسجن والضرب والتشهير والتكيل والنفي من السوق أولا ثم من البلد ثانيا⁽²⁾، إلا أن بعض المحتسبين لم يقوموا بأدوارهم على أكمل وجه، بل وثبت على بعضهم حسب ما أقره العقباني أنهم كانوا يتقاضون رشاوي وعملات من البائعين والصناع والتجار⁽³⁾.

وقد ألف الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت: 871هـ) مصنفًا قيما في الحسبة النظرية وآدابها وشروطها وفنائها، أسماه: "كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"⁽⁴⁾، وهو ما يدل دون أدنى شك على عظم هذه الخطة، ودورها في تسيير دواليب الدولة البني عبد الوادية، وفي الكتاب أبوابٌ عدّة من دليل المشروعية، وفرضه وندبه وحرمة وفي المحتسب الذي أسماه المغير وشروطه، وكيفية التغيير، ووجه تناوله ومراتب التغيير، ومعرفة الوجوه، والكشف عنه وغيرها... وللأسف لم تسعنا المصادر في العثور على أحدها متخصصا في الحسبة التطبيقية، ليبين لنا بشكل جلي سير هذه

(1) حقق الكتاب علي الشنوفي، ونشره معهد الدراسات الشرقية بدمشق سنة 1967.

(2) خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الثانية، ع: 6، ديسمبر (2009م)، ص 33.

(3) العقباني، ص 227.

(4) حقق الكتاب علي الشنوفي، ونشره معهد الدراسات الشرقية بدمشق سنة 1967.

الخطّة في العهد الزياني، على عكس العهود السابقة التي نعثر فيها على مادة قيمة خصوصاً العهد الموحدى الذي أشار لهذه الخطّة بلفظ (أمين السّوق أو أمناء الأسواق)، ولا نستبعد أنّ هذا اللفظ بقي سائراً ومتداولاً في تلمسان وضواحيها، بحكم التطور البطئ لهذه الوظيفة.

ونعثر في رسالة نفيسة ومهمة⁽¹⁾، أرسلها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى سلطان (كانو) أبو عبد الله محمد بن يعقوب يبين له فيها ما يجب على الحكام لردع الناس عن الحرام والوقوف على مقتضى الشرع، وفيه إشارات واضحة ودقيقة لعمل المحتسب، ومنها قوله: «إنه لا بُدَّ من ردع المفسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد من فساده مع إمكان ردعه عنه بسببه أو لعنه أو طعنه، أو حبسه أو ضربه أو صلبه، أو قتله أو أخذ ماله أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية، فكل داء دواء، ولكل مقام مقال، وبحسب ما يظهر من الأحوال، فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب وسائر الأحوال...»، ويضيف في موضع آخر من الرسالة: «وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك، وكشف العورة وشرب الخمر، وأكل الميتة والدّم، وغير ذلك من المحرمات، وامنع كفار بلادك أن يظهروا ذلك كلّهم بين المسلمين في الأسواق والمنازل والمحلات...»⁽²⁾.

(1) حقق الكتاب محمد فرقاني، أسماه فيما يجب على الأمير في الإمارة أو تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، منشورات نوميديا، الجزائر، 2014.

(2) مدونة الفقه المالكي، مج3، ص72 وما بعدها.

يبدو من خلال هذه الرسالة أنّ دور المحتسب قد تعدّى إلى التعامل مع أهل الذمة من اليهود والنصارى، من خلال إجبارهم على عدم إظهار منكرهم أمام مسلمي البلاد سواء ما تعلّق بالمأكل والمشرب والملبس وما تنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، وهذا ما يعطي الانطباع واضحاً عن الوجود الذمي في الكيان الزباني، وفي صميم عمل المحتسب.

ونجد في وثائق تقديم محتسب أن القاضي يقدم من هو أهل لهذه الخطة « للقيام بمصالحها وتفقد مكاييلها وموازينها، والبحث عن يغش الناس فيها، أو يضر بهم في تلقي ما يجلب من السلع للأسواق والأضرار بالإحتكار وإدخال الغش في المبيعات على اختلافها... وإحداث ما يضر بالناس في طرقاتهم »⁽¹⁾.

ثانياً - الشرطة:

أ/تعريف الشرطة:

عرّف الفقهاء الشرطة بأنّها: جهازٌ مكوّن من فئة من الرجال يتمّ تعيينهم من قبل ولي الأمر أو الحاكم باعتبارهم أعوانه، يسهرون على حماية النظام، ومن مهامهم الحفاظ على أمن وسلامة الرعية، والسهر على حماية ممتلكاتهم من النهب والسلب، وتنفيذ أحكام القضاء، وتطبيق الحدود⁽²⁾.

(1) المازوني، موسى بن عيسى: قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود، مخطوط بمكتبة زاوية علي بن عمر، طولقة، مخ ج124 خ 252ع، ورقة 144و. (انظر وثيقة تقديم محتسب في الملاحق).
(2) ينظر: عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة في الغرب الإسلامي من (ق2هـ - 6هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، (2014/2015)، ص34، وما بعدها.

ويعرّفها الفراء (ت: 458هـ) : «أنّها الجهاز المكلف بالمحافظة على الأمن الداخلي لمنع حدوث الجرائم، وإقامة الحدود وحماية البيضة، والذب عن الحرم، ليتصرف الناس في المعاش...»⁽¹⁾.

ب/ الشرطة في العهد الزياني:

ومن باب الإنصاف التاريخي الإقرار أنّ ما كتب في الإسطوغرافيا المغربية الوسيطية⁽²⁾، حول هاتين الخطتين لا يشفي غليل باحث مهما كان قنوعا، فهي لاتزال مجرد إشارات لا تشبع نهم الباحثين، وهذا ما يفسر إقصاء هذا الموضوع من دائرة الباحثين المهتمين بتاريخ النظم الإسلامية في المغرب الأوسط، ولعلّ كتاب " واسطة السلوك " قد أفرد جانبا مهما للحديث عن هذه النظم إبان العهد الزياني، وموازة مع ذلك يسري هذا الفقر في المادة الخبرية بخصوص العهد الموحيدي، باستثناء ما ذكره ابن خلدون حين أقر أنّ الشرطة كان لها حظ عظيم عند الموحيدين، ولم يجعلوها عامة، ولا يليها إلا رجالات الموحيدين⁽³⁾.

ونظرا لحساسية هذا المنصب وخطورته في بناء عضد الدولة كان الأندلسيون يقتصرون في تعيين صاحب الشرطة على أهل البلد فقط، ويرفضون العنصر

(1) أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين: الأحكام السلطانية، تع: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1403هـ/ 1983م)، ج1، ص17.

(2) حول الموضوع، ينظر: خالد بلعربي، دور الشرطة في استتباب الأمن بالمغرب الأوسط العهد الزيانيأنموذجا"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع: 10، ص ص 35-44.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص467.

البربري فيه، حتى قال في ذلك صاحب نفح الطيب: «...وأهل العدو-يعني المغرب- بالطبع يكرهون أهل الأندلس»⁽¹⁾.

وصاحب الشرطة في المغرب ليس له حكم ذو شأن في ما وصلنا، حسب المصادر الأولى التي ذكرت المنصب، واقتصرت على منفذ لأحكام القاضي، وفي هذا دلالة على تبعية صاحب الشرطة للقضاء، ويبدو جليا ودون شك أن هذا كله كان في بداية عهد الدولة الأموية في الأندلس، إذ أن المؤرخ ابن خلدون يذكر في حديثه عن الشرطة أنها كانت في البداية تقوم "باستيفاء الحدود" أي تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي، بعد أن تقوم بجمع الأدلة ضد المتهم، وإثباتها عليه، ثم أنهم أردوا أن ينزهوا القاضي عن النظر في بعض الجرائم التي تتعلق بالحدود كالزنا وشرب الخمر، فاختصروا الوقت الذي يستلزم عرض مثل هذه القضايا على القاضي وجعلوها مناعة بالشرطة؛ لأنها هي التي تستوفي الأدلة، الأمر الذي أدى إلى انفصال الشرطة عن القضاء⁽²⁾.

وعن صاحب الشرطة في المغرب وخلال عهد بني زيان، يقول أبو حمو موسى الثاني: «... ثم يدخل صاحب شرطتك وحكام بلد حضرتك ليخبرك بما يريد في ليلتك، ولا يخفى عليك شيء من أحوال رعيته وبلدك، مع ضبط مملكته، فتسأله عن القليل والكثير والجليل من الأمر والحقير، لأن لا يتوصل أهل العناية للرعية مضرة ولا أذية، ولا يقع من الحاكم جور في بلد ولا ظلم لأحد، وأنه إذا علم الحاكم

(1) المقري، مصدر سابق، ج6، ص12.

(2) سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج2، ص861.

وغيره من أهل العناية وأهل الدعارات والجنايات، فإنّ الملك لا يغيب عنه شيء من أحوال بلده...». ويضيف صاحب " واسطة السلوك " بعض الشروط لانتقاء صاحب الشرطة يراها ضرورية بل واقصائية لمنلا تكون فيه: « يا بُنَيَّ ينبغي لك أن تتخير صاحب الشرطة لأنها عند الملوك أكبر خطة، فتقدم لها من يكون صاحب ديانة وعفة وصيانة وهمّة ومكانة وسياسة ورياسة ورأي وفراصة...»⁽¹⁾.

وقد أكّد أبو حمو موسى الثاني لابنه على ضرورة الاهتمام بهذه الخطّة وإعطائها حيزاً كبيراً في قيام الدولة مروراً بمساءلة صاحب الشرطة في كل ليلة عن كل الشؤون الصغيرة والكبيرة، وفي هذا الصّدّد نجده قد قلّد هذه الخطّة موسى بن يخلف الذي كان عينا له وعينا عليه في نفس الوقت، لذلك نجد أنّ صاحب شرطته قد تواطأ مع ولي العهد أبي تاشفين الثاني على قتل الكاتب الخاص للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وهو يحيى بن خلدون.

لم تفصح المصادر الزيانية عن تاريخ نشوء هذه الخطّة بتلمسان، ولكنّ الأكيد أن ظاهرة اللّامن هي التي استوجبت على أولي الأمر تأمين الرعية والعمل على سلامتها، وقطع دابر اللّصوص وقطّاع الطرق، خاصة على قوافل التجار والمسافرين والحجاج، وفي هذا الصّدّد يقول العبدري صاحب الرحلة واصفاً لنا طريقاً سلّكه من المغرب الأقصى إلى تلمسان بقوله: « ... ولمّا انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقاً منقطعاً مخوفاً لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على

(1) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص148، وما بعدها.

حذر واستعداد، وتلك المفازة مع قربها من أضر بقاع الأرض على المسافرين، لأنّ المجاورين لها من أوضع خلق الله، وأشدّهم إذاية، لا يسلم منهم صالح ولا طالح ...»⁽¹⁾.

وفي السياق نفسه يصف لنا أبو العباس أحمد المعروف بالمريض وهو من المغرب الأوسط من خلال سؤال مؤرخ سنة 796هـ إلى شيخه الفقيه أبي عبد الله بن عرفة عند المازوني قائلاً:

« سيّدنا أمتع الله بكم من مسألة، وهي جماعة من مغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم حرفة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين، وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق... ثم مع ذلك لا تأمن الرفاق من جانبهم، نصبوا الغارات على هذه البلاد التي نحن فيها، وقتلوا من عاجلوه وقطعوا الطرقات...»⁽²⁾.

كان أبو حمو موسى الثاني قد قلّد هذه الخطة لموسى بن يخلف الذي كان عينا له وعليه في نفس الوقت فقد تواطأ مع ولي العهد أبي تاشفين الثاني على قتل يحيى بن خلدون الكاتب الخاص لأبي حمو موسى الثاني وكان الولاة يقومون بمساعدة صاحب الشرطة في تأدية مهامه لكن كان صاحب الشرطة في العهد

(1) العبدري، مصدر سابق، ص 8.

(2) المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج 2، ص 175.

الزياني ينظر في أحكام الجرائم ابتداء ثم تنفيذ الحدود الخاصة بها، وكانت الحدود تطبق بصرامة كبيرة⁽¹⁾.

ولردع هؤلاء كان لابد من سياسية عقابية تكفل أمن المجتمع الزياني وتحفظ حقوقه ومن أولويات هذه السياسة إقامة السجون التي تتدرج ضمن عقوبات التعزير وهي التأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ولعل من أشهر السجون التي شيدت أثناء حكم السلاطين الزيانيين نجد عدة سجون في مدينة تلمسان، واحد بالقرب من سوق السراجين، والثاني بالقصبة، والثالث بدويرة بقصر المشور⁽²⁾.

ومرت الدولة الزيانية بظروف عصبية، وهيأت ظروف القهر الاقتصادي والاجتماعي المجال أمام استفحال ظاهرة اللأمن في أراضي بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ومن القرائن الدالة على ذلك أن قلة المواد الغذائية الناجم عن المجاعة التي أصابت تلمسان سنة 776هـ/1373م، اضطر ابن قنفذ القسنطيني أن يقيم في تلمسان لانعدام الأمن في المسالك والطرق بسبب هذه المجاعة، ويذهب الباحثون في الموضوع أن قطاع الطرق واللصوص ينشطون خصوصا في سنوات الجذب والمجاعة بسبب تفريط السلطة في اتخاذ وسائل العلاج الاقتصادية والأمنية فخلال سنوات من حكم السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م) وعلى إثر حملة السلطان المريني أبي يعقوب سنة (670هـ/1270م) وحصاره لمدينة تلمسان"كثر نهب القبائل فخرجت قبائل توجين التي كانت مناوئة للسلطة

(1) خالد بلعربي، مرجع سابق، ص40.

(2) ينظر: ابن مريم، مصدر سابق، ص29.

المركزية الفرصة وراحت تعمل للنهب والتخريب بجهات تلمسان "فقطعوا الثمار، ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم".

ج/مهام صاحب الشرطة:

تعددت مهام صاحب الشرطة بالتنسيق مع القاضي والمحتسب وصاحب المظالم ومن أهمها نذكر⁽¹⁾:

- العمل على استتباب الأمن في أراضي الدولة الزيانية من خلال تشيد الأسوار والأبراج والقلاع ضمانا لحماية متكاثرة للمدن والضواحي.
- معاقبة المارقين والخارجين عن القانون من اللصوص وقطاع الطرق.
- تعيين شرطة خاصة بالأسواق ينفذ صاحبها أحكام صاحب الحسبة من أجل تنظيم أوضاع الأسواق والوقوف في وجه المحتكرين والغشاشين.
- تطبيق الأحكام الصادرة عن القاضي وصاحب المظالم.
- التنسيق الدائم بين الأجهزة الأمنية والإدارية وبين ولي الأمر، من خلال التقارير سواء المكتوبة، أو الشفهية عندما تكون الظروف طارئة وتستوجب مقابلة السلطان لاطلاعه على الأمر.

لقد اضطلعت الدولة الزيانية بمهمة حفظ الأمن داخل مدنها، وكان إصرارها كبيرا في ذلك، وربما يأتي هذا الحرص منها، لأن قضية الأمن ظلت تشكل هاجس

(1) خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 39-40.

السلطة في بلاد المغرب الأوسط، لقد قام بنو زيان بتوفير كل وسائل الراحة والإطمئنان بالنسبة لسكان الدولة فتمكنوا من حماية الطرق التجارية، وإقرار الأمن داخل ربوع الدولة رغم ما كانت تتعرض له هذه الدولة من محاولات لزعة الأمن بداخلها، وبفضل السياسة الأمنية التي طبقها حكام بنو زيان فإن الدولة الزيانية- كما يقول الأستاذ عبد الحميد حاجيات- ظلت تنمو وتزدهر حتى دب فيها الضعف في القرن التاسع والعاشر الميلاديين⁽¹⁾.

(1) خالد بلعربي، مرجع سابق، ص41.

المبحث الثالث: قائد الجند والعيون.

أولاً- قائد الجند.

يعتبر النظام العسكري أحد الأنظمة التي تركز عليها أي دولة بغض النظر عن المكان والزمان، وبالنظر إلى تاريخ الدولة الإسلامية الأولى نجد الرسول ﷺ المعلم الأول قد نظم الجيش منذ أن هاجر إلى المدينة، وأنشأ بعده عمر بن الخطاب " ديوان الجند "، حتى جاء الحجاج بن يوسف الثقفي وطبق نظام التجنيد (التجنيد الإجباري اليوم)، في زمن عبد الملك بن مروان⁽¹⁾، ولا يزال هذا النظام في تطور مستمر في كل ربوع دول الإسلام شرقاً وغرباً، وخصصت له كثير من مصنفات النظم أبواباً تفصيلية كثيرة على غرار الماوردي الذي أسماها الغنيمة وأقسامها⁽²⁾.

وفي مركز هذا النظام لأبداً من الوقوف على النخبة العسكرية بالمفهوم الحديث، وهي الأساس في نجاح هذه المنظومة ككل، وعموما تجد مكونات القيادة العسكرية من أمراء الأجناد، الذين لهم ثقل التأثير في حراك السلم والحرب، ومن ثمة اتخاذ القرار العسكري نتيجة لما اكتسبوا من مؤهلات عزفتهم بأمور الحرب والجهاد

(1) إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية: مدخل- نظم- علوم- زراعة وصناعة-

اجتماعيات- عمارة وفنون- تأثيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2007، ص122.

(2) يقول الماوردي في هذا الصدد: فأما الغنيمة فهي أكثر أقساماً وأحكاماً، لأنها أصل تفرع منه الفيء، فكان حكمها أعم، وتشتمل على أقسام، أسرى- سبي- أرضين- أموال... ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص204 وما بعدها.

وخطط الحرب، وفنون القتال، وتدبير شؤون الجيش، كل ذلك أهلهم في التصنيف التراتبي⁽¹⁾.

« واقتربت النخبة العسكرية بالإنسان العالم والمتدين في العصر الوسيط عموماً، فعُرفوا بأهل الحل والعقد، وهي القدرة على تغيير واقعها، عكس النخب الفقهية، فهي تملك سلطة التمكّن والسلا، وقدرتها على إدارة الجيش ومؤسسة العسكر⁽²⁾، فهي من تحدد السياسة الواجب اتخاذها مع الأعداء والمنافسين حسب ظروف الدولة وطاقاتها، وبخصوص الدولة الزيانية والتي لا تختلف في حيثياتها وتفصيلها عن جُلّ الدول المعاصرة لها» نجد مثلاً في عهد أبو حمو موسى الأول (707-718هـ / 1307-1318م) ينتهي الحصار المريني، ويبدأ مجد الدولة الزيانية وعزها، بعد حوالي عشرة سنوات كادت أن تقضي على أوتاد الدولة، وبدأها بمعاهدة حسن الجوار والإخاء مع أبي ثابت عامر لتأمين الظهر⁽³⁾ وهي من صلب الإستراتيجيات الحربية الموفقة، وظهر جلياً في بداية بسط النفوذ على المناطق التي كانت محل نزاع وقلق للدولة الزيانية.

(1) بركة مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية 7-9هـ/13-15م، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2014، ص44.

(2) خميسي بولعراس، النُخب العسكرية بالغرب الإسلامي: قراءة في التنظير والإحتراف، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، ط1، 2018، ص16.

(3) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص40.

الاستعراضات العسكرية:

كانت الإستعراضات العسكرية عموماً تتم في عهد الدولة الزيانية ضمن تقاليد كبيرة ومتوارثة حسب ما أسهبت في ذكره المصادر المعاصرة، ومن حيث الوصف: « يجلس السلطان في سُراده، يراقب الإستعراض من أعلى الهضبة على بسيط مستو، قد اصطفت به العديد من الكتائب على مُختلف أنواعها على مد البصر، حاملين السلاح في زي جميل، تحسبهم الخمائل المزهرات، من فوق الكتبان الهائلة، ووسط كل كتيبة يوجد فنين من الجلد الوشي، وخلخل اللجين، يخطمه بسلسلة من الفضة، وبهم غلمان يرتدون أقبية الحرير الملون، وعليه هودج محلى بأنواع الحلل، برزت منه فتاة على جانب كبير من الجمال تغني بأشعار زناتية جميلة، تبعث النخوة والحماس... »⁽¹⁾.

وكان سلاطين بني زيان وأمراؤهم يحضرون استعراض الجيش في كثير من المناسبات، ويتفقدون عدته وعتاده وقدرته القتالية بملعب المدينة بحضور الناس، وقد نجا يغمراسن من محاولة قتل قام بها الجند النصارفي إحدى هذه الاستعراضات سنة 652هـ⁽²⁾.

وعادة تتقدم كتائب الجيش في هذه الاستعراضات زرافات زرافات (مجموعات) نحو منصة السلطان، لإلقاء التحية والسلام عليه، وفي هذه الأوقات يكون الكتاب

(1) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص182، عبد العزيز فيلاي تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، ص286.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص157.

بين يدي السلطان بصدد إحصاء الكتائب والقبائل المتطوعين، ويميزون بين الرامح (نسبة لحامل الرمح) والنابل (حامل النبال)، وبلغ حسب إحصاء هؤلاء إثني عشرة ألف فارس مرتزقة كما أورده لنا صاحب البغية⁽¹⁾.

يقول يحي بن خلدون واصفا أحد الإستعراضات في عهد أبو حمو موسى الثاني في مدينة تلمسان: "صدرت الأوامر العلية للقبيل الأعز وكافة القواد بحشد العساكر إلى الحضرة الكريمة لتعرض بين خليفة الله... وفي أوائل شهر شوال من نفس السنة (يقصد سنة 767هـ/1366م) أجمعت المحلات كافة بالبسيط الأفيح من ظاهر الحضرة"⁽²⁾.

ثانيا - العيون (الجواسيس):

نعني بالتجسس جمع المعلومات الحربية والعسكرية خلسة عن العدو بغية استخدامها في مواجهته وقتاله بعدئذ، والعيون والجواسيس أو أصحاب الخبر كما يسمون أحيانا وسيلة قديمة استخدمت لغرض جمع المعلومات عن الأعداء، والتي بموجبها وعلى أساسها يتم اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة العدو، وقد عرف هذا الأسلوب في المواجهات العسكرية بحيث كانوا يرسلون العيون والجواسيس إلى الأمصار للاختلاط بأهلها والإطلاع على أحوالهم، وكان لهذه الطريقة الأثر البارز

(1) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص181.

(2) نفسه، ج2، ص182.

والفعال في النجاحات العسكرية بالرغم من صعوبة نقل المعلومات في حينها إبان العهد الوسيط⁽¹⁾.

وقد تصادفنا مصطلحات مماثلة أو مشابهة على سبيل الدسيس مثلاً، ومعناه الشخص الذي تدسّه سرا ليأتيك بالأخبار، ويتصف عادة بالمكر والدهاء، والعمل بعيداً عن الأعين والأضواء، أو الطلائع والأعين والعملاء وغيرها وكلها تصبّ في معنى واحد، ويجمعهم في كل ذلك ذكاؤهم وحنكتهم فيما يختبرون⁽²⁾.

وقد بيّنت مصنفات النظم الإسلامية بشكل عام مكانة الجواسيس وأصحاب الأخبار، وخير ما وصلنا ما أورده الرحالة والمؤرخ الهروي (ت: 611 هـ) في وصفهم:

" يجب على السلطان أن يكون له جواسيس قد عرف منهم الثقة والدين والأمانة، مقتنعين مما يفيض عليهم من إنعامه ويصل إليهم من إحسانه، ولا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب، وحرص المكاسب، فينشرهم في البلاد، ويرسلهم على العباد شرقاً وغرباً ليطالعوه بالأخبار من جميع الأمصار، لئلا ينكتم عنه الحال.. "

(1) حيمي عبد الحفيظ، نظرة على العيون والجواسيس في بلاد المغرب الإسلامي من ق 3 إلى 5هـ/ 10-12م، مجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون، تيارت، مج7، ع1، ديسمبر 2014، ص92.

(2) رعد محمود البرهاوي، العيون والجواسيس: الأمن والمخابرات في الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ إلى نهاية العصر الأموي، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، العراق، ط1، 1341هـ، ص45.

ويضيف صاحب التذكرة: ... وليتكتم أمره ويتجسس ويخف نفسه، لتشمل الناس هيئته، ويخافوا سطوته، ويحذروا شرّه ولا يأمنوا مكره⁽¹⁾.

ونظرا لأهمية هذه الخطة إبان العهد الزياني فقد جعلها السلطان أبو حمو الثاني من إحدى الوصايا التي أوصى بها وليعهده أبو تاشفين في كتابه واسطة السلوك حيث أوصاه بالاستعانة بالجواسيس في الظروف العصيبة والحرجة ضد العدو، وفي هذا الصدد يقول في نص جامع مانع:

" اعلم يا بني أنه إذا كان عدوك أقوى منك فيجب عليك أن تدفعه بأنواع المحاولات ... فمن رأيك الذمي ندفع به عدوك ويرجع به سمّوك أن تكون لك جواسيس في بلاد العدو ويرقبون أفعاله على البعد والدنو، وعيون تلاحظ أعماله، وتشاهد أحواله، لا يفارقونه ليلا ولا نهارا، يسألون عن أحوال العدو سرا وجهرا، فكلما رام هذا العدو خداعا وأظهر فيك أطماعا جاءت الجواسيس بأخباره، وما أكنه في بلاده من أسراره، فتأخذ في قوام مدافعه إما بحيلتك أم بمصانعتك، وذلكب قدر حزمك وجدك وسياستك وكيدك...⁽²⁾.

وقد بذل الجيش الزياني جهودا مضنية في سبيل الحفاظ على كيان الدولة الزيانية، والتي مرت بظروف عسكرية وأمنية في غاية التعقيد أدت بعضها إلى أفولها نتيجة لتعدد جبهات القتال التي أرهقت كاهل الجيش الزياني والذي لم يدخر جهدا في الدفاع عن حدودها ومصالحها ضد القوى الداخلية والخارجية المتربصة بها، والحقيقة أن ثباته في

(1) علي بن أبي الهروي، كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د ت، ص15.

(2) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص171-172.

الحصار الأكبر لدليل واضح وكبير على تمكن بسالة وقوة الجيش الزياني الذي استفاد من ميزانية كبيرة ذهب بعضها للقادة المحنكين، ولم يتوان الأمراء الزيانيون في تخصيصها لهم كونهم القلب النابض والعقل المدبر⁽¹⁾.

وقد جند الزيانيون عددا معتبرا ممن وجدوا فيهم الصفات التي تمكنهم من الوصول للمعلومة المهمة في الوقت المناسب من الجنسين، وأدركوا كذلك أن مكانة المرأة في ميدان الجوسسة والاستخبارات العسكرية إن صح القول لا يُشَق لها غبار، ومنها ما قام به السلطان أبو سعيد عثمان (681 - 703 هـ / 1282 - 1303 م)، حين أهدى جارية جميلة رومية إلى أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني بعد أن درّبها على أسلوب الكتابة السريّة والتجسس والتقاط الأخبار، وبهذا العمل تمكن من اختراق الجدار المريني من خلال مختلف الأخبار التي كانت الجارية ترسلها له⁽²⁾.

كما كانت هذه الجارية سببا في نكبة أسرة أبي الوزير سعيد عثمان الذي تولى منصب كاتب الدولة وحاجبها، كما كان الرسول الخطيب منفردا مع الأمير المريني يفشي له أسرار الدولة كانت الجارية تسمع ما يدور، فكتبت بذلك إلى السلطان أبي

(1) حسام صلاحي، الجيش الزياني ودوره في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، العدد4، جويلية 2020، ص62.

(2) عبد العزيز فيلال، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص25، مفتاح خلفات، المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني: قراءة في الحضور العسكري والسياسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع1، جوان 2017، ص59.

سعيد، وبعد عودة الوفد الخائن إلى تلمسان أمر السلطان بقتل أسرة الخطيب فقتلوا قتلا شنيعا وصودرت أموالهم وسبيت حريمهم...⁽¹⁾.

(1) ابن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص 285.

المبحث الرابع: الناظرون على الأوقاف والأحباس

الناظرون على الأوقاف⁽¹⁾:

الأصل في الأوقاف هو التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته، عن طريق السعي والاجتهاد في الأعمال الخيرية، وقد شكّل على مدار التاريخ الإسلامي العريق مؤسسة رائدة لها دورها الفعّال في إرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية والمعرفية والتكافل الإجتماعي في أنحاء العالم الإسلامي.

والدولة الزيانية لم تكن بمنأى عن هذه الحقيقة، حيث شكلت هذه الخطة نسيجاً لا يُستهان به في مختلف أطوار بناء الدولة الزيانية وتشديد كياناتها على جميع الأصعدة، وسخرت لهذا الأمر رجالاً عرفوا بالنظارين على الأوقاف، ومهمتهم تقوم على النظر في العقار الموقوف للأغلال أو السكنى إذا كان من لا يحاط بهم كالفقراء والمساكين وطلبة العلم ومرضى المستشفيات أو يحاط بهم ولكن يحصل لكل واحد منهم ما لا ينتفع به كالفلس، فإن الناظرين يلزمهم أن يفضلوا أهل الحاجة وأهل العيال على غيرهم، وهؤلاء النظار لم يتعرض إليهم المؤرخون في مصنفاتهم رغم أهمية عملهم، « ولاشك في وجودهم بكثرة في تلمسان وضواحيها لوجود العقار الموقوف، ومنها تلك العقارات الموقوفة على جامع سيدي أبي مدين ومدرسته، والتي

(1) نشير في هذا المقام أن لفظ الحبس مصطلح شاع عند المغاربة، أما الوقف فهو مصطلح شائع عند المشاركة، والألفاظ الدالة على الوقف والحبس عديدة منها: تحبيس، تسبيل، صدقة، تحريم، الصدقة المحرمة، ينظر: عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين 7-9 هـ/ 13-15م ودورها في الحياة الاقتصادية والإجتماعية، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2005/2006، ص5 وما بعدها.

لا تزال أسماؤها مرسومة على رخامتي في سواري الجامع، كما أن الرخامة المثبتة في الجدار الغربي من مسجد أبي الحسن ورد فيها ذكر الأوقاف التي حبسها الأمير أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن على ذلك المسجد، الذي بني بوصية منه بعد وفاته رحمة الله عليه»⁽¹⁾.

ويُعَدُّ يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة أول من دشن عملية الوقف في بلاد المغرب الأوسط، من خلال بنائه صومعتي الجامعين الأعظمين في تاجرارت وأغادير، والذي رفض أن يكتب اسمه عليهما⁽²⁾.

أما خليفته ابنه أبو سعيد فقد بنى مسجد سيدي أبي الحسن الذي استعاد من مداخل عشرين دكانا كما نصت عليه وثيقة التحبيس⁽³⁾.

(1) الحاج محمد بن رمضان شاوش، مصدر سابق، ج 1، ص 79.

(2) يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 207.

(3) انظر / وثيقة التحبيس في الملاحق.

المبحث الخامس: تأثير الوظائف السامية في الحياة الزيانية.

أولاً - سياسيا وعسكريا:

لقد واجهت الدولة الزيانية في مختلف مراحلها تحديات جسام على مستوى هرم السلطة، شأنها في ذلك شأن جل الدول الوسيطة بالشرق والمغرب الإسلاميين على حدّ سواء، وانعكس مباشرة في مسألة الصراع على الحكم، خاصة عند تعدد الطامعين في الملك والإنفراد به، «والسعي في تحصيل ذلك بشتى الطرق، ولو أدى ذلك إلى قتل الآباء والأخوة والأعمام، والاستعانة بالموالي والقاصي والداني»⁽¹⁾.

وقد تجسدت هذه الخلافات في الفاعلين في المطبخ السياسي، ووصل الأمر في كثير من الأحيان إلى التصفية الجسدية، والاستعانة بالأعداء خارج المملكة⁽²⁾. لهذا فقد أثرت هذه الوظائف بشكل مباشر أو غير مباشر، وسلبا أو ايجابا على مختلف مناحي الحياة إبان العهد الزياني، ويمكن أن نتلمس الواقع السياسي ولواحقه لنقف على كثير من الأدوار التي لعبتها هذه التوليات المهمة⁽³⁾ ويتبين ذلك جليا من خلال توضيح نص ابن خلدون حين أقرّ أنّ «التنافس كان خفيا بين هؤلاء بما كان السلطان أبوهم يؤامل بينهم ويدراي بعضهم عن بعض.. فلمّا خرجوا أمم بني مرين

(1) يحي بن خلدون، مصدر سابق، مج1، ص186.

(2) نور الدين غرداوي، التّحديّات للجزائر(المغرب الأوسط) خلال العهد الزياني، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019، ص55.

(3) خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن(دراسة تاريخية حضارية)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص184.

وعادوا إلى تلمسان صار تنافسهم إلى العداوة...»⁽¹⁾. والأجدر أن يكونوا كما كانوا على المستوى المحلي حين قاموا بقمع التمردات الداخلية والثورات المحلية التي تزعمها شيوخ القبائل والزوايا، بل والأكثر ممن ذلك تمّ استمالتهم من طرف أصحاب القرار والوظائف السلطانية لخدمة الدولة الزيانية.

وعلى الصعيد الخارجي زادت التحديات الأمنية خصوصا مع الهجمات الإسبانية على بجاية وجيجل وعنابة سنة 917هـ/1511م، فاضطرّ الجيش الزياني إلى إهمال السواحل خصوصا مع بداية القرن السادس عشر، حتى أصبح الساحل كله في يد الإسبان، وهو ما يبين ضعف المراكز القيادية ومسؤوليها، ومن خلالهم السلطة الزيانية ككل.

ثانيا - إقتصادي واجتماعيا:

أثرت الوظائف السامية مباشرة في سياسة المال وترشيده وإنفاقه والعدل فيه، وهو ما يؤكدّه أبو حمو في وصيته: «اعلم يا بني أن الملك بناء، والعدل أساسه، فاذا قوي الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس انهار البناء، فلا سلطان إلا بجيش، ولا جيش إلا بمال، ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس»⁽²⁾.

لذلك تميزت الضرائب عهد الزيانيين عموما بثقلها وارتفاع قيمتها، حتى نجد الناس قد عجزوا عن دفعها، خاصة في مراحل الضعف ونقص المداخيل، لأن

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص132.

(2) أبو حمو موسى الثاني الزياني، مصدر سابق، ص89.

الدولة الزيانية في بداية أمرها ابتداء من حكم يغمراسن بن زيان كانت فيها الضرائب قليلة، ولم تكن تأخذ من الرعية إلا ما أوجبه الشرع الحنيف، وإن وجدت بعض الضرائب فهي قليلة وليست مُهلكة للرعية، وهذا بالنظر للمادة العلمية المتوفرة التي تبين تفصيل الجباية إبان العهد المدروس⁽¹⁾.

فقد أورد التنسي في نظم درره أنه لما ورد الفقيه أبو العباس أحمد بن عمران البجائي تاجرا، وحضر مجلس أبي زيد بن الإمام الذي عرف به أمير المسلمين عبد الرحمن أبا تاشفين...رفع مغرمه ومغرم من جاء به، وكان هذا المغرم قيمته مائتي دينار...⁽²⁾.

كما شاع في تلمسان - كغيرها من حواضر العالم الإسلامي ككل - ظواهر سلبية كثيرة، ظهرت مباشرة في التعاملات الاقتصادية والمناولات الاجتماعية، وطفّت إلى السطح ظواهر سلبية أضرت بالدولة والعوام على حدّ سواء، كالغش والانتحال في الدراهم والدنانير، كأن تكون ناقصة أو رديئة أو مزيفة، وقد ذكر العقباني وهو شاهد عين على العصر الزياني أن الدراهم والدنانير المغشوشة لا يحل لأن يُغش بها، فيعطّيها على أنها طيبة، ولا يبيّعها لمن يعلم أنه يغش بها، ويكره له أن يبقّيها لمن لا يأمن أن يُغش بها، مثل الصيارفة وغيرهم من أشباههم⁽³⁾.

(1) عبد القادر طويلب، أحمد الحمدي، السياسة المالية للدولة الزيانية بين التنظير والواقع من خلال كتاب أبي حمو موسى الثاني واسطة السلوك في سياسة الملوك، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت، مج5، ع1، يناير 2022، ص 319 .

(2) التنسي، مصدر سابق، ص 142.

(3) العقباني، تحفة الناظر، ص 215.

كما لاحظ العقباني ظاهرة الاحتكار والتطفيف والربا، والبيع المحرمة، من بيع بالآجال، وبيع الغرر والمساومة والمبايعة وتلقي الركبان وغيرها من البيع المحضورة والمكروهة، كل هذه النواهي قد وقف عندها محتسبوا الدولة الزيانية، كما تجاوزت مهامهم أحكام السوق إلى المسائل الأخلاقية، مثل الحكم في دور الأذى والفجور، وقطع النبيذ والخمر، وكذا أحكام البنیان والنظافة، وأهل الذمة والصيارفة، وقد يلجأ المحتسبون إلى التخويف من العقاب، ثم اللجوء إلى التأديب والإغلاظ بالقول، والتفريع باللسان، دون السب أو الذم⁽¹⁾ وقد يلجأ المحتسب حسب مهامه للتغيير باليد عند الاقتضاء، ولا ينبغي استعمال التجسس في الكشف عن المنكر، إلا لمن اشتهر ذكره وشاع⁽²⁾.

ونقف على فتوى الفقيه محمد بن مرزوق في إحدى فتاويه أن الوزن المعمول به في تلمسان وما جاورها في دار السكة قُدِّر بحساب اثنين وأربعين درهما للأوقية الواحدة، وفي حال انتقاصهم لها تصل بحساب ستة وأربعين درهما للأوقية، كما أنهم يبالغون في هذا الغش حتى تصل بحساب ستة وخمسين درهما للأوقية...⁽³⁾.

ويرى أحد الباحثين أن الغش في النقود ارتبط بضعف الدولة سياسيا، باعتبار النقد رمزا من رموز السلطان وأحد مقومات شرعيته، فكلما انتشر الغش كان دلالة

(1) فطيمة مطهري، منكرات السوق وأحكامها في تلمسان من خلال تحفة الناظر وغنية الذاكر لمحمد

العقباني التلمساني، مجلة الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، ديسمبر 2018، ص90.

(2) نفسه، ص91.

(3) نصيرة عزرودي، الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة، مجلة

المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 6، ديسمبر 2014، ص320.

واضحة على الانحلال⁽¹⁾ وهو ما جعل الفقهاء يتساءلون وينبهون الحكام أن من واجبهم الضرب بيد من حديد، ولكن بنفس القوة والاهتمام مع من تركوا الفروض والواجبات، ولعل الإجابة في هذا الموضع كما يبدو أن الساسة السلاطين في مراحل ضعف الدولة أرادوا استرجاع هيبة دولتهم للبقاء في الحكم، أما الأمور الدينية فلم يروا فيها تهديدا لملكهم وأبتهتهم، وهو أمر حسبهم لا يدعو للاستعجال كما هو الحال مع الانتحال والتزوير.

وفي الجانب الداخلي انتشرت ظواهر سلبية على غرار اللصوصية والقرصنة، ووقفت الدولة الزيانية عاجزة في كثير من الأوقات عن ردّها، ونتج عن هذا انعدام الأمن وتراخي قبضة الحاكم، وأصبح العلماء والقضاة يسهرون على تنفيذ القانون في مجتمع يسوده الفساد والاضطراب⁽²⁾ ورغم مساعي السُلطة والفقهاء في محاربة الغش من خلال المحتسبين، إلا أن الضعف استمر في العملة الزيانية حتى فترات متأخرة وهو ما بيّنه الحسن الوزان حول سكّ الحاكم الزياني نقودا من الذهب الرديء كالدنانير التي تُسمى في إيطاليا بسلاتشي أي الخفيفة، غير أن القطعة الواحدة منها تُساوي ديناراً ورُبعا إيطاليا، لكونها كبيرة جدا، ويُسك أيضا نقودا فضية غير خالصة، وأخرى نحاسية متفاوتة القيمة والنوع...⁽³⁾.

(1) عبد الجليل قريان، أبحاث في التاريخ الحضاري بالغرب الإسلامي الوسيط، مرجع سابق، ص 91.

(2) نور الدين غرداوي، مرجع سابق، ص 57.

(3) الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 23، نصيرة عزرودي، مرجع سابق، ص 321.

ولعلنا في هذا المقام لا يمكننا أن ننكر موقع اليهود في هذا الشأن، ولو أننا أقررنا في موضوع سابق أن الزيانيين كانوا يعاملون اليهود بحذر شديد، إلا أننا نقف على إحصائيات مخيفة تفيد بتواجد أكثر من خمسمائة دار من اليهود بتلمسان فقط، حتى صار لهم حي خاص يُعرف بدرب اليهود⁽¹⁾ حتى قيل:

تلمسان أرض لا تليح لنا ولكن لطف الله نسأل في القضاء
وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى
والأدهى من ذلك أن هؤلاء جُلهم من الميسورين والأغنياء، حتى صاروا من
يسIRON الحياة الاقتصادية بدقائقها، ولا يخفى علينا ما يفعلونه من الغشوش
والإنتحالات، فتناولوا حتى وصل بهم الأمر أن اشتغلوا في دار سكة تلمسان،
وزوروا العملة وروجوا الدراهم المبهرجة⁽²⁾ في كامل القطر، مما أغضب الفقهاء من
هذه الظاهرة، حتى أن الفقيه المازوني وغيره أرجعوا سبب نقص الدراهم إلى تواطؤ
بين صاحب الفضة واليهود العاملين بدار السكة، نتيجة لقلّة الضبط وغلبة
الفساد⁽³⁾.

(1) ابن مريم التلمساني، مصدر سابق، ص271.

(2) الدراهم المبهرجة: والمبهرج هو الرديء من الشيء، ودرهم بهرج أي رديء الفضة، وهو ما يرده التجار ولا يقبلونه لنقص فيه، وقيل أيضا هو المزيف الذي ضُرب بدار غير دار السلطان أي دار السكة المعتمدة من الدولة، وقال عنه الفقهاء المزيف ما يرده بيت المال، والمبهرج ما يرده التجار...، يُنظر، نزيه حمّاد، مُعجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، دمشق، 2008، ص96.

(3) المازوني، مصدر سابق، ص515.

كما كانت الضرائب والمكوس مجالا للتنافس بين السلاطين عند وصولهم إلى كرسي العرش، فيقومون بإزالتها عند اعتلائهم للعرش أو توقيفها ولو مؤقتا عند الحاجة الاقتصادية الملحة، « تألفا لقلب الرعية ورحمة بهم فيرفعون ما كان عليهم من ضرائب ثقيلة. فجعل هذا الفعل يملا قلب الرعية بحب السلطان »⁽¹⁾.

رغم أنه في بعض الأحيان كان ملوك تلمسان لا يستطيعون تحصيل الضرائب أو أي خراج من مدينة تلمسان لأن العمال الموفدين إنما يقبلهم السكان إذا رضوا عنهم، وإلا رفضوهم وردوهم على أعقابهم على حد تعبير الحسن الوزان بصدد حديثه عن مدينة ندرومة⁽²⁾.

ثالثا - ثقافيا ودينيا:

نشير أن الأشراف وأصحاب المهن السامية والمقربين من السلاطين والحاشية كانت لهم بعض المناسبات التي يلتقون فيها مع العامة من الناس، ولم يكونوا بمعزل عنهم، نذكر منها على سبيل المثال: احتفالات المولد النبوي الشريف والذي أدخل الاحتفالات به الفاطميون بمصر⁽³⁾، والتي تُجمع المصادر المتوفرة أنها بدأت إبان الدولة الزيانية مع عهد أبي حمو موسى الثاني وذلك ابتداء من سنة 760هـ/ 1359م، وتزامن هذا التاريخ مع استرجاعه لمدينة تلمسان، وتولييه مقاليد الحكم،

(1) التتسي، مصدر سابق، ص242.

(2) الوزان، مصدر سابق، ص14.

(3) عبد القادر فكاير، الاحتفالات الدينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني من خلال المسند الصحيح لابن مرزوق التلمساني، دورية كان التاريخية، السنة12، ع45، سبتمبر2019، ص179.

يقول يحي ابن خلدون في هذا الصدد: « وأطلّت ليلة الميلاد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فأقام لها بمشور داره العليّة مدعى كريما وعُرسا حافلا ... »⁽¹⁾.

ويؤكد التنسي أن الحدث هو ملتقى بين الجميع حين قال: « وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسيم، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة... »⁽²⁾ وبالتالي كان سلاطين بني زيان يجمعون لهذا الحدث الحدث أهل الرأي والعلم والفضل من سكان تلمسان في كل مولد، يتصدرهم السلطان ويتخذ لكل واحد منهم مجلسا ومقعدا يراه العامة الحاضرون، يجتمعون كلهم قصد الاحتفال بهذا الحدث⁽³⁾.

وقد نجدهم يربطون في هذا بين مدّ الرسول الأعظم ﷺ وبين مدّ السلاطين الزيانيين، ومن ذلك ما جاء عن الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني المعروف بابن اليعلّو:

ملك زكّت أخلاقه أصوله وارث الجلالة سيّدا عن سيد
الله فضّله ورفع قدره وأمّده بمهابة وتأيد
مولاي أبو حمو الذي قهر العدا وأفاتهم حتفا بغضب مهند

(1) يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص39.

(2) التنسي، مصدر سابق، ص162.

(3) حسّية عمروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 08، ع01، جوان2017، ص286.

فالنصر يقدمه ويقدم جيشه والفتح يتبعه برواً وتقيد⁽¹⁾

فقد كان الزيانيون يحتفلون بالمولد الشريف في جوّ يجسد جهداً وحكمة وتخطيطاً وتحضيراً مسبقاً لهذه الذكرى التي وجدوا فيها مهرباً وملاذاً وإنقاذاً لهم ولدينهم، «فكانوا يرون فيه حق الله في ليلة المولد، ويحتفل بها فوق سائر المراسيم، ويحضر المديح النبوي فارضاً وجوده الجمالي والفني يتقدمهم الشعراء النوابغ المقربون للسلطنة، وما يزيد الأمر حفاوة أن تجد السلطان بنفسه شاعراً حاذقاً يقرض الشهر ويكرم أهله، كأبي حمو موسى، فتكتمل متعة اللقاء والإلقاء»⁽²⁾.

ومن الشعراء الذين قرّبهم السلاطين وسمعوا مديحهم نجد أبو مدين بن شعيب التلمساني والذي نحا شعره منحى صوفياً، مثل قوله⁽³⁾:

بكتِ السحابُ أضحكت لبكائها زهر الرياض وفاضت الأنهارُ
قد أقبلت شمسُ النهارِ بجملةٍ خضراً وفي أسرارها أسرارُ
وأتى الربيعُ بخيله وجنوده فتمتعت في حسنه الأبصارُ

(1) مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان 760-764هـ/1359-1363م، تقديم أحمد بن محمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2012، ص88.

(2) جميلة معتوق، المولدية الزيانية في الخطاب المدحي النبوي الجزائري القديم، قراءة تداولية بين مولدية أبي حمو موسى (791هـ) والثغري (أواخر القرن الثامن هجري)، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، العدد40، ص206.

(3) أبو مدين شعيب التلمساني: الديوان، تح: العربي بن مصطفى الشوار، مطبعة التّرقّي، دمشق، ط6، 1983، ص66.

والوردُ نادى بالورود إلى الجنى فتسابق الأطيّار والأشجارُ
والكاسُ ترقصُ والعقار والجو يضحك والحبیبُ يُزارُ
والعودُ للغيدِ الحسانِ مجاوبُ والطارُ أخفى صوتهُ المزمارُ
لا تحسبِ الزمرَ الحرامَ مرادنا مزمارُنا التسبيحُ والأذكارُ
إلى أن يقول:

ثمّ الصلاة على الشفيح المصطفى ما غرّدت بلغاتها الأطيّار
ونشير في هذا المقام أن الشعراء لم يكونوا يمتحدون في المناسبات الدينية فقط،
بل امتدّ تأثيرهم للمناحي السياسية، ومن ذلك قول محمد بن أحمد الحسني في مدح
أبي حمو⁽¹⁾:

يَا أَوْحَدَ النَّاسِ فِي مَجْدٍ وَفِي شَرَفٍ وَأَفْضَلَ الْخَلْقِ فِي بَأْسٍ وَفِي كَرَمٍ
مَوْلَايَ تَأْسِعةُ السَّاعَاتِ قَدْ ذَهَبَتْ وَاللَّيْلُ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ عَادَ ذَا هَرَمٍ
كَذَا يَمُرُّ وَلَا نَذْرِي الزَّمَانَ بِنَا وَيَنْقُضِي الْعُمُرُ فِي اللَّذَاتِ وَالنَّدَمِي
كما كانت المعارك فرصة لإبداع الشعراء، وتقييد كثير من الأحداث الجسام
التي وصلتنا حول تاريخ الدولة الزيانية وتفوقها⁽²⁾، منها ما قاله أبو حمو موسى
الثاني:

(1) مؤلف مجهول، زهر البستان...، ص 66.

(2) نفسه، ص 171.

وَكَمْ مِنْ فَيَافٍ قَدْ قَطَعَتْ أَكَامَ وَكَمْ مِنْ سَمَةٍ جَادَتْ عَلَيْهَا نَسَائِمِي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي زَفْرَةً مُسْتَكِنَةً يَصْعَدُهَا فَيُضَالُ دُمُوعُ السَّوَاكِمْ
وَبِتُّ نَسُوقُ النَجْعِ فِي غِيَابِ الدَّجَى وَخَرَصَ انْنَا فِيهَا كَشْهَبٌ عَوَاتِمٌ⁽¹⁾

وأقر بأن تمسكه بأمر الله قد أثمرت فوقه على خصومه وهزيمته لهم فقال:

وَمَنْ يُعَارِضْ بِأَمْرِ اللَّهِ مُقْتَرِضٌ يَخْسَرُ وَيُضْبِحُ عَلَى بَحْرِ مِنَ التَّعَبِ
أَيُّمَنُجُ الْمَرْءُ وَالْقَهَّارُ يَمْنَعُهُ أَوْ يُوَهِّبُ الْأَمْرَ الْوَهَّابُ لَمْ يَهَبْ
كَمْ غَاصَ بِقَبْلِكُمْ قَدْ عَادَ مُنْتَهَبَا وَطَالِبُ خَابٍ وَالْمَطْلُوبُ لَمْ يَخِبْ⁽²⁾

وعموما أفضى الشعراء جوا من الغبطة والسرور لأن بعضهم قد كان من مقربي البلاط الزياني⁽³⁾، عنوانه الحياة الثقافية المزدهرة التي أبدع الزيانيون في تشكيلها.

(1) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ص30.

(2) نفسه، ص30.

(3) حول الموضوع ينظر، عبد الحق هتهوت، الشعر الجزائري القديم وأثره على الجوانب الحضارية في المغرب الاسلامي من ق 8هـ -10هـ مقارنة تاريخية وصفية تحليلية، رسالة دكتوراه في أدب المغرب الاسلامي والحضارة المتوسطية، جامعة تلمسان، 2018/2019م.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة التي وقفت على دراسة وصفية للوظائف السلطانية إبان العهد الزياني، يمكن الخروج بمجموعة من النتائج البحثية التي نراها ضرورية نوجزها فيما يلي:

- لا بُدَّ أن نعترف بدءاً أن التأليف في النظم الإسلامية وما تحويه من وظائف سلطانية كانت شحيحة وغير متداولة على الأقل؛ ولا تعكس الدور العظيم والجبار لهذا المحور، ولعل أبرز ما وصلنا حول موضوع الوظائف السلطانية ونقصد به كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للمالكي أبي حمو موسى الثاني الزياني (ت: 791هـ/ 1389م)، وهو مصدر مهم في السياسة والتاريخ والنظم والأدب؛ وهو عبارة عن مجموعة من القواعد والشروط والطريقة المثلى في تسيير شؤون الدولة الزيانية أرادها السلطان أبو حمو لابنه وولي عهده أبي تاشفين، وللأسف عدمنا كتباً مشابهة له، مما يجعل الدراسة حول الموضوع مبتورة وناقصة دون شك، ولا تفي المقصود كما يُراد.

- كان الحضور المميز للوظائف السلطانية إبان العهد الزياني بارزاً للعيان، ولعله كان صورة صادقة للدولة الزيانية التي حملت على كاهلها إعطاء النموذج الصحيح لدولة المغرب الأوسط الواجب حضورها في ذلك الظرف التاريخي الخطير.

- حاول الخلفاء الزيانيون إبراز النموذج الزياني كعينة للعبقريّة المغربية في ظرف تميز بالتناحر والإضطراب السياسي والعسكري، وقد نجحوا إلى حد ما في استوعاب المخاطر المحدقة واستيعابها بشكل جعل الدولة تعيش ردحا من الزمن بشكل منظم، يغلب عليه المظهر السلطوي الإسلامي المغربي.

- شكل النسيج المهني للوظائف السلطانية حلقة وصل مباشرة بين سلاطين بني زيان والرعية، حيث نجحوا في توظيف كل وظيفة في إطارها الديني والإداري والإجتماعي... حسب ما تقتضيه طبيعة التعامل، وخصوصية الوظيفة، رغم حساسية بعضها وخطورتها في آن.

- راعى السلاطين الزيانيون معايير محددة ودقيقة في اختيار أصحاب الوظائف السلطانية، يغلب عليها التمكن العلمي والإستقامة الأخلاقية وموالة ولي الأمر، كما نجد بعض الأسر قد استأثروا ببعض المناصب وورثوها أبا عن جد على غرار المرزقة والعقبانيين وبني هدية ... وغيرهم.

- أثارت قضية رفض المناصب السامية في الدولة الزيانية جلبة وواقعا حيا جليا من خلال ثلة من العلماء الذين آثروا رفض الوظيفة السلطانية، مفصحين عن رأيهم في أن شر العلماء هم علماء السلاطين، خاصة وأن سلاطين بني زيان قد فرضوا على من والاهم منهم أن يحضروا مجالسهم ويسكتوا عن كل ما لا يرضونه من أفعال الحكام، من أخذ الضرائب غير الشرعية في مواطن ضعف الدولة واستكانتها، كما لا يحبون الرضوخ بين يدي الحكام وإبداء الولاء والطاعة العمياء لهم وتقبيلهم والإنحناء بين أيديهم، والدعاء لهم في العلن، وعدم الجهر بتغيير المناكر، مما يُعطي انطبعا واضحا عن التمرُّد المحمود إن صح القول لثُلَّة من العلماء، وطبقوا أن العالم لا يخاف في الحق لومة لائم.

- استفاد الزيانيون من الموروث الموحدى الخصب، وقد ترك آثاره واضحة في مقاليد الحكم وسياسة الدولة، وفي نفس الوقت كانت البصمة الزيانية واضحة في الإثراء والطابع الخاص.

- نسّق الزيانيون بين مختلف الوظائف السلطانية من خلال التسلسل الوظيفي الهرمي، مما جعل النتائج تظهر بارزة للعيان، كما أن المجتمع الزياني كان الراجح الأكبر من هذا التنظيم.

- يبدو لنا جليا عدم تقيد هذه الوظائف السامية بفترة زمنية محددة خلال هذا العهد، فقد تبقى مدى الحياة، إلا إذا تعرض صاحبها للعزل والنكب، لأسباب كثيرة على غرار المرض المقعد، أو عدم التمكن من المهام، أو الوشاية المغرضة والدسائس والحسد (كل ذي نعمة محسود)، أو يصل إلى حد نكبة صاحبها من سجن أو نفي أو هروب وحتى القتل، كما استغل أعداء الزيانيين على غرار بني مرين الأجواء المضطربة لتقريب أصحاب هذه الوظائف، للاستفادة منهم في خبرتهم العملية، ولأغراض أخرى كالتجسس.

- كان لتقريب الفقهاء من هذه المناصب وإجزال العطاءات الأثر الفعال في مختلف الجوانب، كما ساهموا بفضل علمهم في المضي قدما بالمشروع الزياني الفتى.

- لم ينل أهل الذمة خلال العهد الزياني حظهم من المناصب السامية، والأمر كان مقصودا ومتعمدا من ولادة الأمر، ويرجع ذلك لتخوفهم من التجارب الوخيمة التي مرّت على الدول المتعاقبة التي قرّبت أهل الذمة للمناصب الخطيرة والحساسة، فأثروا

إبعادهم اتقاء لشرهم، رغم الإستفادة منهم في بعض هذه المناصب، عللا غرار السفارة، لتمكنهم من اللغات والتواصل، وحنكتهم ودهائهم، فأبقوا معهم على مسافة الأمان، لأنهم لا يؤتمنون.

- أثر الصراع السياسي والعسكري على دواليب الحكم الزياني، وظهر واضحا في هذه الوظائف التي تزعزعت أركانها، وصارت مطيئة للكثيرين لمصالح أخرى، وقد عجل بالسقوط.

- يبقى موضوع الوظائف السلطانية بحاجة لمزيد من الدراسات الجادة التي تميط اللثام على كثير من البقع المعتمة، والتي لا تزال بحاجة للتقريب والبحث، وربما المادة الخبرية التي لا بد أن تطال كثير من ميادين العلوم كفيلة أن تجعل النتائج المرجوة أكثر دقة.

الفهارس الفنية

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس الأماكن والقبائل

خامساً: فهرس الدول والطوائف والقبائل

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ...﴾	200	141
آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	153
النساء	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	34	52
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	59	67
التوبة	﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾	122	81
هود	﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾	91	81
الحجر	﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾	66	140
الإسراء	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾	23	140
طه	﴿وَأَحْلَلْ عُنُقَهُ مِنَ لِّسَانِي﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾	28 - 27	81
	﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾	32 - 29	73
	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	72	141
الفرقان	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾	36 - 35	74
القصاص	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾	29	141
ص	﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ	26	143

		أَلْهَوَىٰ فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾	
141	12	﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾	فصلت
73	11	﴿كَلَّا لَأَوْزَرَ ﴿١١﴾﴾	القيامة

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
01	« قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَغْمِلُنِي ... »	أبو ذر رضي الله عنه	54 - 53
02	« لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ »	أبي بكرة رضي الله عنه	52
03	« اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ »	ابن عباس رضي الله عنه	81
04	« مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ أَجْراً ... »	عائشة رضي الله عنها	75

ثالثاً: فهرس الأعلام

- 99.....التنسي (أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام)
- 93.....الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي)
- 34.....الأندلسي (أبو بكر بن خطاب)
- 112 ، 68.....أبو حمو موسى الثاني
- 146.....العقباني (أبو سعيد بن محمد)
- 91 ، 88.....الشريف (أبو عبد الله محمد بن أحمد)
- 146.....البستي (أبو علي حسين بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسيني)
- 87.....المشدالي (أبو موسى عمران)
- 135.....ابن أغلال (إبراهيم)
- 135.....ابن جلال (إبراهيم)
- 149.....ابن يحي (إبراهيم بن علي)
- 110.....إبراهيم بن محمد الأشقر
- 46.....ابن الجوزي
- 89.....ابن الحاجب
- 96.....ابن الخطيب
- 39.....ابن النغيلة
- 161 ، 160 ، 150 ، 124.....ابن خلدون
- 149 ، 122.....ابن خميس التلمساني
- 20.....ابن سعيد المغربي
- 130.....ابن سلمون
- 81.....ابن عباس رضي الله عنه
- 94 ، 93.....ابن غازي

ابن فرحون المالكي	102، ي
ابن قنفذ القسنطيني	164
ابن مرزوق الجد	152، 129
ابن مرزوق الحفيد	138، 97، 86
ابن مغيث الطليطلي	128
ابن منظور	153، 73
ابن هدية القرشي	150، 123، 122
ابن اللجام (أبو إسحاق إبراهيم بن علي)	147، 130
التنسي (أبو إسحاق إبراهيم بن خلف)	90، 85
أبو الحسن المريني	24
أبو الحسن علي اللجام	149
أبو العباس أحمد العاقل	85
أبو العباس أحمد المعروف بابن العباس التلمساني	152
أبو العباس أحمد المعروف بالمريض	163
أبو العباس أحمد بن عمران البجائي	178
أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني	104
أبو العلاء إدريس المأمون	18
أبو القاسم سعد الله	35
أبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم	127
أبو بكر محمد بن عبد الله الخطاب المرسي	120
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول	123، 91، 87، 24
أبو ثابت الزياني	93، 25

- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي المكناسي-----130
- أبو حمو موسى الأول-----168، 129، 25، 24
- أبو حمو موسى الثاني--25، 26، 34، 68، 69، 70، 76، 88، 113، 119، 134،
135، 143، 151، 155، 161، 162، 163، 170، 177
- أبو ذرٍّ رضي الله عنه-----53
- أبو زكريا (السلطان الحفصي)-----133
- أبو زيان بن عثمان-----24
- أبو زيان محمد الثاني-----86
- أبو سالم بن إبراهيم بن قاسم بن سعيد العقباني-----93
- أبو سعيد بن يغمراسن بن زيان-----175، 122، 70، 34، 25، 23
- أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن-----175
- أبو عبد الله بن الخطيب-----97
- أبو عبد الله محمد الدكلي-----149
- أبو عبد الله محمد المتوكل-----26
- أبو عبد الله محمد المدكالي-----147
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني-----157
- أبو عبد الله محمد بن سعود-----127، 111
- أبو عبد الله محمد بن عامر الولهاصي-----110
- أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي اليعفري البطيوي-----144
- أبو عبد الله محمد بن علي العصامي-----127
- أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني-----147
- أبو عبد الله محمد بن يعقوب-----158

- أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني-----137، 150
- أبو عزة زكران بن زيان-----18
- أبو علي بن يوسف المعروف بأبي القاسم-----138
- أبو عمران موسى بن علي بن برغوث-----80
- أبو عنان المريني-----103
- أبو محمد بن مروان-----149
- أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم المجاسي-----129
- أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي-----80
- أبو موسى عمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي-----80
- أبو عبد الله محمد بن سعود-----109
- أبو تاشفين الأول-----22
- أبو حمو موسى الثاني-----24
- التنسي (أبو إسحاق إبراهيم)-----91
- التسولي (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى عبد الرحمن بن أبي بكر)-----102
- الخياط (أبو إسحاق إبراهيم بن علي)-----98
- الأشعري (أبو الحسن)-----49، 48
- العجيسي (أبو العباس أحمد بن مرزوق العجيسي)-----91
- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد)-----ط، 103، 130
- العاقل (أبو العباس)-----68
- العقباني (أبو الفضل قاسم بن سعيد)-----93
- أبو تاشفين الأول-----ك، 68، 111، 123
- أبو تاشفين الثاني-----162

- أبو تاشفين-----187، 29
- أبو ثابت عامر-----168
- أبو ثابت محمد المتوكل على الله-----ل
- أبو حمو الثالث-----104
- أبو حمو موسى الأول-----137
- أبو حمو موسى الثاني الزياتي --- □، ك، 28، 39، 71، 72، 76، 96، 109، 117،
120، 126، 134، 136، 162، 163، 182، 187
- أبو زكريا يحيى المازوني التلمساني-----89
- أبو زيان الثاني بن أبي حمو موسى الثاني-----ك
- أبو زيان بن عثمان-----24
- أبو زيد بن الإمام-----178
- أبو سعيد عثمان المريني-----137
- أبو سعيد عثمان بن يغمراسن-----136
- أبو طالب المكي-----89
- أبو عبد الله المتوكل-----112
- أبو عبد الله بن عرفة-----163
- أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي-----104
- أبو عبد الله محمد الخامس-----68
- أبو عبد الله محمد العقباني-----□
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني المعروف بابن اليعلى-----183
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني-----ي
- أبو عبد الله محمد بن العباس-----92

ك	أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني
29	أبو مالك عبد الواحد
21	أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري
68	أبو موسى حمو الأول
98	أبو يحيى يغمراسن بن زيان
164	أبو يعقوب (السلطان المريني)
129	أحمد بن عيسى البطيوي
149	أحمد بن قاسم العقباني
86	أحمد بن محمد بن زكري المانوي
92	أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي
114	إدريس بن إدريس
112	إدريس بن عبد الله
19	الإدريسي
55	أرسطو طاليس
136	أرنو دوكورنيلا
50	إسحاق بن إبراهيم
137	إكزيمان بيريز داندوسيالا - Eximen Perez Dandossiella
136	ألفونسو الثالث
34	الإمام القلصادي
87	الإمام مالك
136	بار غارسيال - Père Garçia
48	الباقلاني

94	البررزي
48	البغدادى
19	البكريا لأندلسي
ز	بلال ولد العربي
137	بيار الثالث
136	بيدرو الرابع 4 Pidrou
155	تاشفين الثاني
57	تاشفين بن علي
ي	التمبكتي (أحمد بابا)
183، 178، 112، 97، 87، 86، 85، 68، 35	التنسي
18	جابر بن يوسف
43	الجاحظ
136	جاك ابن الملك جاك الثاني
130	الجزيري
136	جوان بيار ميشلان Juan Pier Michelin القطلاني
167	الحجاج بن يوسف الثقفي
180، 31	الحسن الوزان
ل	الحسن بن محمد الوزان المشهور بليون الإفريقي
ز	حسين تواتي
92	الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق
22	ال خليفة أبي الحسن السعيد
65	ال خليفة المأمون

89	خليلبن إسحاق
80	داود بن علي بن مجن
136	Romon desan liecerio رامون دوسان ليسرو
79	رحو بن محمد بن علي الخرساني
167 ، 143 ، 81	الرسول ﷺ
183	الرسول الأعظم ﷺ
52	رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
96	زروق البرنسي
20	الزهري
27	زيدانبن زيان
108	السلطان أبي حمو موسى الأول
109	السلطان أبي زيان محمد
109	السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن
22	السلطان الحفصي أبي زكريا الأول
108	السلطانالسعيد الموحي
91	السلطان المريني أبي يعقوب يوسف
18	السلطان الموحي الرشيد
136	سلومون بن زكي
112	سليمان بن عبدالله
94	السنوسي
132	سوط النساء
93	سيبويه

- 102-----سيدي أبو مدين شعيب
- 17-----شحيح بن واسين بنت بصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيع
- 113، 103، 89-----الشريف التلمساني
- 113-----الشريف الحسني
- 81-----شعيب عليه السلام
- 63-----صلاّ الدين الأيوبي
- 64-----صلاّ الدين
- 117-----عبد الحميد الكاتب
- 166، □-----عبد الحميد حاجيات
- 178-----عبد الرحمن أبا تاشفين
- 70-----عبد الرحمن الداخل
- 87، 25-----عبد الرحمن بن تاشفين
- 91، 74، 71، 70، 69، 68، 42، 37، 35، 24، 17، ك-----عبد الرحمن بن خلدون
- 154، 120، 115
- 127-----عبد الرحمن بن محمد بن الملاّ
- 148-----عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المكنى بأبي فارس
- 90-----عبد القادر الجيلاني
- 90-----عبد الله أحمد بن مرزوق
- 167-----عبد الملك بن مروان
- 17-----عبد المؤمن بن علي
- 150-----عبد الواحد بن أحمد العقباني
- 17-----عبد الوادي

162،30	العبدري
108	عبدون بن محمد الحبّاك
137، 135،23	عثمان بن يغمراسن
18	عثمان بن يوسف
ز	عز الدين العلام
179،157	العقباني
114	عقبة بن نافع الفهري
105،59	علي بن أبي طالب
80	علي بن عبد الله بن ملا
86	علي بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقلصادي
123	علي منصور
167، 54،52	عمر بن الخطاب
105	عمرو بن العاص
79	عمروش بن مكن
93	عيسى بن الجلاب
65	عيسى بن مريم
79	غانم بن محمد الراشدي
21	الغبريني (أبو العباس أحمد)
77، 48، 47، □	الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)
48	الفارابي (أبو نصر)
136	الفاكين بوندافي Alfaqui Bondavin
160، 50	الفراء أبي يعلي

- 130-----الفشتالي
- قاسم بن سعيد بن محمد العقباني-----ي، 86
- 113-----القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر
- ز-----قدور وهراني
- 52-----القرطبي محمد بن أبي بكر
- 89-----القشيري
- 84-----القلصادي
- ط، 60، 82-----القلقشندي (أبي العباس أحمد)
- 52-----كسرى
- ز-----كمال عبد اللطيف
- ي، 26، 83، 97-----لسان الدين بن الخطيب
- أ-----الله عز وجل
- 174، 102، 100، 98، 90، 81-----الله
- 141، 140، 115، 81، 75، 67، 44-----الله تعالى
- 154، 117-----الله عز وجل
- 181، 163، 130، 94-----المازوني
- 18-----المأمون الموحدي
- 167، 75، 74، 52، 48، 43-----الماوردي
- 110، 79-----محمد الأشقر
- 150-----محمد العقباني
- 100، 91-----محمد بن إبراهيم الأيلي
- 150-----محمد بن أحمد بن قاسم العقباني التلمساني

112	محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان
112	محمد بن النفس الزكية
62	محمد بن تومرت
158	محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني
112	محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس
92	محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني
120	محمد بن عمر بن خميس التلمساني
127	محمد بن قضيب الرصاص
93	محمد بن مرزوق الكفيف
179 ، 103	محمد بن مرزوق التلمساني
110 ، 79	محمد بن ميمون بن الملا
149	محمد بن هدية
101 ، 90	محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي
ل	محمد حجي
135	محمد صبيح
56	المُرادي
75	المسعودي
183	المصطفى ﷺ
105، 59	معاوية بن أبي سفيان
79	معروف بن أبي الفتوح
76	معروف بن فتوح التجاني
144، 133، 94، 38	المغيلي

- المقري-----124،123
- موسى عليه السلام-----73
- موسى بن علي الكردي-----111، 80
- موسى بن يخلف-----163،162
- الناصر بن أبي حمو موسى الثاني-----134،39
- النباهي-----141،99
- النبي صلى الله عليه وسلم-----75،54، 53، 52
- نبيلة عبد الشكور-----أ
- نورى بنت كسرى-----52
- الهروي (علي بن أبي أحمد)-----ط
- هشام المتوكل-----ز
- هلال القطلاني-----111،79
- وادفل بن عبو بن حماد.-----80
- يحي بن خلدون-----ك،ل، 27، 30، 31، 35، 39، 68، 70، 72، 97، 108، 114،
115، 119، 120، 134، 147، 162، 163، 170، 182
- يحيى بن مكن-----79
- يحيى بن موسى الجمي-----79
- يعقوب المنصور-----64،63
- يعقوب بن جابر الخرساني-----79
- اليقوبي-----112
- يغمراسن بن زيان-----90
- يغمراسن بن زيان-----ك، 18، 22، 23، 25، 27، 28، 29، 35، 67، 68، 70، 76،

85، 107، 108، 125، 135، 147، 156، 164، 169، 175، 178

يوسف العقاري التلمساني-----18

يوسف بن تاشفين-----61، 67

يوسف بن يعقوب-----24

رابعاً : فهرس الأماكن والقبائل

الأرغون	135
أغادير	175، 133، 38
إفريقيا	34
إفريقية	114، 20، 19
إنجلترا	63
الأندلس	108
الأندلس	124، 122، 108، 107، 89، 70، 64، 37، 36، 32، 27، 20، 161، 146
الأوراس	114
أوروبا	32
إيطاليا	180، 32
بجاية	177، 131، 28، 23، 20
البحر المتوسط	23
البحر المحيط	19
برشلونة	136، 135
بغداد	62
بغداد	67
البندقية	134، 38
بونة	20
بيت المقدس	36
بيروت	ز
البَيْع	133

175	تاجرات
17	تاهرت
28	تاويرت
33، 32، 31، 30، 29، 27، 26، 24، 23، 22، 20، 19، 18، 17، 16، 15، 14، 13، 12، 11، 10، 9، 8، 7، 6، 5، 4، 3، 2، 1	تلمسان -- ز، ي، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 26، 27، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 40، 68، 69، 84، 85، 86، 87، 88، 92، 93، 94، 96، 99، 100، 101، 103، 104، 108، 111، 112، 113، 114، 122، 123، 129، 131، 133، 134، 136، 144، 146، 148، 149، 150، 156، 157، 158، 162، 164، 170، 174، 178، 179، 181، 182، 183
85، 28، 20	تنس
28	توجين
29، 28، 20	تونس
85	تيرشت
20	تيهت
34	جامع أبي الحسن
87، 86	الجامع الأعظم
86	الجامع الكبير
174	جامع سيدي أبي مدين
ز	جامعة أبي بكر بلقايد
27	جبل ورنيد
20	جزائر بني مزغنة
35	الجزائر
177	جيجل

36	الحجاز
65	الحرمين
181	درب اليهود
164	دويرة
114	الزباب
68	الزّاوية اليعقوبية
114	سجل ماسة
32	السودان
20	السوس الأقصى
164	سوق السراجين
19	سيق
63	الشام
20	طرابلس
146	عقبان
63	عكا
177، 20، 19	عناية
151، 145، 70، 61، 36، ز، د، أ	الغرب الإسلامي
122، 39، 36، 35	غرناطة
100، 93، 91، 68، 57، 39، 29، 28، 20	فاس
63	فرنسا
108	قرطبة
114، 20	قسطنطينة

قشتالة	135
القصبة	164
قصر المشور	164
القلعة	20
القيروان	19
كاتالونيا	135
الكنائس	133
الكويت	ز
مازونة	94، 89، 28
متيجة	28
المدرسة التاشفينية	87
المدرسة الجديدة	87
المدرسة اليعقوبية	113، 88
مدرسة سيدي الحسن أبركان	101
المدية	28
المدينة	167، 61
مراكش	71، 64، 20
مرسيليا	134، 38
مسجد أبي الحسن	175
مسجد العباد السفلي	86
المسجد الكبير	88
مسجد أولاد الإمام	86، 34

86	مسجد سيدي إبراهيم
175	مسجد سيدي أبي الحسن
86	مسجد سيدي أبي مدين الغوث
33	مسجد سيدي بلحسن
61	المشرق الإسلامي
32	المشرق
182،63	مصر
156،19	معسكر
28	مغراوة
27، 24،22	المغرب الأدنى
132، 84، 82، 61، 22، 20، □، أ،	المغرب الإسلامي
162، 133، 122، 38، 29، 28، 27، 22، 20،19	المغرب الأقصى
87، 37، 30، 29، 24، 22، 21، 20، 19، 18، 17، ي، □، أ،	المغرب الأوسط--
187، 175، 165، 164، 163، 160، 114، 112، 93	
161، 129، 114، 112، 111، 89، 70، 67، 64، 38، 31، 20،19---	المغرب
61	مكة
88	مكتبة السلطان أبي زيان محمد الثاني
20	مليلية
135	مونبولي
182،18	ندرومة
17	نهر ملوية
32،20	هنين

23	الوادي الكبير
28،22	وادي ملوية
28	وجدة
20	ورجلان
92،28	الونشريس
156، 136، 114،20	وهران

خامسا: فهرس الدول والطوائف والقبائل

104	الأتراك
113	الأدارسة
104	الإسبان
136	الإسبان
39	الأشراف
39	الأعراب
63	الإفرنج
111	الأكراد
27	الأمويين
189	أهل الذِّمَّة
57،39	أهل الذمة
61	أهل السنة والجماعة
65،59	أهل السنة
132	أهل الكتاب
113	أولاد حمد
113	أولاد سيدي عبد الوهاب.
113	أولاد عنان.
113	أولاد محمد بن زيان
114، 111، 68،20	البربر
17	بنو الو
37	بنو توجين
17	بنو تومرت

بنو راشد	37،18
بنو زردال	37
بنو عبد الواد	95 ،68 ،37 ،17
بنو قاسم	17
بنو مرين	68
بنو مطهر	18
بنو ورهطف	17
بنو يانكين	17
بنو يفرن	37
بني العباس	67،61
بني حفص	29،28
بني حماد	20
بني زيان	112،102،35
بني عبد المؤمن	65،63
بني عبد الواد البربرية	27
بني عبد الواد	114، 112، 57،19
بني عبد الواد	122، 76، 67، 35،28
بني ماندوا	17
بني مرين	102، 71، 57، 23،17
بني مرين	100، 71، 39،28
بني ملاّ القرطبيين	156 ،108
بني هدية	188

17	بنو يلومي
111	التتار
164	توجين
27	دولة الأدارسة
71، 24، 21	الدولة الحفصية
74	الدولة العباسية
26	الدولة المرينية
156، 62، 58، 28، 27، 23، 18	الدولة الموحدية
22	دولة الموحدين
39	دولة بني زيري
21	دولة بني مرين
37، 22، 20، 17	زناتة البربرية
90	السنوسية
65	الصلبيين
20	صنهاجة
131	عائلة ابن مرزوق
131	عائلة ابن هدية
131	عائلة المازوني
17	عبد الواد
39	العجم
111، 37	العرب
188	العقبانيين

114	الفاطميون
27	الفاطميين
90	القادرية
24	القبائل البربرية
24	القبائل العربية
136	القطلانيين
136	الكاتالونيين
64	المرابطون
188	المرازقة
23	المرينيين
60	المستشرقين
132	المسلمين
154، 142	المسلمين
37	مغراوة
76	مكن
27	الموحدين
169، 159، 134، 132، 89، 61، 58، 56، 38	النصارى
159، 137، 134، 133، 132، 89، 58، 57، 56، 38	اليهود

الملاحق

الملحق رقم 01
جدول للسلطين الزيانين

الرقم	السلطان	فترة حكمه	المدة
01	أبو يحيى يغمراسن بن زيان	1235م/1282م	47 سنة
02	أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن	1282م/1303م	21 سنة
03	أبو زيان محمد بن عثمان الأول	1303م/1307م	4 سنوات
04	أبو حمو موسى الأول بن عثمان الأول	1307م/1318م	11 سنة
05	أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول.	1318م/1337م	19 سنة
06	دخول المرينيين الأول (أبو الحسن علي المريني).	1337م/1348م	11 سنة
07	أبو سعيد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي زكريا يحيى بن يغمراسن.	1348م/1352م	4 سنوات
08	أبو ثابت بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي زكريا يحيى بن يغمراسن.	1352م/1352م	سنة واحدة
09	دخول المرينيين الثاني (أبو عنان فارس المريني)	1352م/1359م	7 سنوات
10	أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن أبي زيد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن.	1359م/1389م	30 سنة
11	أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الثاني.		
12	أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني	1389م/1392م	3 سنوات
13	أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو موسى الثاني (ابن الزابية)	1393م/1394م	سنة واحدة
14	أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الثاني.	1394م/1399م	5 سنوات
15	أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو موسى الثاني.	1399م/1402م	3 سنوات

16	أبو عبد الله محمد الأول بن أبي حمو موسى الثاني(ابن خولة).	1402م/1411م	9 سنوات
17	عبد الرحمن الثالث بن أبي عبد الله محمد الأول.	1411م/1412م	سنة واحدة
18	السعيد بن أبي حمو موسى الثاني.	1412م/1412م	سنة واحدة
19	أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو موسى الثاني.	1412م/1424م	12 سنة
20	أبو عبد الله محمد الثاني بن أبي تاشفين الثاني (ابن الحمراء)	1424م/1428م	4 سنوات
21	أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو موسى الثاني(للمرة الثانية).	1428م/1430م	سنتان
22	أبو عبد الله محمد الثاني بن أبي تاشفين الثاني(للمرة الثانية)	1430م/1431م	سنة واحدة
23	أبو العباس أحمد المعتصم(العادل) بن أبي حمو موسى الثاني.	1431م/1461م	30 سنة
24	أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله بن أبي زيان بن أبي ثابت بن أبي تاشفين الثاني.	1461م/1468م	7 سنوات
25	أبو تاشفين الثالث بن أبي عبد الله محمد الثالث المتوكل.	1468م/1468م	سنة واحدة
26	أبو عبد الله محمد الرابع الثابت بن أبي عبد الله محمد الثالث المتوكل.	1468م/1505م	37 سنة
27	أبو عبد الله محمد الخامس بن أبي عبد الله الرابع الثابت.	1505م/1516م	11 سنة
28	أبو حمو الثالث بن أبي عبد الله محمد الرابع الثابت.	1516م/1517م	سنة واحدة
29	أبو زيان أحمد الثالث بن أبي محمد عبد الله.	1517م/1518م	سنة واحدة
30	أبو حمو الثالث بن أبي عبد الله محمد الرابع الثابت(للمرة الثانية).	1518م/1528م	10 سنوات
31	أبو محمد عبد الله الثاني بن أبي حمو الثالث بن أبي	1528م/1540م	12 سنة

		عبد الله الرابع.	
سنتان	1540م/1542م	أبو عبد الله محمد السادس بن أبي محمد عبد الله الثاني بن أبي حمو الثالث.	32
8 سنوات	1542م/1550م	أبو زيان أحمد الرابع بن أبي محمد عبد الله الثاني بن أبي حمو الثالث.	33
4 سنوات	1550م/1554م	الحسن بن أبي محمد عبد الله الثاني بن أبي حمو الثالث (آخر ملوك الدولة الزيانية).	34

الملحق رقم 02

جدول يمثل الانتماء الجغرافي لقضاة حاضرة تلمسان

اسم القاضي	تلمساني	من خارج تلمسان	مجهول الانتماء
أبو الحسن بن اللجام			##
أبو عبد الله المدكالي			##
أبو عبد الله بن مروان			##
أبو مهدي بن عبد العزيز	##		
إبراهيم بن علي بن يحيى			##
أبو زكريا يحيى بن محمد بن عصفور	##		
أبو زكريا بن عبد العزيز	##		
أبو عبد الله بن عبد العزيز	##		
أبو عبد الله بن أبي عمرو التميمي		##	
أبو عبد الله بن هدية	##		
أبو علي بن هدية	##		
أبو علي الحسيني		##	
أبو العباس بن المشوش	##		
أبو العباس المديوني	##		
أبو عثمان العقباني	##		
أبو الحسن المقرئ	##		

الملحق رقم 03

جدول بأسماء من تولوا مهام صاحب الأشغال بالدولة الزيانية

السنوات	تحت ولاية	صاحب الأشغال
633-681هـ 1235-1282م	يغمراسن بن زيان	عبد الرحمن بن محمد بن الملا
681-703هـ 1282-1303م	أبو سعيد عثمانين يغمراسن	-منذيل بن المعلم -أبو عبد الله محمد بن مسعود
703-707هـ 1303-1307م	أبو زيان ابن أبي سعيد	أبو المكارم منذيل بن محمد بن المعلم
707-718هـ 1307-1318م	أبو حمو بن أبي سعيد	أبو عبد الله محمد بن سعود أبو المكارم منذيل بن محمد
718-737هـ 1318-1336م	أبو تاشفين بن أبي حمو	أبو عبد الله محمد بن سعود أبو المكارم منذيل بن محمد
760-791هـ 1358-1389م	أبو حمو موسى الثاني	أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحيم يحيى بن أبي العيش الخزرجي التلمساني محمد قضيب الرصاص

المرجع: خالد بلعربي، ورقات زيانية، ص66.

الملحق رقم 04

رسالة المغيلي إلى سلطان كانو بخصوص حفظ الشرائع

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو وفقه الله، ...أمّا بعد:

فإنّك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من درع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، إنه لا بد من ردع المفاصد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد من فساد مع إمكان ردعه عنه بسببه أو لعنه أو طعنه، أو حبسه أو ضربه أو صلبه، أو قتله أو أخذ ماله أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية، فلكل داء دواء، ولكل مقام مقال، وبحسب ما يظهر من الأحوال، فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعمد ذلك، ولم ينته عنه، لأنّ ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله .

وامنع جميع أهل بلادك من جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر، وأكل الميتة والدّم وغير ذلك من المحرمات، وامنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك كله بين المسلمين في الأسواق والمنازل والمحلات.

فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر رمضان أو زنا، وغير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان، لاسيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى وأصلهم كان كذلك.

وقد قال العلماء الرجوع إلى الأصل، يكون بأدنى سبب فإنهم عن ذلك كله وأشهر إنكاره وتوعد بالعقوبة من فعله، ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده أو رجله أو صلبه أو قتله، أو غير ذلك من الروادع الشرعية، فافعله لأنه ظالم، والظالم أحق أن يحمل عليه.

ولكن لا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه إلا إذا رأيت أنه لا يرجع بغيره، مثال ذلك من لم ينته من الناس من عمل الناس إلا بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم، أو أجلادهم أو يبيع الكفار منهم، أو غير ذلك فافعله ولا تبال.

ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينبه عليه إلا بأخذه منه أو بيعه عليه فافعل، ولا تبال، وكذلك من يغش بمسحاة ناقصة وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها، فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين، وأمّا من لم يغش بها ولا أبى أن ينتهي فمره باصلاحها إن أراد المعاملة.

وكذلك من يتلقى ما يأتي للسوق من طعام وغيره فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله ليكون بيعه على يديه، لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد) متفق عليه. وإن لم ينتهوا إلا بنفيهم أو أخذ ذلك منهم فافعل.

لأن مقصد الشارع في الروادع: درء المفاسد وجلب المصالح، بحسب الإمكان في كل زمان ومكان، وليس الخير كالعيان، ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز (تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور).

ولابد من إزالة الفساد على كل حال، (وإن تعارضت مفسدة ومصلحة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدرؤ المفسدة الكبرى أولى،
وإن تعرضت مفسدتان إحداهما دينية والأخرى دنيوية، فدرء الدنيوية أولى.

هذا الذي بينا يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر وغيرها، واعلم أن الناس في
حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عبدا ولا شريفا ولا اميرا، وأقم
حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى، ومن عارضك في شيء من ذلك
فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وإن لم يكن إلا بقطع يده أو رجله أو نفيه أو صلبه
فافعل ولا تبال ...

الله الله وهذه الوصية أؤكد جميع الوصايا، اما يكفيكم باسم السلطنة فتكونوا
مذبذبين ترجون رحمة الله ثم تظلمون باسم الشرع حتى تكونوا كفارا، والكافر لا
نصيب له من رحمة الله .

فظهر مقام الشريعة من الخبث، لأنه مقام رسول الله ﷺ، لعل الله أن يغفر لك
ذنوبك جميعا، والسلام على من اتبع الهدى، كتبها سنة ثمانمائة وسبعة وتسعون
هجرية (897هـ الموافق لـ 1492م).

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، ص ص 71-75.

الملحق رقم 05

"وثيقة تقديم محتسب "

قدم قاضي بلد كذا وعمله وفقه الله فلان على النظر في الحسبة بالبلد المذكور والقيام بمصالحها وتفقد مكاييلها وموازينها، والبحث عن يغش الناس فيها. أو يضر بهم في تلقي ما يجلب من السلع للأسواق والأضرار بالاحتكار وادخال ما يضر بالناس في طرقاتهم ، والحكم سند اليه الحكم في ذلك كله بالحق وتوخي سبيل العدل والصدق، تقديمًا تامًا أسنده اليه وقصر النظر فيه عليه بعد أن ثبت عنده من معرفته بما قدم اليه ونفوذه فيه، من بصره بمعانيه مع خبره في نفسه واعتداله في أمره ما أوجب ذلك فليجر نظره بحكم هذا التقديم في ذلك كثير من ذلك والقليل على الذرة والفيل، وعلى الحاضر والباد ويتصرف في جميع ذلك بموجب السنة على القانون المعتاد تقديمًا سوغه له وأمضاه على حسب نصه ومقتضاه قبله منه والتزم به جهده . شهد واكتمل.

(المازوني، قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود)(ورقة 144

وجه).

الملحق رقم 06

حول التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم أنّ السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة، يستعين بها على أمره إلا أنّ الحاجة في أوّل الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشدّ من الحاجة إلى القلم، لأنّ القلم في تلك الحال خادم فقط منقذ للحكم السلطانيّ والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتهما كما ذكرناه ويقلّ أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدّمناه فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن أوّل الأمر في تمهيدها فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها وأكثر نعمة وأسنى إقطاعا.

وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنّه قد تمهّد أمره ولم يبق همّه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة إلى تصرّيفه وتكون السيوف مهمة في مضاجع أعمادها إلا إذا أنابت نائبة أو دعيت إلى سدّ فرجة، ومما سوى ذلك فلا حاجة إليها فتكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر إليه ترددا وفي خلواته نجيا لأنّه حينئذ آتاه التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله ويكون الوزراء حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على أنفسهم من بوارده. وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم للمنصور حين أمره بالقدوم أمّا بعد فإنّه ممّا حفظناه من وصايا

الفرس أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدّهماء سنّة الله في عباده والله سبحانه وتعالى أعلم.

ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2020، ص
ص 200، 201.

الملحق رقم 07

حول شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم أنّ للسلطان شاراتٍ وأحوالا تقتضيها الأبهة والبذخ فيختصّ بها ويتميّز بانتحالها عن الرعيّة والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ".

فمن شارات الملك اتّخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنّفخ في الأبواق والقرون، وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه في السياسة أنّ السرّ في ذلك إرهاب العدوّ في الحرب فإنّ الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالرّوعة ولعمري إنّه أمر وجدانيّ في مواطن الحرب يجده كلّ أحد من نفسه وهذا السّبب الذي ذكره أرسطو إن كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات. وأمّا الحقّ في ذلك فهو أنّ النفس عند سماع النّغم والأصوات يدركها الفرّ والطّرب بلا شكّ فيصيب مزاج الرّوّا نشوة يستسهل بها الصّعب ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتّى في الحيوانات العجم بانفعال الإبل بالحداء والخيّل بالصّفير والصّريح كما علمت ويزيد ذلك تأثيرا إذا كانت الأصوات متناسبة كما في الغناء وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى لأجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية لا طبلا ولا بوقا فيحرق المغنّون بالسلطان في موكبهم بآلاتهم ويغنون فيحرّكون نفوس الشّجعان بضربهم إلى الاستماتة ولقد رأينا في حروب العرب من يتغنّى أمام الموكب بالشعر ويطرب فتجيش همم الأبطال بما فيها ويسارعون إلى مجال الحرب وينبعث كلّ قرن إلى قرنه وكذلك زناتة من أمم المغرب يتقدّم الشاعر عندهم أمام الصّفوف ويتغنّى فيحرّك بغنائه الجبال الرّواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظنّ بها ويسمّون ذلك الغناء تاصوكايت وأصله كلّ فرّ يحدث في النفس فتنبعث عنه الشّجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرّ والله أعلم وأمّا تكثير الرايات وتلوينها وإطالتها فالقصد به التّهويل لا أكثر وربّما تحدث في النفوس من التّهويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلويناتها غريبة والله الخلاق العليم.

ثم إنّ الملوك والدّول يختلفون في اتّخاذ هذه الشّارات فمنهم أكثر ومنهم مقلّ بحسب اتّساع الدّولة وعظمتها فأما الرّايّات فإنّها شعار الحروب من عهد الخليقة ولم تنزل الأُمم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النّبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء. وأما قرع الطّبول والنّفخ في الأبواق فكان المسلمون لأوّل المّلّة متجافين عنه تنزّها عن غلظة الملك ورفضاً لأحواله واحتقاراً لأبّهته التي ليست من الحقّ في شيء حتّى إذا انقلبت الخلافة ملكاً وتبجّحوا بزهرة الدّنيا ونعيمها ولا بسهم الموالي من الفرس والروم أهل الدّول السّالفة وأروهم ما كان أولئك ينتحلونه من مذاهب البذخ والتّرف فكان ممّا استحسنوه اتّخاذ الآلة فأخذوها وأذنوا لعمّالهم في اتّخاذها تنويهاً بالملك وأهله فكثيراً ما كان العامل صاحب الثّغر أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العبّاسيين أو العبيديين لواءه ويخرج إلى بعثه أو عمله من دار الخليفة أو داره في موكب من أصحاب الرّايّات والآلات فلا يميّز بين موكب العامل والخليفة إلّا بكثرة الألوية وقلّتها أو بما اختصّ به الخليفة من الألوان لرأيته كالسّواد في رايّات بني العبّاس فإنّ رايّاتهم كانت سوداً حزناً على شهدائهم من بني هاشم ونعياً على بني أميّة في قتلهم ولذلك سمّوا المسوّدة، ولمّا افترق أمر الهاشميين وخرج الطّالبيّون على العبّاسيين من كلّ جهة وعصر ذهبوا إلى مخالفتهم في ذلك فاتّخذوا الرّايّات بيضا وسمّوا المبيضة لذلك سائر أيّام العبيديّين ومن خرج من الطّالبيّين في ذلك العهد بالمشرق كالذّاعي بطبرستان وداعي صعدة أو من دعا إلى بدعة الرّافضة من غيرهم كالقرامطة. ولمّا نزع المأمون عن لبس السّواد وشعاره في دولته عدل إلى لون الخضرة فجعل رايّته خضراء. وأما الاستكثار منها فلا ينتهي إلى حدّ وقد كانت آلة العبيديّين لمّا خرج العزيز إلى فتح الشّام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الأبواق. وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يختصّوا بلون واحد بل وشّوها بالذهب

واتَّخذوها من الحرير الخالص ملوَّنة واستمروا على الإذن فيها لعمَّالهم حتَّى إذا جاءت دولة الموحَّدين ومن بعدهم من زناتة قصروا الآلة من الطَّبُول والبنود على السُّلطان وحظروها على من سواه من عمَّاله وجعلوا لها موكبا خاصَّا يتبع أثر السُّلطان في مسيره يسمَّى السَّاقَة وهم فيه بين أكثر ومقلَّ باختلاف مذاهب الدَّول في ذلك فمنهم من يقتصر على سبعة من العدد تبرَّكا بالسَّبعة كما هو في دولة الموحَّدين وبني الأحمر بالأندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة وقد بلغت في أيَّام السُّلطان أبي الحسن فيما أدركناه مائة من الطَّبُول ومائة من البنود ملوَّنة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير ويأذنون للولاة والعمَّال والقوَّاد في اتِّخاذ راية واحدة صغيرة من الكتَّان بيضاء وطبل صغير أيَّام الحرب لا يتجاوزون ذلك وأمَّا دولة التُّرك لهذا العهد بالمشرق فيتَّخذون راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشَّعر يسمونها الشَّالْشوالْجتر وهي شعار السُّلطان عندهم ثم تتعدَّد الرِّايَات ويسمونها السَّناجق واحدها سنجق وهي الرِّاية بلسانهم. وأمَّا الطَّبُول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبيحون لكلَّ أمير أو قائد عسكر أن يتَّخذ من ذلك ما يشاء إلَّا الجتر فإنَّه خاصٌّ بالسُّلطان. وأمَّا الجلالقة لهذا العهد من أمم الإفرنجة بالأندلس فأكثر شأنهم اتِّخاذ الألوية القليلة ذاهبة في الجوّ صعدا ومعها قرع الأوتار من الطَّنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعمَّن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السَّمَاوَات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ".

ابن خلدون، المقدمة، ص ص 202، 203.

الملحق رقم 08

نص حول الوظائف السلطانية عهد بني زيان

فالوزير واسطة بين الملك والعامّة ومعيّنه بالرأي ونائبه في قيادة الجيش ان لم يركب هو ولا ولي عهده. والحاجب هو صاحب الباب يأذن بالدخول للملك عن أمره. ويلقب بلسان زنّاة المزوار.

والكاتب يعرض على الملك كل يوم ما ورد من الرسائل ويتلقّى أوامره بالجواب عنها وبعقد الولايات وغيرها من شؤون الحكومة.

وصاحب الاشغال له النظر المطلق في الدخل والخرج. والعمال نوابه في الجهات يؤدون اليه جبايات أعمالهم ولكن توليتهم من الملك.

والقواد رؤساء فرق الجند. وصاحب الشرطة يتولى النظر في التهم على الجرائم ومباشرة تنفيذ الحكم على أهلها.

فالحكومة الزيانية تتألف من عناصر السيف والقلم والمال والعلم.

فمن مشاهير رجال السيف غير بني زيان هلال القطلوني وموسى بن علي الكردي ويحيى بن موسى السنوسي وعبد الله بن مسلم الزردالي وبنو مقن.

فأما هلال فعلى اهداه ابن الأحمر الى عثمان الاول. وصار الى ابي حمو. فاعطاه وولده ابا تاشفين، فكان من خواصه ومن كبار المغرّين له بابيه. فلما قتله ولاء حجابته، وكان مهيبا فظا غليظا استولى على أمر السلطان وزحزح منافسيه عن مناصبهم، ثم أخذ السلطان يخفض من صوت صولته حتى عزله سنة 29 واعتقله إلى أن هلك سجيناً قبيل فتح ابي الحسن تلمسان.

وأما موسى فمن بيت نبيه في الأكراد، فروا أمام النتر، ونزلوا على المرتضى
بمراكش، فأكرم مثواهم، وبعد دخول مرين مراكش تفرقوا في تلمسان وتونس، وبقي
جمع منهم مع مرين، ونشأ موسى هذا بين حرم السلطان يوسف حتى اذا نزل
محاصرا لتلمسان أغضبه ذات يوم، فلحق بعثمان الاول. فعرف فضله، وبالع في
اكرامه....

محمد مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص157.

الملحق رقم 09
وثيقة تحبیس علی مسجد أبي الحسن بتلمسان

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسلیمًا، بُني هذا المسجد للأمير أبي عامر ابراهيم بن السلطان أبي يحيى يغمراسن
بن زيان في سنة ستة وتسعين وستمائة بعد الألف، من بعد وفاته رحمه الله، وحبس
لهذا المسجد عشرون حانوتا، منها بحائط قبلته أربعة عشر، وأمامها ستة أبوابها
تنظر للجوف، ومصراعيه بغربي المسجد، على الدرب، وداران اثنتان بغربيه، الواحد
لسكن إمامه، والثانية لسكن المؤذن القيم بخدمته وآذانه، تحبسا تاما مؤبدا، احتباسا
لوجه الله العظيم، ورجاء ثوابه الجسيم، لا اله إلا هو الغفور الرحيم.

(Ch)Brosselard، « Les Inscriptions Arabes De Tlemcen: Mosquée
Aboulhacen ou Bel Hacen ». in RevueAfricaine، 3^(éme) Année،
N 15،Fevrier1859،p p 162-163.

الملحق رقم 10

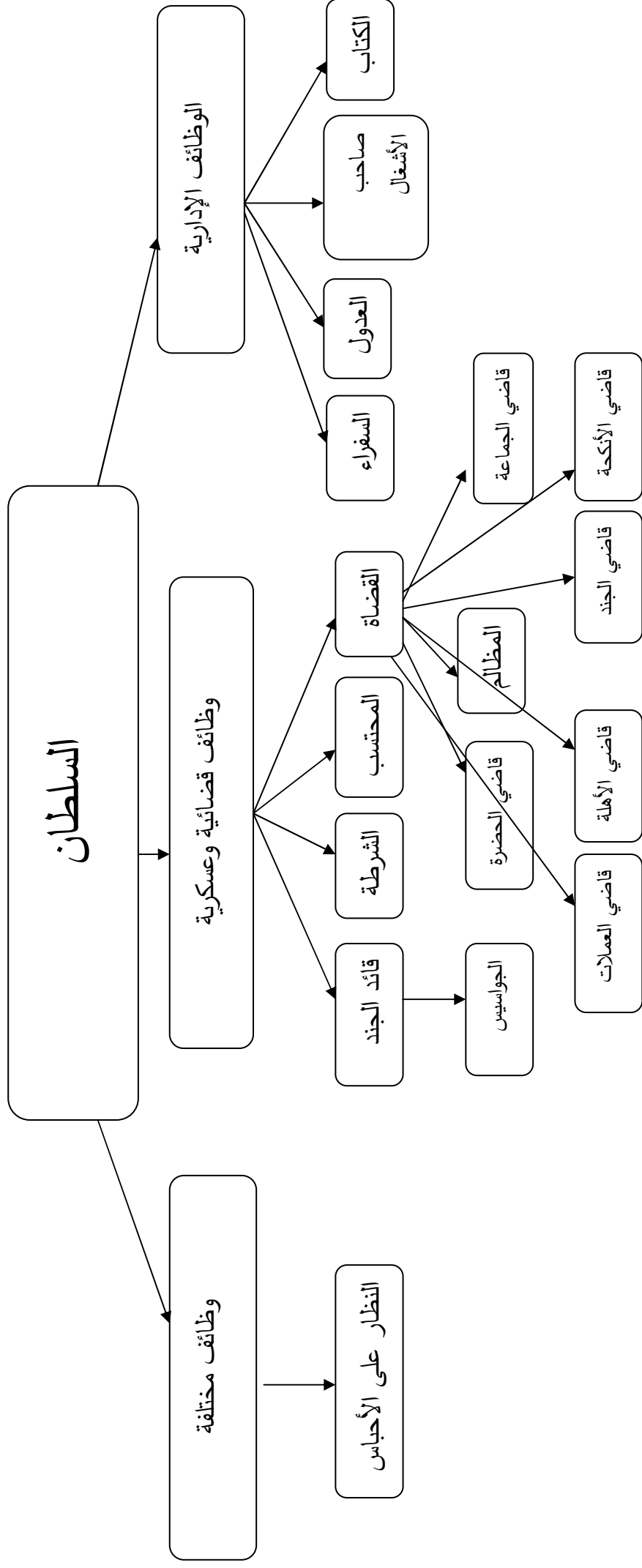
نص في سياسة الوزراء وسيرهم

إعلم أن السلطان يحسن ذكره ويعلو قدره بالوزير إذا كان صالحا كافيا عادلا، لأنه لا يمكن أحدا من الملوك أن يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير، ومن انفرد برأيه ضل لغيره، الا ترى أن النبي عليه السلام مع جلاله قدره وعظم درجته وفصاحته ، أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه... فإن لم يستغن الأنبياء عليهم السلام كان غيرهم من الناس أحوج....

وينبغي أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهي: متى ما اختار أن يراه لا يمنعه عنه، وأن لا يسمه في حقه كلام مفسد، وأن لا يكتم عنه شيئا من سره، لأن الوزير الصالح سر السلطان، ومدير أحوال المملكة وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيئة والقدرة، وله الكلام على الأعمال واستماع الاجوبة ، وبه يكون سرور الملك وقمع اعدائه، وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر، وتعظيم الأمر....

وينبغي للوزير أن يكون مائلا للخير، متوقيا عن الشر.. واعلم أن دوام الملك بالوزير، ودوام الدنيا بالملك، وينبغي أن يعلم أنه لا يجوز له أن يهتم بغير الحق، ويعلم انه أول انسان يحتاج اليه السلطان.

الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص ص 272-273.



البيليو غرافيا

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.

* المخطوطات:

- ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد الخطيب (ت: 781هـ / 1379م): المجموع، مخطوط (ميكروفيلم) تحت رقم: 20، الخزانة العامة، الرباط، و10.
- المازوني (موسى بن عيسى)، قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود، مخطوط بمكتبة زاوية علي بن عمر، طولقة، مخ ج124 خ252ع، ورقة 144و.

* المصادر المحققة:

1. ابن الأحمر الأنصاري: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
2. الأشعري (أبو الحسن) (ت: 330هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، د. م، د. ط، 1990.
3. البكري الأندلسي (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) (ت: 487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تقديم وتح: رحماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.
4. التتبكتي (أحمد بابا) (ت: 1032هـ / 1624م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المملكة المغربية، ط1، 2000م.
5. التتبكتي (أحمد بابا) (ت: 1032هـ / 1624م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م.
6. التنسي (محمد بن عبد الله): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه: محمود بوعباد، (سلسلة النصوص

- والدراسات التاريخية 6)، إصدارات المكتبة الوطنية، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ / 1985م.
7. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج): كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح: عبد العزيز الراحي الصاعدي، د. م، د. ط، 1993م.
8. الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس)، كتاب الوزراء والكتاب، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1938، ص57.
9. الحفناوي (أبو القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012.
10. ابن الخطيب (لسان الدين): ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1981م.
11. ابن الخطيب (لسان الدين) (ت: 776هـ): كناسة الدكان (حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري)، تح: محمد كمال شبانة، ومراجعة: حسين محمود، وزارة الثقافة، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ط، د. ت.
12. ابن خلدون (أبو زكريا يحيى): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، ببيير فونطانا الشرقية، الجزائر 1903م.
13. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن): التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، 1951.
14. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت: 808هـ / 1406م): المقدمة، (نسخة محققة لنوان بإخراج جديد)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003.
15. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت: 808هـ / 1406م): تاريخ ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، د ط، 2000م.

16. ابن الخطيب (لسان الدين) (ت: 776 هـ) : كناسة الدكان (حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري) ، تح: محمد كمال شبانة، ومراجعة: حسين محمود، وزارة الثقافة، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ط، د. د. ت.
17. الزياتي (أبو حمو موسى الثاني) : واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح وتعليق: محمود بوترعة، دار الشيماء للنشر والتوزيع، نقاوس، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، د. ط، 2012م.
18. ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) (ت: 685 هـ) : كتاب الجغرافيا، تح وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.
19. الشماع الهنتاتي (محمد بن أحمد) : الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية، تعليق: عثمان الكعاك، تونس، لجنة الطلبة للنشر والتعريب، مطبعة العرب 1355هـ / 1936م.
20. الصابي (أبو الحسين هلال بن المحسن) (ت: 448 هـ) : رسوم دار الخلافة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د. د. ت.
21. الطليطلي (أحمد بن مغيث) (ت: 459هـ / 1067م) ، المقنع في علم الشروط، وضع حواشيه ضحى الخطيب، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
22. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال، وج. س. كولان، دار الثقافة، لبنان، 1983.
23. العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد البلسني) (ت أواخر القرن 7 هـ) : الرحلة المغربية، تح: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د. د. ت.

24. الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله) (ت: 704هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
25. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد) (ت: 505هـ / 1111م): التبر المسبوك في نصيحة الملوك المعروف بنصيحة الملوك، دراسة وتح: محمد أحمد دمج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987م.
26. الفراء (محمد بن الحسين، أبو يعلى): الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 2000.
27. الفراء (محمد بن الحسين، أبو يعلى): الأحكام السلطانية، تع: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1403هـ/1983م).
28. ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 2005.
29. القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرّ الأنصاري) (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م.
30. القلصادي (أبو الحسن علي): رحلة القلصادي، دراسة وتح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
31. القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 14ج، 1994م.
32. القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، قدمه: فوزي محمد أمين، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2005.

33. المازوني (أبي زكريا يحيى بن موسى): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتح: قندوز ماحي، قرأه وصححه: محند أودير مشنان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 1433هـ / 2012م.
34. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) (ت: 450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: القاضي نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
35. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب): أدب الوزير (قوانين الوزارة وسياسة الملك)، مطبعة دار العصور، القاهرة، د. ط، 1992م.
36. ابن مخلوف (محمد بن محمد بن قاسم): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، اعتنى به وخرج آياته: عبد الغني مستو وجمال أحمد حسن، محمد العرب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1435هـ / 2014م.
37. ابن مرزوق التلمساني (محمد): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خوسيسيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.
38. ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد الخطيب (ت: 781هـ / 1379م)، المناقب المرزوقية، دراسة وتح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاة الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2008م.
39. ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد): البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، نشر محمد بن أبي شنب، تقديم: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.
40. المرادي (أبو بكر محمد)، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
41. المراكشي، محي الدين عبد الواحد (ت: ق7هـ / 13م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.

42. المزاري (الأغا بن عودة): **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، وهران، الجزائر، 1990م.
43. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): **التنبيه والإشراف**، مراجعة: عبد الله إسماعيل الصادق، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، 1357هـ / 1938م.
44. المعسكري الجزائري (محمد بن أحمد بن عبد القادر أبو راس الراشدي الجليلي) (ت: 1238هـ): **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تح: محمد عالم، منشورات GASC، الجزائر، 2008م.
45. المغيلي التلمساني (محمد بن عبد الكريم): **رسالة في الغلائف**، تح: مبروك مقدم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2016.
46. المغيلي (محمد بن عبد الكريم): **مدونة نازلة يهود توات**، تح: مقدم مبروك، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
47. المغيلي (محمد بن عبد الكريم التلمساني): **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين**، تح: محمد خير الدين رمضان يوسف، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ، 1994م.
48. المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني) (ت: 1041هـ): **نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.
49. مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في أخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979.
50. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله)، **تاريخ قضاة الأندلس**، تح: لجنة إحياء التراث، لبنان، ط5، 1983م.

51. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله)، تاريخ قضاة الأندلس، تح: مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
52. الورثيلاني (الحسين بن محمد)، الرحلة الورثيلانية المسماة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2008.
53. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) (ت: 957هـ): وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
54. الونشريسي (أبو العباس أحمد): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981.
55. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى)، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق في آداب الموثق وأحكام الوثائق، تح لطيفة الحسني، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، 1997.
56. الونشريسي (أحمد بن يحيى)، وفیات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، د. ط، د. ت.
57. اليعصبي البستي (القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبو الفضل) (ت: 544هـ / 1149م): إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع؛ المنصورة، ط1، 1998م.

❖ المراجع العربية والمعرية:

1. الألباني (محمد ناصر الدين): السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، [د. ط]، [د. ت].
2. الألباني (محمد ناصر الدين): سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ / 1992م.

3. البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله) : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط3، 1407هـ / 1987م.
4. البغدادي (أحمد بن علي أبو بكر الخطيب) : تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، [د. ط]، [د. ت] .
5. بلعربي (خالد) : ورقات زيانية: دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، (1435هـ / 2014م) .
6. بلعربي (خالد بلعربي) : إضاءات حول تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، النشر الجامعي الجديد، 2018.
7. بلعربي (خالد بلعربي) : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية حضارية)، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
8. بوتشيش (إبراهيم القادري) : خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2014م.
9. بوركة (محمد) : الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية، دار الكفاية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
10. بوزياني (الدراجي) : أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للنشر والدراسات والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
11. بوزياني (الدراجي) : نظم الحكم في دولة بن عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
12. بونار (رابح) : المغرب العربي تاريخه وثقافته، (سلسلة ذخائر المغرب العربي)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، (طبعة جديدة منقحة ومزودة)، د. ط، 2019م.

13. التازي (عبد الهادي): التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م.
14. تواتي (حسين): الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية" الكتابة أنموذجا"، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017م.
15. ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
16. الجابري (د. محمد عابد): العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2000م.
17. الجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر) (ت: 255هـ)، التاج في أخلاق الملوك، دار صعب، بيروت، لبنان، ط1، 1970.
18. الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
19. ابن الحداد (محمود بن منصور بن حبش): الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تح: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983م، ص62.
20. حاجيات (د. عبد الحميد): أبو حمو موسى الثاني الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م.
21. حساني (د. مختار): تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، د. ط، 2007م.
22. حمادي الإدريسي (عبد الله): ابن عبد الكريم المغيلي فقيه تلمسان وإصلاحاته بصحراء توات وممالك غرب السودان (سلسلة تاريخ وحواضر وأعلام الجنوب الغربي الجزائري)، دار كوكب للعلوم والنشر، الجزائر، ط1، 2019م.

23. حميش (د. عبد الحق): سير أعلام تلمسان، (ضمن منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011)، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م.
24. الدوري (د. عبد العزيز): النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
25. بن الذيب (عيسى): وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ط1، 2007.
26. الرفاعي (أنور): النظم الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا، د. ط، 1973، ص70.
27. أبو زهرة (محمد)، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، لبنان، د ط، د. ت، ص22.
28. الزهري (أبو عبد الله) (ت: منتصف القرن 6 هـ): كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.
29. زيدان (جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط، 1967م.
30. زينب (لخضر): طبقة القضاة في مجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 7_9هـ/13_15م، بحث منشور ضمن كتاب: طبقات مجتمع المغرب الأسط: قراءة في الموروث والذهنيات، النشر الجامعي الجديد، ط1، 2018، ص88.
31. السامرائي (عبد الحميد حسين أحمد): تاريخ وحضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين، دار شموع الثقافية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 2002م.
32. السنوسي (أبو عبد الله محمد بن يوسف): شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: مصطفى الغمازي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1989م.

33. سعد الله (د. أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
34. الشيباني (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل): مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ط، د. ت.
35. الشيخ (عبد اللطيف): التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي، المجمع الثقافي - أبو ظبي، ط1، 2004، ص11 وما بعدها .
36. شاوش (الحاج محمد بن رمضان): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2011م.
37. شقير (محمد)، المراسيم السياسية بالمغرب بين العصرية والتحديث من ق 3 ق م إلى ق 21، افريقيا الشرق، المغرب الأقصى، 2006.
38. صفي الدين (بلال): أهل الحل والعقد في نظام الحكم الإسلامي، دار النوادر، سوريا، د. ط، 1429هـ.
39. الطمار (محمد بن عمرو): تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، تقديم: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007م.
40. أبو العينين (عبد الفتا): القضاء والإثبات في الفقه الإسلامي، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ط1، 1983م.
41. عبدلي (لخضر): تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان. دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2011م.
42. العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل): فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، 1379هـ.
43. عزاوي (أحمد): العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات وإتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة الرباط، المغرب، ط1، 2011.

44. الفارابي (أبو نصر): كتاب السياسة المدنية، تح: فوزي نجار، دار الكتب، بيروت، ط1، 1963م.
45. الفاوي (عبد الفتاح أحمد): التصوف عقيدة وسلوكا، مكتبة الزهراء القاهرة، د. ت.
46. فيلال (د. عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
47. القرضاوي (د. يوسف): التربية السياسية عند الإمام حسن البنا، مكتبة وهبة، القاهرة، 2007.
48. قريان (عبد الجليل)، تاريخ العلوم العقلية بالمغرب الإسلامي في العصر الزياني، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، ط1، 2020م، ج1، ص130.
49. قريان (عبد الجليل): حركة التأليف بتلمسان في العهد الزياني، ضمن كتاب: أبحاث في التاريخ الحضاري بالغرب الاسلامي الوسيط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، ط1، 2020م.
50. قسوم (عبد الرزاق): عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.
51. القضاعي (محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله): مسند الشهاب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ / 1986م.
52. الكعك (عثمان): موجز التاريخ العام للجزائر، تقديم ومراجعة: أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.
53. لقبال (د. موسى) وبورويبة (د. رشيد) وحاجيات (د. عبد الحميد) ودهينة (د. عطاء الله) وبلقراد (د. محمد): الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج3.
54. مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت.

55. ملاك (لمين): علم التوثيق من ق7هـ / 13م الى ق10هـ / 16م "المغرب الأوسط أنموذجا"، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017.
56. موسى (عز الدين عمر): النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ / 2002م.
57. وات (وليم مونتغمري): الفكر السياسي الإسلامي: المفاهيم الأساسية، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحداثة، بيروت، 1981م.
58. ولد دادة (محمد): مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع، دراسة في التاريخ السياسي، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1977.

مراجع أجنبية:

1. Dufourcq charles Emmanuel, l'epagne catalane et le maghreb au 13 siecle- de la bataille de las navas de tolosaa' l'avenement du sultan merini de abou – l-hasan, presses universitaire de france, paris, 1966.
2. Attallah Dhina, les Etats de l'occident musulman au 13^{eme}- 14^{eme} et 15^{eme} siecles, institutions gouvernementales et administratives, office des publications universitaires ,alger, 1984.

المقالات العربية:

1. جميلة معتوق، المولدية الزيانية في الخطاب المدحي النبوي الجزائري القديم، قراءة تداولية بين مولدية أبي حمو موسى (791هـ) والثغري (أواخر القرن الثامن هجري)، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، العدد 40، ص206.

2. حسام صلاحي، الجيش الزياني ودوره في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، العدد4، جويلية 2020، ص62.
3. حسية عمروش، شعر المولديات والمديح النبوي في البلاط الزياني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 08، ع01، جوان 2017، ص286.
4. حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1954م، مج6، ع3، رسالة رقم1، ص113.
5. خالد بلعربي، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الثانية، ع: 06، ديسمبر (2009 م)، ص33.
6. خالد بلعربي، دور الشرطة في استتباب الأمن بالمغرب الأوسط" العهد الزياني أنموذجاً"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع: 10، ص ص 35-44.
7. شاوش محمود، الألقاب الموحدية في حضارة المغرب الإسلامي، مجلة عصور جديدة، ع21-22، ماي 1437هـ / 2016م، ص153.
8. صيرة عزرودي، الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 6، ديسمبر 2014، ص320.

9. عبد الحفيظ حيمي، نظرة على العيون والجواسيس في بلاد المغرب الإسلامي من ق 3 إلى إلى 5هـ / 10-12م، مجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون ، تيارت، مج7، ع1، ديسمبر 2014، ص92.
10. عبد الصمد حمزة، محمد بوركبة، الحضور السياسي لأهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة وهران 1، مج5، ع12، ديسمبر 2017، ص10.
11. عبد القادر طويلب، أحمد الحمدي، السياسة المالية للدولة الزيانية بين التنظير والواقع من خلال كتاب أبي حمو موسى الثاني واسطة السلوك في سياسة الملوك، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت، مج5، ع1، يناير 2022، ص319 .
12. عبد القادر فكائر، الاحتفالات الدينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني من خلال المسند الصحيح لابن مرزوق التلمساني، دورية كان التاريخية، السنة12، ع45، سبتمبر 2019، ص179.
13. عمر العمري، مساهمة في دراسة بعض قضايا الفكر في الغرب الإسلامي: قراءة مصدريّة لمسألة الإقصاء الفكري، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، مج 1، ع1، جوان 2020م، ص33.

- 14.** فطيمة مطهري، منكرات السوق وأحكامها في تلمسان من خلال تحفة الناظر وغنية الذاكر لمحمد العقباني التلمساني، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، ديسمبر 2018، ص90.
- 15.** فؤاد طوهارة، جوانب من الحياة الفكرية والعلمية في حاضرة تلمسان خلال العصر الزياني، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط "الجزائر"، جامعة الجزائر 2، العدد 6، السنة 2015م، ص200.
- 16.** لاغة عمارية، علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الزيانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ج5، ع12، ص201.
- 17.** محمد بن عميرة، تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، مجلة دراسات تراثية، العدد 1، 2007م، جامعة الجزائر، ص14.
- 18.** مفتاح خلفات، المرأة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني: قراءة في الحضور العسكري والسياسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج5، ع1، جوان 2017، ص59.
- 19.** نجا القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، الجمهورية العراقية، ع19، 1981م، ص195.
- 20.** نور الدين غرداوي، التحديات للجزائر (المغرب الأوسط) خلال العهد الزياني، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جويلية 2019، ص55.

21. هشام المتوكل: الألقاب السلطانية: دلالاتها ووظائفها خلال العصر الوسيط ما بين

القرنين 2 و5هـ/ 8 و11م، مجلة التراث، ع1، مج10، أبريل 2020، ص358.

22. هشام المتوكل، الألقاب السلطانية دلالاتها ووظائفها بالغرب الإسلامي خلال

عصري المرابطين والموحدين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، يناير 2016م، ص45.

23. هوارية بكاي: العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني بين

التعايش والتصادم، مجلة القرطاس، ع3، جانفي 2017م، ص86.

الموسوعات والمعاجم:

1. أنيس (د. إبراهيم)، وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1973م.

2. الجرجاني (علي بن محمد): التعريفات، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، د. ط، د. ت.

3. الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد): تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه: أنس محمد الشامي، وآخر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2009م.

4. الجوهري (إسماعيل بن حماد): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م.

5. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

6. الزبيدي (محمد مرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، د. ط، د. ت.

7. السيوطي (جلال الدين)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، (1399هـ / 1979م)، ج1، ص544.
8. الغنيمي (عبد الفتا مقلد) : موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.
9. الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط8، 2005م.
10. ابن منظور (محمد بن مكرم الأفريقي المصري) : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، [د. ت].
11. نويهض (عادل) : معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1982.

الرسائل الجامعية:

1. الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004 / 2005م.
2. آمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين - 14/13م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر، 2015/2016م.
3. بوداوية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، (2005 / 2006م).
4. بوشقيف محمد: تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8 - 9هـ / 14 - 15م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2010م / 2011م.

5. رضا رافع، المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحي، أطروحة دكتوراه في العلوم، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2016/2017م.
6. سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الجزائر، 2008م.
7. عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة في الغرب الإسلامي من (ق2هـ - 6هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، (2015/2014).
8. عبد الحق هتهوت، الشعر الجزائري القديم وأثره على الجوانب الحضارية في المغرب الإسلامي من ق 8هـ-10هـ مقارنة تاريخية وصفية تحليلية، رسالة دكتوراه في أدب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسطية، جامعة تلمسان، 2019/2018م.
9. عبد الصمد حمزة، أهل الذمة في الدولة الزيانية، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، (2017/2016).
10. عبيد بوداود، انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2006/2005.
11. نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس هجري إلى نهاية القرن التاسع هجري، 15/12م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/2007م.
12. باسم كامل: تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير جامعة النجاء، فلسطين، 1422هـ/2002م.
13. سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008-2009.

14. مغراوي محمد، خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية، بحث ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987/1986.
15. نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي، 8 و9هـ / 14 و15م، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، 2009م / 2010م.
16. وفاء بريق، التبادل الثقافي بين تلمسان وغرناطة، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة عنابة، 2012م.

فهرس المحتويات

كلمة شكر	-----
إهداء	-----
الرموز والاختصارات	-----
مقدمة	أ -----
الفصل الأول: نبذة تاريخية عن قيام الدولة الزيانية	16 -----
أولا - بنو عبد الواد: الأصل والتسمية	17 -----
ثانيا - نشأة الدولة الزيانية	19 -----
ثالثا - أهم ملوك الدولة الزيانية	25 -----
رابعا - الموقع الجغرافي لتلمسان	26 -----
خامسا - الأوضاع العامة للدولة الزيانية	28 -----
أ/ الأوضاع السياسية	28 -----
ب/ الأوضاع الاقتصادية	30 -----
ج/ الأوضاع الثقافية والفكرية	33 -----
د/ الأوضاع الاجتماعية	37 -----
1. القبائل البربرية	37 -----
2. القبائل العربية	37 -----
3. اليهود والنصارى	38 -----
الفصل الثاني: الوظائف السامية: إشكالية المصطلح وشروط التولية	41 -----
المبحث الأول: مفهوم الوظائف السامية	42 -----
المبحث الثاني: شروط التولية	47 -----
أ- الذكورة	51 -----
الاتجاه الأول	52 -----
الاتجاه الثاني	53 -----

53	ب - الكفاءة-----
53	ج -التصريح بالتمتلكات قبل التوظيف والتكليف-----
54	د -ولاية الأصلح-----
54	هـ -العدل في الكلام والسلوك-----
56	و -إلزامية التصريح بالولاء، والإفاضة في تحسين صورة الحاكم-----
56	ز -الثراء أو الاستغناء-----
	المبحث الثالث: موقع الوظائف والألقاب السامية في الفكر السياسي بالمغرب قبيل
59	العهد الزياني-----
66	الفصل الثالث: الوظائف السياسية المساعدة للسلطان في العهد الزياني-----
67	المبحث الأول: السلطان-----
67	أولاً- الألقاب المتداولة للسلطان في العهد الزياني-----
67	أ/ أمير المسلمين-----
68	ب/ الملك-----
69	ج/ الخليفة-----
70	د/ أمير المؤمنين-----
71	هـ/ لقب دادا-----
71	ثانياً- شارات الملك عند بني زيان-----
71	أ- الآلة-----
72	ب- السرير-----
73	المبحث الثاني: الوزراء-----
73	أولاً- الوزارة لغة واصطلاحاً-----
73	أ/ الوزير لغة-----
74	ب/ الوزير اصطلاحاً-----

76	ثانيا: شروط تعيين الوزراء
78	ثالثا: مهام الوزراء
81	المبحث الثالث: الفقهاء
81	أولا: الفقه لغة واصطلاحا
81	1. الفقه لغة
82	2. الفقه اصطلاحا
82	ثانيا: مكانة الفقهاء في الدولة الزيانية
105	المبحث الرابع: الحُجَاب
105	أولا: الحجابة لغة واصطلاحا
105	أ/ الحجابة لغة
105	ب/ الحجابة اصطلاحا
105	ثانيا: شروط تولية الحاجب
112	المبحث الخامس: الأشراف
116	الفصل الرابع: الوظائف السامية الإدارية في العهد الزياني
117	المبحث الأول: الكتاب
118	أولا- مهام الكاتب في عهد الدولة الزيانية
119	1/ استقبال الرّسائل والخطابات الواردة إلى السلطان أو الحاكم
119	2/ التوقيع
120	3/ التحرير
121	4/ إصدار أوامر السلطان مكتوبة
121	5/ تسجيل أسماء أفراد الجيش وحصر أعدادهم
122	ثانيا- أشهر الكتاب في العهد الزياني
124	المبحث الثاني: صاحب الأشغال

المبحث الثالث: الموثقون والعدول	128
أشهر رواد المدرسة التلمسانية في التوثيق	129
المبحث الرابع: السفراء والقناصل	132
الفصل الخامس: الوظائف القضائية والعسكرية ووظائف أخرى	139
المبحث الأول: القضاء والمظالم	140
1/ القضاء	140
أولاً- تعريف القضاء لغة واصطلاحاً	140
1- القضاء لغة	140
2- القضاء اصطلاحاً	141
ثانياً: القضاء أيام الدولة الزيانية	142
ثالثاً- أصناف القضاة في العهد الزياني	145
أ/ قاضي الجماعة	145
ب/ قاضي الحضرة	146
ج/ قاضي العملات	147
د/ قاضي الأنكحة	148
هـ/ قاضي الأهلة	148
و/ قاضي الجند	148
رابعاً- أشهر قضاة تلمسان	149
2/ المظالم	150
المبحث الثاني: رجال الحسبة والشرطة	153
أولاً- الحسبة	153
1- تعريف الحسبة لغة	153
2- تعريف الحسبة اصطلاحاً	153

155	3- الحسبة في العهد الزياني
159	ثانيا- الشرطة
159	أ/ تعريف الشرطة
160	ب/ الشرطة في العهد الزياني
165	ج /مهام صاحب الشرطة
167	المبحث الثالث: قائد الجند والعيون
167	أولا: قائد الجند
169	الاستعراضات العسكرية
170	ثانيا- العيون (الجواسيس)
175	المبحث الرابع: الناظرون على الأوقاف والأحباس
175	الناظرون على الأوقاف
177	المبحث الخامس: تأثير الوظائف السامية في الحياة الزيانية
177	أولا- سياسيا وعسكريا
178	ثانيا- إقتصاديا واجتماعيا
183	ثالثا- ثقافيا ودينيا
188	خاتمة
192	الفهارس الفنية
193	أولا- فهرس الآيات القرآنية
196	ثانيا- فهرس الأحاديث النبوية
198	ثالثا- فهرس الأعلام
213	رابعا- فهرس الأماكن
220	خامسا- فهرس الدول والطوائف والقبائل
225	الملاحق

245----- الببلوغرافيا

266----- المحتويات